

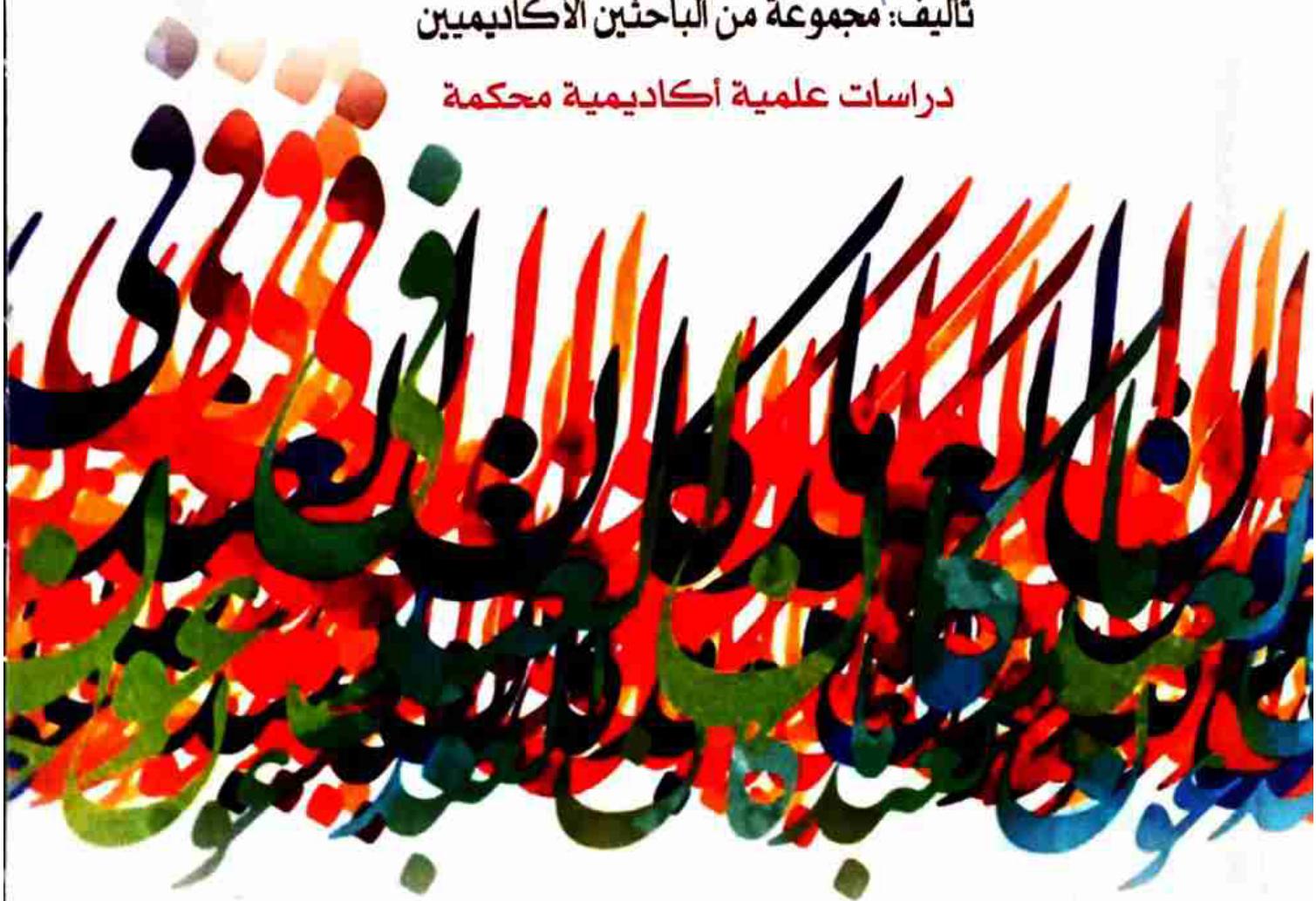
الصوتيات

قضايا ودراسات

تقديم / د. بوداود براهيمي

تأليف: مجموعة من الباحثين الأكاديميين

دراسات علمية أكademie محكمة




AlphaDoc


مؤلف دولي



مكتبة وملتقى علم الأصوات
phonetics-acoustics.blogspot.com

جميع الحقوق محفوظة
المؤلف: مجموعة من الباحثين الأكاديميين
عنوان الكتاب: الصوتيات قضايا ودراسات



© منشورات ألفا للوثائق 2020
ISBN: 978-9931-691-87-7
الإيداع القانوني: جانفي 2020

يتتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا
يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية
 أخرى.

الطبعة الأولى

2020

الناشر
الفا للوثائق
نشر-استيراد وتوزيع كتب
36. مكرر نهج ساييفي أحمد س م ك قسنطينة الجزائر
الهاتف: +21331 7333 33
الفاكس: +21331 7337 94
النقال: +213770906434
عمان-الأردن: البوابة الشمالية للجامعة الأردنية
+962.797266248
البريد الإلكتروني: alphadocumentation@hotmail.com

الصوتيات

قضايا ودراسات

تقديم:

الدكتور: بوداود براهيمي

الإشراف العام:

الأستاذ: طيب بوقرط

تأليف:

مجموعة من الباحثين الأكاديميين

دراسات علمية أكاديمية محكمة

الناشر



α
AlphaDoc

2020

سُرْبِلْدُونْ جَرَجَرَ



المشروع الدولي رسالة الباحث (٢٠١٣)

إشراف مختبر اللغة والتواصل في الجزائر
المركز الجامعي أحمد زيانة، غليزان.

اللجنة العلمية :

أ.د. بن عبد الله مفلاح. المركز الجامعي أحمد زيانة (غليزان) الجزائر.

د. بوداود ابراهيمي. المركز الجامعي أحمد زيانة (غليزان) الجزائر.

د. قسول فاطمة. جامعة علي لونيسى بالعفرون (البليدة 02) الجزائر.

أ.د. صفاء الدين أحمد فاضل. الجامعة العراقية، العراق.

أ.د. عبد الحفيظ تحرishi. جامعة طاهري محمد (بشار) الجزائر.

د. مختارية بن قبلية. جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.

د. مهدية بن عيسى. وحدة البحث واقع اللسانيات وتطورها في البلدان العربية (تلمسان) الجزائر.

د. رفيقة بن ميسية. جامعة الإخوة متوري (قسنطينة 01) الجزائر.

د. جمعة مصاص. جامعة عباس لغورو (خنشلة) الجزائر.

د. ربيعة برباق. جامعة العربي التبسي (تبسة) الجزائر.

د. حسن حمانى. جامعة المولى إسماعيل (الرّشيدية) المغرب.

د. نسيم حرار. جامعة عبد الرحمن ميرة (بجاية) الجزائر.

د. جعفر يابوش. جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.

د. محمد محمود فراج حسانين. كلية الأدب. جامعة سوهاج. مصر.

أ.م.د. هدى صلاح رشيد. جامعة تكريت. العراق.

د.أم السعد فضيلي. جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.

د. جميلة غريب. جامعي باجي مختار (عنابة) الجزائر.

د. فاطمة الزهرة عاشور. جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.

د. هنا محمود إسماعيل الجنابي. الجامعة العراقية (بغداد) العراق.

د. محمود خلف البادي. جامعة الجوف. المملكة العربية السعودية.

د. محمد حراس. المركز الجامعي أحمد زبانة (غليزان) الجزائر.

د. وهيبة جراح. المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف (ميلة) الجزائر.

د. راضية بن عريبة. جامعة حسية بن بو علي (شلف) الجزائر.

أ.طيب بوقرط. جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.

الهيئة الاستشارية:

د. محمد صالح ياسين الجبوري، جامعة ديالى، العراق.

د. فاطمة براهمي، جامعة الجيلالي ليابس (سيدي بلعباس) الجزائر.

د. يونس بلالحسن، جامعة ابن طفيل (القنيطرة) المغرب.

د. سحنين علي، جامعة مصطفى اسطمبوولي (معسکر) الجزائر.

د. زكرياء سلمان، جامعة القاضي عياض (مراكش) المغرب.

د. عبيدي فاطمة الزهراء، جامعة باجي مختار (عنابة) الجزائر.

د. أمال كبير، جامعة العربي التبسي (تبسة) الجزائر.

د. جليلة عاشور، أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02) الجزائر.

أ. سعيدة تومي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.

أ. سليمة دحيري، جامعة محمد خضر (بسكرة) الجزائر.

هيئة التحرير:

د. بوداود ابراهيمي، المركز الجامعي أحمد زيانة (غليزان) الجزائر ..

د. مهدية بن عيسى، وحدة البحث واقع اللسانيات وتطورها في البلدان العربية (تلمسان) الجزائر.

أ.م.د. هدى صلاح رشيد، جامعة تكريت، العراق.

د. فتحية بلحاجي، المركز الجامعي (مغنية) (تلمسان) الجزائر.

د. مختارية بن قبلية، جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.

د. صليحة قصابي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.

أ. عبد الغاني بوجزة، جامعة محمد لين دباغين (سطيف 02)، الجزائر.

د. هارون لعبيدي، جامعة العربي بن مهيدى (أم البوادي) الجزائر.

د. فيروز بن رمضان، جامعة الدكتور يحيى فارس (المدية)، الجزائر.

أ. طيب بوقرط، جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.

المراجعة والتدقيق اللغوي:

أ.م.د. هدى صلاح رشيد، جامعة تكريت، العراق.

د. مختارية بن قبلية، جامعة عبد الحميد بن باديس (مستغانم) الجزائر.

د. صليحة قصابي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي (برج بوعريريج) الجزائر.

أ. طيب بوقرط، جامعة أحمد بن بلة (وهران 01) الجزائر.

التدقيق في الشابكة:

د. قسول فاطمة، جامعة علي لونيسى بالعفرون، البلدة 02، الجزائر.

د. قسول فاطمة، جامعة علي لونيسى بالعفرون، البلدة 02، الجزائر.

المحتويات

13	كلمة المختبر: أ. طيب بوقرفط
15	• التقديم: د. بوداود براهيمي
19	• د. بوداود براهيمي: السكون العربية بين الحقيقة الفونيتيكية والوظيفة الفونولوجية
35	• د. محمود خلف البادي: الزحاف والعلة (دراسة صوتية) البحر الكامل أنفوذجاً
75	• د. فرح ديدوح: دراسة كمية المصوات لدى اللغويين العرب القدامى في ضوء علم الأصوات الحديث.
107	• د. خالد حسين أبو عمše: الأنظار الصوتية عند إخوان الصفا وخلان الوفا
147	• د. نصيرة غفاقلية: أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث
173	• أ. د. ليلى سهل: التمايز والتناقض الصوتي في اللغة العربية.
197	• د. إسماعيل حيمور القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية في بنية الخطاب القرآني
233	• أ. رميساء مزاهدية: جهود عبد الرحمن الحاج صالح في الصوتيات وتقنيولوجيا اللغة الحديثة
255	• د. راضية بن عربية: التحليل الأكoustيكي المخبري للصوت اللغوي في القرآن الكريم

كلمة المختبر:

بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) من أوائل العلماء العرب القدامى الذين عنوا بدراسة الأصوات اللغوية، إذ ألف معجمه العين الذي بث فيه شذرات آراءه الصوتية في مخارج الأصوات وصفاتها، وسمّاه (العين)؛ لأنّه بدأ بصوت العين و هو أوضح الأصوات وأنصعها، أما مقدمته الموجزة فتحتوي مادة صوتية تدل على أصالة علمه و تفرّده في بعض المصطلحات الصوتية، فهو صاحب أول دراسة صوتية منهجية في تاريخ الفكر الصوتي العربي. وقد تنوّعت الآراء الصوتية بعده، فظهرت في فكر تلميذه سيبويه (ت 180 هـ)، الذي استلهم أفكاره وأساتذته وصاغها على نحو يتسم بالشمول والدقة فكان دقيقاً في تخليلاته وتقسيماته لمخارج الأصوات و صفاتها.

و سجّل التراث الصوتي في القرن الرابع هجري (ق 4هـ) خروجاً منهجياً على المألوف وهذا على يد ابن جنّي (ت 392 هـ) الذي صنّف كتاباً خاصاً بالدراسة الصوتية سماه سر صناعة الإعراب، تناول فيه دراسة الصوت اللغوي من جانبيه الصوتي والتشكيلي و أطلق على هذه الدراسة علم الأصوات فتكلم عن جهاز النطق ووصف الأصوات وصفاً صوتيّاً دقيقاً بأسلوب علمي له مصطلحاته المحددة. ومن الثابت أنَّ العلماء النحاة واللغويين خلال القرون الثالثة الهجرية الأولى؛ لم يعالجوا ظواهر التشكيل الصوتي مجتمعة يختضنها عنوان واحد شامل لها، بل تناولوها متفرقة في كتبهم ضمن أبحاث علمي النحو و الصرف المختلفة كالإبدال الصوري والإعلال والإدغام والمحذف والإملاء وغيرها من المسائل التي كانت تدرج ضمن علم الصرف ويتدخل علم الأصوات في تعليل سبب حدوثها،

كما تناول المعجميون عرض الأصوات اللغوية ودراستها ضمن أعمالهم المعجمية،
ويكفي مثلاً على ذلك مقدمة الخليل المهمة ومقدمة ابن دريد (ت 321 هـ) في
الجمهرة.

من هذا المنطلق يقوم مشروع رسالة الباحث باقتراح موضوع هذا المؤلف:
(الصوتيات/قضايا ودراسات) إشراف: د. بوداود ابراهيمي / المركز الجامعي أحد
زيانة / غليزان لرصد مختلف الظواهر الصوتية عبر دراستها دراسة تواشج مع
الطرح الوعي الغائر في صميم تلك الظواهر وأبعادها الصوتية بغية الإدراك
العميق لأسبابها ضمن ما يقع من تصورات ورؤى تأثر في توقعاتها فعاليات
الدرس الصوتي بين بعديه النظري والتطبيقي.

والله نسأل أن تكون هذه الدراسات البحثية مداعاة للتفاؤل لا شيء يحدوها
إلا طلب العلم.

والله من وراء القصد.

أ. طيب بوقرط
المشرف العام

تقديمه:



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

شهدت الدراسة الصوتية تحولات منهجية وإجرائية ارتقائية، تشكلت معالها تساوياً وباكير انساق معالم الدرس الصوتي التراثي، وصولاً إلى تلك المرحلة الفيصلية التي اخترقت ضمن مشروع لساني اخترق مجال الذكاء الاصطناعي؛ حيث لم يعد الدرس الصوتي يرتكن إلى الفاعلية الفذة التي يتوجهها الذكاء الطبيعي، والقراءات التأملية لميئات الأداء التلفظي.

و ضمن هذا التوجه التقني العالي، فقد تجاوز الدرس الصوتي العربي، حدود الذاكرة المعرفية التراثية، وانعطف إلى مطاولة الإغراءات التي أتاحتها الزمن التقني، مما دفع بالمقاربات الصوتية إلى امتلاك مكانة جوهرية ضمن حقول المعرفة اللغوية، غداً على إثرها المكون الصوت جزءاً صميمياً ضمن نماذج التنظير والتحليل اللساني.

وعليه، فقد انبرت أوراق العدد - صوتيات - لتقديم مقرؤية علمية تعكس ذلك الزخم المعرفي للدرس الصوتي العربي ب مختلف نماذجه وصيغه؛ حيث وردت بجمل المقاربات المعرفية ضمن مساعها التحليلي لتجاوز فضاء الأسئلة العلمية

المرجة، وتعرض إلى جملة التصورات التخيّمية، انطلاقاً من مخرجات المقابلة العلمية التي امتحنَت من التوصيف الدقيق لأبعاد المكون الصوتي.

-**الدكتور: ابراهيمي بوداود**

المركز الجامعي أحمد زيانة (غليزان) الجزائر.

السكون العربية بين الحقيقة الفونيتيكية والوظيفة الفونولوجية

السكون العربية بين الحقيقة الفونيتيكية والوظيفة الفونولوجية

د. ابراهيم بودار

المركز الجامعي أحمد زيانة غليزان - الجزائر.

تصدير:

على الرغم من تعدد الدراسات التي عنيت ب موضوع منطق اللغة العربية ويدقائق مكونها الصوتي. وعلى الرغم من الوثبات العلمية الهائلة التي عرفها هذا المجال المعرفي بوصفه حقلًا إجرائيًا يستمد شرعنته العلمية من التتابع اليقينية التي تفرزها الدراسات التجريبية والخبرية، إلا أن الغموض الذي اكتنف بعض مفاصل هذا البحث، واللبس الذي أحاط بالكثير من قضاياه ما زال قائماً إلى يومنا.

وبالنظر إلى الطبيعة الوصفية التي وسمت خاصية الدرس الصوتي العربي، التي اعتدت في بواكيرها الأولى بالمدونة القرآنية باعتبارها منطلقاً مطلقاً وأنموذجاً ثابتاً، فقد اجتهدت في ترسيم الم هيئات الأدائية لمنطق الخطاب القرآني كما تلفظ به سيد الخلق. ومن هنا، فإن البراهين النحوية والصرفية التي عنيت ب موضوع اللغة في باقي المستويات التي استند أغلبها إلى مُسلمة السمع، قد تحررت من حدود المنطق الصوري ومن ضبطية القاعدة المعيارية، وانفتحت على كل الممكنات القولية المسوقة وغير المسوقة.

و عبر هذا التراوح، كان من البدائي أن تُحمل الدراسات اللغوية العربية بجملة من الاختلافات والفوارات خلال سعيها إلى التأسيس لجهازها النحوي، وذلك باختلاف الأقطاب والمدارس النحوية التي انبرى كل منها إلى إرساء مبادئ

فلسفته في وضع القاعدة النحوية، وتكريس مشروعه اللغوي وفق المخلفيات والمنظلات التي امتحنت من مرجعيته.

ومقابل التجاذب الفكري الحاصل، عمد أكثر اللغويين إلى تأكيد التوافق في الكليات النحوية والصرفية الهامة، وغلبوا رأيَ تجنب تلك الاختلافات التي لحقت بدقة الظواهر اللغوية، وعدوها فروعاً وشواذاً ومسائل تابعة. بخاصة ما استند منها إلى السليقة وإلى سلطة السياق، أو المشكلات الصوتية التي استعصى عليهم توسيع حدوثها وتفسير تجلياتها ضمن الأنماط الخطابية والكلامية، ومرد ذلك إلى عسر كشف كنهها الفونتيكي اعتماداً على الملاحظة العينية والتخمينات الحسية.

ولئن كانت الإكراهات التي امتدت إلى الدراسات الصوتية قدّيماً، قد شكلت حائلاً وعائقاً حقيقياً في الفصل في بعض القضايا، فالمثير للجدل أن هذه الإشكالات بقيت تتسلل حلاً لها حتى في زمن الآلة والتقنية العالية؛ حيث ترخت المقترنات الجديدة بين اللاموضوعية وبين عدم التأسيس، ولم تحد أكثر البدائل المقدمة عن القناعات التي عرض لها بعض المستشرقين من قبيل جون كاتينيو أو هنري فليش بالرغم من أن ما عرض إليه مؤلاء ارتكز على فراءات وتأملات مقارنة وتطورية.

وعبر هذا المأخذ، لا غرو في أن ما قدمته الدراسات الصوتية الحداثية اتسم أغلبها بعدم الجرأة، وركن جلها إلى اجترار ما عرضت إليه البحوث الوصفية عند المستشرقين، عدا بعض المحاولات الجادة التي باشرت الحقل الفونتيكي والфонولوجي العربي بعلمية فلذة، مراعية في ذلك خصوصية اللغة العربية؛ حيث وفقت إلى حد بعيد في ملامسة مكامن الخلل الحاصلة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: أعمال كمال بشر، ومصطفى حركات، ومنصور الغامدي، الذين توقفوا عند الإشكالات التي لا يمكن أن يُغضّن عنها الطرف، من منطلق تأثيرها على النظام (20)

الصوتي العربي، في نحو الظواهر التي لازمت الصائت (voyelle) العربي، بوصفه نواة المقطع التلفظي وسبباً مباشراً في إظهاره وحدوده، وأي تغير أو تبدل في هيئته قد يؤثر حتماً في تكشف قيمته اللسانية أو وظيفته الفونولوجية.

وقد أحق العرب قدماً الصوانت بـمصطلحات عديدة منها: علامات البناء، علامات الإعراب والحركات، ونقط الإعراب والصوانت، وقد شكل هذا التداخل في المصطلاح تداخلاً في المفاهيم وفي الوظيفة اللغوية، وهو الحال الذي جرت عليه السكون العربية؛ حيث وقع الخلط بين مؤدى اللفظ وصفاً ومؤداه وظيفة.

السكون وحدود المصطلح:

السكون في اللغة مقابل الثبوت ضد للحركة، وجاء في معجم العين في مادة **سكن السكون**: ذهاب الحركة، والإسكان عند الأشموني عدم الحركة، ويحدث التوحيدي الفارق في الحركة والسكن وأيهما أقدم؟ فيقول: سئل أبو محمد العروضي مرة عن الحركة والسكن أيهما أقدم؟ فقال: أما عند الحسن فالحركة أقدم، وأما عند العقل فالسكون أقدم. وبعد فالسكون عدم الحركة، وكل حسن فقوامه بالحركة، وكل عقل فصورته بالسكون، ونظامه بالمدح، وأثره

وقد لُّزَ المصطلح بِمُؤَدَّاهُ المعنويِّ إِلَى منظومةِ الحركاتِ العربيةِ لِيحدثُ المخالفةُ والمعارضةُ مُقَابِلًا لِحركاتِ الفتحِ والضمِّ والكسرِ الَّتِي تُلْحِقُ بالصَّامتِ الصَّوتَ لَهُ، إِلَّا أَنَّ المخالفةَ لَمْ تُشْمِلْ كُلَّ الخصائصِ الصَّوتِيَّةِ لِلسُّكُونِ. فَإِذَا كَانَ التَّمَانِيُّ والمعارضةُ قدْ تَحَقَّقَ عَلَى المستوىِ الْفِيُّزِيُّولُوْجِيِّ بِوَصْفِ السُّكُونِ وَفَقَّا تَامًا

¹ أبو حيان التوحيدي (ت 400هـ)، المقابلات، حققه وشرحه: حسن السندي، دار سعد الصباح، ط 2، 1992م، ج 1، ص: 191.

للتصويت وخلوا منه، فإنها بالمقابل أكدت حضور وظيفتها النحوية والصرفية - الفونولوجية - ويليق بنا أن نصنفها بأنها: حركة سالبة نطقاً إيجابية قيمة، ووظيفة، إنه يتبادل الموضع والوظائف مع الحركات المعروفة، وله دور في بناء الصيغ، وله دور مهم في الإعراب¹.

وها هنا، يتبدى موطن الخلل واللبس الذي لحق بحال السكون العربية؛ حيث يصعب التوفيق والانسجام بين ماهية السكون في الحقول الثلاث (الفيزيولوجي، والأكoustيكي، والфонولوجي)؛ حيث إن الأثر السمعي الذي تؤديه كمياتها الواصفة فيزيائياً (الزمن، والاهتزاز، والشدة، ودرجة الصوت) لا يترك مجالاً للريب، من حيث هي حركة مستقلة بذاتها، وقد ندلل لهذا الرأي بالتساؤل الذي أبداه محبي الدين رمضان في قوله فهل بقي شك بعد هذا أن السكون حركة وليس تركاً لنطق الصوت واللفظ، وكيف يكون كذلك ونحن في واقع الحال نسمع صوت المحرّكات بالسكون؟² وفي ذلك إشارة إلى أن الناطق لا يجد صعوبة في النطق بالصامت الساكن ضمن خطية الوحدات الصوتية المجاورة، عدا في مستهل التلفظ، حتى وإن تعلق الأمر بأصعب الصوامت نطقاً وهي حروف القلقة؛ حيث يُدفع الناطق إلى إحداث نبر زائد عند النطق بالسكون، وذلك بالحاق صوتيه إلى حرف القلقة الذي يأتي شديداً مجهوراً. يقول ابن يعيش أن هذه الأصوات سميت حروف قلقة لأنك لا تستطيع أن تقف عليها إلا بصوت هو هذا الصات المركزي الضعيف، وذلك بسبب شدة الحصر والضغط في نطقها كما في الحق وادهب،

(1)-كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م، ص: 456.

(2)-علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية، دراسة في الصوت والبنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004م، ص: 07.

وأخلط واخرج¹؛ حيث يتجلّى بوضوح بروز صوت الساكن المقلقل في لـ الفعل، ولا يمكن بأي حال إنكار وظيفة السكون في التصويت للصامت الأخير. وهنا، نجد أن بعضهم قد ذهب إلى الدعوة بضم السكون إلى مجموعة الصوائت القصيرة، يتقديمهم في ذلك كمال بشر في قوله *لقد كان ابن هشام على صواب حين حسب السكون حركة رابعة، تنضم إلى الفتحة والكسرة والضمة، الله دره*.²

ومقابل هذا التوجه الفونولوجي، فإن أصحاب الرأي المعاكس يستندون على توصيف حال اللسان وهيئته التي تلتزم الثبات أثناء النطق بالسكون عكس باقي الحركات، ويفكرون على أن السكون هي حالة من الركون إلى الوقف في الشكل الصوتي، وليس عزوفاً عن التصويت مثلاً يُدعى، كما أن هذه الحالة ليس بمقدورها أن تحرّك الصامت إلا إذا كان حرف احتكاكياً؛ حيث يسمح الممر الضيق لحدوث الصامت بصدور شيء من الصوت، وهي حقيقة أكدّها ابن جني قائلاً: «فَقَدْ نَجَدْ مِنَ الْحُرُوفِ مَا يَتَبَعُهُ فِي الْوَقْفِ صَوْتٌ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِنٌ، وَهُوَ الفَاءُ وَالثَّاءُ وَالسَّينُ وَالصَّادُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، افْ، اثْ اسْ اصْنُ»³، وهي حروف احتكاكية مائعة، عكس حروف القلقلة مثلاً، التي يصعب تحريكها ساكنة، بخاصة إذا ما كانت في مستهل الكلم، ومؤدّاه في هذا الرأي أن الصفة المكتسبة لبعض الصوامات العربية، ويعني بها الحروف الرخوة التي تسمح بنشوء صوّت إضافي يساهم في التصويت لصامت؛ حيث يؤكد في مقام آخر أن «هذا الصوت اللاحق للفاء والسين ونحوهما إنما هو بمنزلة الإطباق في الطاء، والتكرير في الراء، والتفسّي

(1)-عمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ص: 162.

(2)-كمال بشر، علم الأصوات ، ص: 457.

(3)-أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج 2، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ص: 337.

في الشين، وقوة الاعتماد الذي في اللام¹، غير أن المتمحص في الرأي قد لا ينفرز معه؛ لأن الطبيعة الفيزيولوجية والخارجية لهذه الحروف لم تكن البتة سبباً مباشراً في التصويت، وإنما هي صفة لاحقة، فحتى ذلك الصويب أو الألفون الذي يساهم في إبراز الصامت المسكن، هو صوت من ذات مصدر الحركة، لم يعمل اللسان والشفتان على تشكيله.

وظيفة السكون اللفوية:

عرضنا سلفاً إلى جملة من الناقضات التي لحقت بمفهوم السكون من حيث كينونته الفيزيولوجية وتجلياته الوظيفية، فالسكون في جانبه العضوي، تصويت لا تتحرك فيه الأعضاء المؤدية لباقي الحركات من ضم وكسر وفتح؛ حيث تلتزم هذه الأعضاء سكوناً وثباتاً ملحوظاً، عدا منطقة الضغط الحاصلة عند منطقة اللهاة في القناة الصوتية.

أما في المجال الوظيفي الفونولوجي، فلا يختلف اثنان على أن السكون يؤدي دوراً مماثلاً للحركات العربية من حيث البناء، وإحداث العلامة الإعرابية، والمعجمية، والدلالية، «فمن زاوية القيمة والوظيفة، لا النطق، يمكن أن نحسب السكون حركة، إن السكون نطقاً لا شيء phonetically nothing، ولكن له وظائف خاصة به التي تعدل وظائف الحركات المعهودة، إنه حركة سالبة نطقاً إيجابية قيمة ووظيفة»⁽²⁾، والمقصود بالسلب النطقي هنا هو العدمية التي تأخذها أعضاء النطق بالحركات العادية ليس إلا.

(¹) -أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج 2، ص: 337.

(²) -كمال بشر، علم الأصوات، ص: 456.

أما الإيجابية الفونولوجية فتكمن في جملة الوظائف التي يؤديها السكون في النسق اللغوي على غرار الحركات العربية-القيمة اللسانية، وقد أشار سيبويه إلى هذا الحضور في تصنيفه لمجاري أواخر الكلام من العربية التي أجملها في قوله: «وهي تجري على ثمانية مجاري: على النصب والجر، والرفع والجزم، والفتح والضم، والكسر والوقف»⁽¹⁾، فالجزم والوقف هما هيئتان وظيفيتان يؤديهما السكون، الأولى إعرابية والثانية صوتية نطقية.

وقد تواضع النظام الصوتي العربي على اعتبار السكون هيئه نطقية في حالة كمون، تلحق بالحرف الذي يخلو من الحركات الثلاث، والسكون أو الوقف هو عكس الحركة؛ حيث يوجد الحرف الساكن في نهاية المقطع أو السلسلة ومع ذلك يمكن أن نجده في حركة متتالية، وفي هذا يقول ابن جني: «أن الحرف لا يأخذ نفس النمط عندما تتحقق أثناء التوقف أو في حركة تسلسلية»⁽²⁾، وفي القول إشارة ضمنية إلى أن الوقف هو أعلى حالات الخلو من الحركة، أو أدنها سمعاً، بمعنى أن الحرف الساكن داخل الكلم قد يستند إلى سلسلة من الألفونات السابقة واللاحقة تمنحه قوة للتصويب، عكس الحرف الأخير الذي يقع فيه الوقف. ونستشف من هذا القول أن السكون بهذا المفهوم خلو من الصوت والتصويب، وهو رأي يشد التعليل والبرهنة.

(1)-أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، علم الكتب بيرون، 1966م، ج 01، ص: 13.

(2)-عبد الرحمن حاج صالح، استعمال جهاز المرسم البياني اللفظي AG/100 في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكون، مجلة اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، منشورات، المجلس الأعلى للغة العربية، طبعة مارس 2007م، ص: 230.

إن التحليل الأكoustيكي لظاهرة السكون والوقف التصوتي، يقوم على إثبات مادية السكون من عدمها. من خلال البحث عن الدلائل الفيزيائية للوجود الكمي لحركة السكون، ومن ثم، الولوج إلى المقارنة في التبدلات التي تلحق بذلك الكميات مقارنة بالحركة اعتباراً من أن الفرق الجوهرى بينهما مؤداه «أن الحركة هي النقلة من مكان إلى مكان في زمان ثان، وضدتها السكون وهو الوقف والثبات في مكان واحد بين زمانين»⁽¹⁾؛ حيث يؤدى الزمن هنا، دليلاً كمياً وبعداً فيزيائياً يمكن أن تستند إليه في إثبات حقيقة السكون الأكoustيكية.

واستناداً إلى هذا الطرح الذي ينبع من إوالية التكون المادي والطاقي للصوت، فإن المظهر الفيزيائي الذي يتهمي إليه، هو قراءة مباشرة لكونيته، و«يشير درامل *Dramel* إلى أن المظهر الفيزيائي يشكل مظهراً من المظهرتين الأساسين لتحديد الوقف، وهكذا فإن عبة الوقف تعد متغيراً يتوقف على الأقل على توفر الصوت الذي يصير صفراء (اختزال مطلق للطاقة)»⁽²⁾، ويعبر آخر فإذا أعد الصون عند السيوطى خلوا من الحركة، فإنه بالضرورة خلو من الكم الدال على كنه الحركة، أي أنها هنا أمام فعل قياسي لبعد الطاقة، والطاقة كما أشرنا هي الشدة التي يحدُثها كم الصوت، والتي يعبر لها بعد سعة الموجة الحاصلة، كما يتمنى لنا قراءتها قراءة مباشرة عبر التسجيل الطيفي.

وعند هذا المأخذ، نستطيع الإقرار بأن الاستنطاق القيمي للأبعاد الفيزيائية لإشارة صوت السكون، قد تخيّلنا حتماً إلى نتيجة فيصلية في ماهيته والفرق القائم بينه وبين الحركة، إلا أنه لا يجب أن نحصر مفهوم السكون في القرينة الضدية لمدلول

⁽¹⁾- إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م، ج 03.

ص: 320

⁽²⁾- مبارك حنون ، في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، 2003م، الرباط، ص: 76.

الحركة الوظيفي، فقد أشرنا سابقا، إلى أن العلاقة الضدية القائمة في الدلالة عند النحاة العرب هي علاقة وسمت لحركة أعضاء النطق لا الحركة الوظيفية. إلا أنها هنا، بصدق مناقشة مسألة الخلو السمعي المادي لحركة للسكون.

ويمثل هذا التوصيف يدل على أن إطلاقية الحكم على مسألة السكون في العربية، صعبة المنال؛ وذلك لأن البرهنة الفيزيائية وإن احتملت إلى عوامل القياس المخبري وشروطه التي تستدعي فعل عزل الصامت عن الصائت، فإن السكون الذي تعاملنا معه لغتنا هو الفون نسقي «فللوقف علاقات متنوعة، وربما علاقات اقتران مع عدد من الظواهر التطريزية»⁽¹⁾، وهذه العلاقات التطريزية تتحكم بدورها إلى علاقات وترتبطات منطقية في مقامها الأول.

ونجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الحالة الوظيفية للسكون، تناهى عن الخصوصية النطقية التي تلحق بالصامت، فليس لنا أن نتغافل عن الخصائص الوصفية للصامت ذاته، بين همس، وجهر، وشدة، ورخاوة، وإطباقي، وانفتاح، وصفير، وانتشار «إذا اعتربنا أن الهواء ينحصر في وسط الفم عند نطق اللام، وأن الهواء يتسرّب من الجانبين، فاللام صوت صامت، وإذا اعتربنا مرور الهواء بحرية دون اعتراض من الجانبين فاللام حركة»⁽²⁾، وهنا نقف على خاصية اللام التي تقترب من الصائت ذاته، وهو ما يدعو إلى حتمية مراعاة طبيعة الصامت المسكن. ضمن هذا المعطي الذي يتوجه صوب تبع السكون داخل النسق اللغوي، يبدو أن مراعاة أحوال التبدل الموقعي في الكلمة كفيلة بأن تزيل بعض اللبس، ولشن

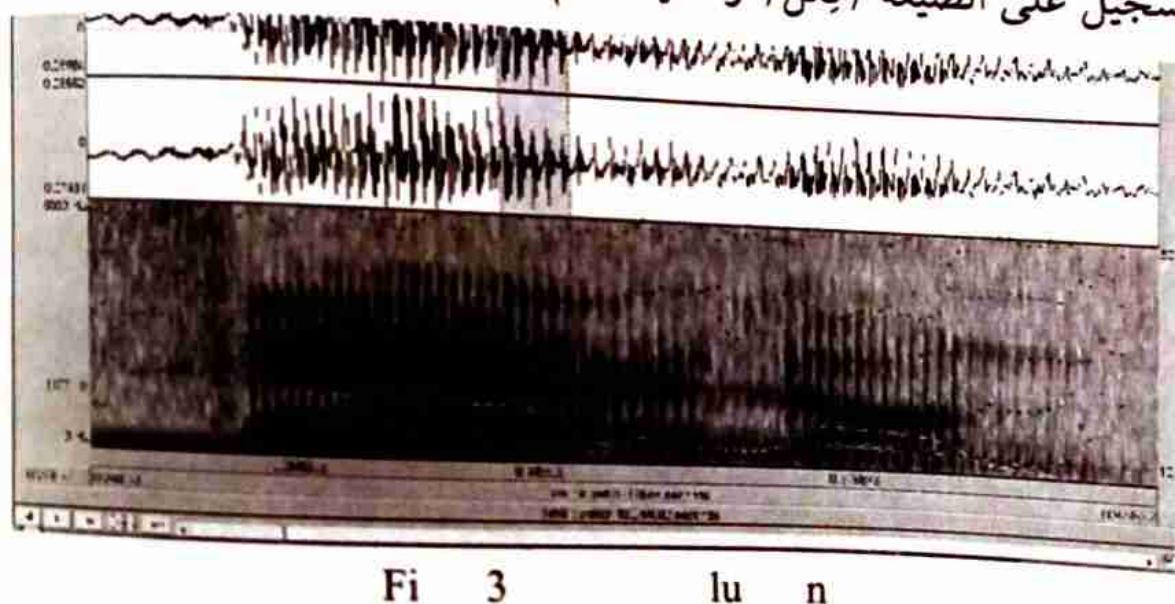
(1)-بارك حنون ، في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، ص: 95.

2-L.Brosnshann et Malmberg. Introduction to phonetics ; Cambridge W hefler et sons 1970 ; p84 .

عن: شريف استيبي، الأصوات اللغوية، ص: 201.
(27)

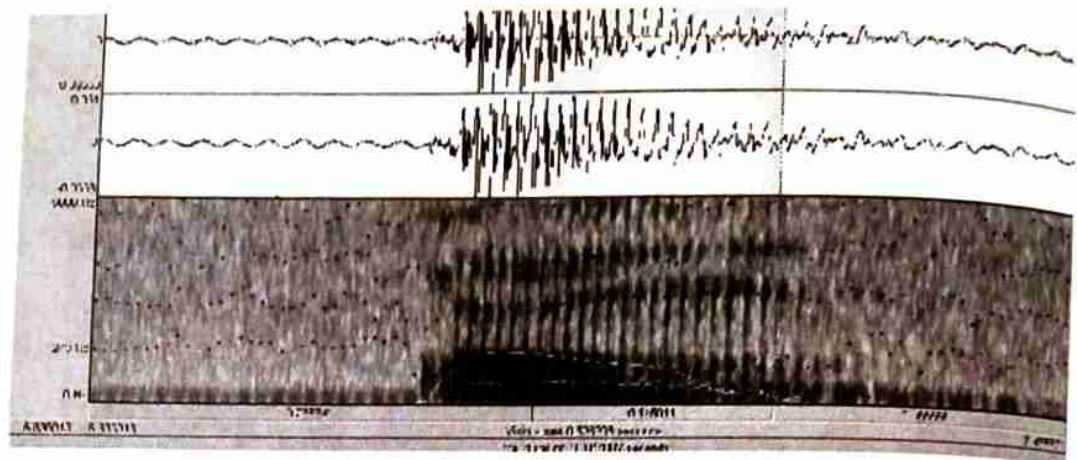
ائف سلفا على أن اللغة العربية لا تبدأ بساكن و «ليس في العربية من هذا النوع سوى اثني عشرة كلمة، عشرة منها من فصيلة الأسماء، واثنتان من فصيلة الحروف، فاما الأسماء فهي: بنٌ - بنة»¹، إلا أن هذه الصيغ لقت تسويقا لها، مؤداه أنها صيغ مسبوقة بهمزة وصل.

وعليه فإننا في قراءتنا الطيفية سعينا إلى التجريب على جملة من الصيغ التي يتخذ فيها السكون موقعا متقلبا بين بداية ووسط ونهاية، ضمن هيئات تعالقية تتعالز فيها مجموعة من الصوامت بمختلف صفاتها الأساسية، والثانوية؛ حيث طبقنا التسجيل على الصيغة / فعل / والصيغة / قم / والصيغة / بحر /



أظهر التمثيل الطيفي لنطق السكون في صيغة فعل أن الإشارة الصوتية للسكون جاءت بقيمة شدة (50.9 دسبل) وبعد زمني (0.05 ثانية)، كما أنها حافظت على الحزمة الصوتية F0 الأساسية بقيمة دينا بلغت (512 هرتز).

(1)- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار المشرق العربي، ط٣، بيروت، ص: 56.



/Ku m/

أظهر التمثيل الطيفي لمنطق السكون في صيغة / قم / أن الإشارة الصوتية للسكون جاءت بقيمة شدة دنيا بلغت (29 دسبل) وبعد زمني أعلى (0.14 ثانية)، كما أنها حافظت على الحزمة الصوتية F0 الأساسية بقيمة دينا بلغت (420 هرتز) ¹.

ويتضح من خلال القراءات السابقة أن السكون ألفون مكتسب للأبعاد الكمية ذاتها التي تسم الحركة العادية، ونستدل على ذلك بمحافظته على قيم متوسطة في تردد الحزمة الصوتية F0 غير أن هذه القيم تتناسب طردياً مع الصامت الموظف معها، فإذا كان الصامت رنينياً على نحو صوت العين كانت القيمة علياً، كما أن عامل الزمن المحدد للتصوير بالسكون هو عامل تحدده البنية المقطعيّة التي يحييء فيها السكون، فإذا كان السكون في متنه الكلم مثلاً أخذ حيزاً زمنياً أطول.

أما عن قيم الطاقة أو الشدة المكتسبة لألفون السكون، والتي هي قيم مدللة على حقيقة وجوده الأكoustيكي والفيزيائي، فقد جاءت متفاوتة، ولعل السكون

¹ - عجل التائج الحوسية هي متابعة لبحث مخبري، قدمنا له في بحث الدكتوراه المسمى بـ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامي وقياسات المحدثين، جامعة وهران، 2012.

الذي يتموضع في وسط الكلمة، هو السكون الأعلى شدة، وذلك بفعل التسلسل التصوتيي التي تمنحه إمكانية طاقوية من المقطع الأول وأخرى دافعة إلى المقطع اللاحق.

نتيجة البحث

انتهى البحث الموجز في طبيعة السكون العربية إلى خاتمة تستعرض أهم

النتائج المتوصل إليها:

- إن الفصل في ظاهرة السكون أمر شاق يستدعي بحثاً مستفيضاً يربط بين النتائج المحصل عليها في حقول الدراسة الصوتية الثلاث، فضلاً عن استنطاق آراء النحاة، ويمكن أيضاً أن ندعم البحث في حقيقتها اعتماداً على ما تفضيه الدراسات المقارنة لما تؤديه السكون في اللغات السامية.

- إن الأهمية التي اكتسبها السكون في سياق أطروحتات الدرس الصوتي تنبع من حضوره المهيمن في صلب البنية التخطيطية لنسقية النظام اللغوي، ولذا لا بد لهذه الظاهرة أن تدرس دراسة معمقة تتوافق مع عمق تأثيره في النسق اللغوي على نحو ما قدمته الدراسات العربية القدية، وما تهيات المؤسسة الصوتية الحديثة لاحتوائه.

- إن مصطلح السكون هو اصطلاح الحق بوضعية اللسان أثناء النطق بالصامت، عكس الحركات الأخرى التي يتحرك معها اللسان رفعاً وخفضاً ونصباً.

- بالارتداد إلى الإثبات الفونولوجي والفيزيائي فإن السكون حركة قائمة بذاتها ولا يمكن عدّها باعتبارها خلوا من التصويت. 1

- 1- إبراهيمي بوداود، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه المسوم بـ فيزياء الحركات العربية بين تقديرات القدامي وقياسات المحدثين، جامعة وهران، 2012م.
- 2- إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وزارة الثقافة، ج 03، الجزائر 2007م.
- 3- أبو بشر عمرو بن عثمان سبيوبيه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، علم الكتب بيرون، 1966م.
- 4- عبد الرحمن حاج صالح، استعمال جهاز المرسم البياني اللفظي AG/100 في الدراسة الصوتية اللفظية للحركة والسكن، مجلة اللغة العربية في تكنولوجيا المعلومات، منشورات، المجلس الأعلى للغة العربية، طبعة مارس 2007م.
- 5- سمير شريف استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2003م.
- 6- علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية، دراسة في الصوت والبنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2004م.
- 7- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج 2.
- 8- كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطابعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2001م.

9- مبارك حنون، في الصواتة الزمنية الوقف في اللسانيات الكلاسيكية، الرباط،

2003م.

10- محمد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار المشرق العربي، ط3، بيروت.

11- محمود السعران، علم اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

12-L.Brosnshann et Malmborg. Introduction to phonetics ;
Cambridge W hefler et sons, 1970.

الزحاف والعلة

(دراسة صوتية) البحر الكامل أنموذجاً

الزحاف والعلة (دراسة صوتية)

البحر الكامل أنموذجاً

كهر-د. محمود خلف البدري (1)

جامعة الجوف/المملكة العربية السعودية

مقدمة:

أيها الشعراء المنشدون... انشروا شراع الحب، سنبحر معًا في بحور لازوردية، لم يعرف شواطئ موسيقاها قبطان من قبل.

يا علماء العروض ودارسيه ومتقنيه، هاتوا موازينكم لنضبط مؤشراتها سوياً، فنحن لأول مرة في تاريخ العرب نسبق الشعراء خطوة.

بجئنا هذا سبر عمق الموسيقى التي أطربت الأذن العربية الجاهلية، ومن بعدها الأذن في العصور التالية، وإلى ما قبل اكتشاف الخليل بن أحمد الفراهيدى علم العروض.

لقد كان علم العروض باباً مواربًا، ونحن بتواضع نفتحه ليشرب كلَّ آفاق الشرق، فمن الخيمة الجاهلية خرج نور جديـد لوزنِ جديـد، ولحن راقص مطرب. ليس قبول هذا البحث ليوضع في الأدراج، أو على رفوف المكتبات، وهو ليس شحنات كهربائية على قرص حاسوب مدمج في النهاية؛ إنما هو جيل من الشعراء القادرين على تطوير الأوزان الشعرية الجديدة لملكاتهم الشعرية، وأنا ما زلت أتوق لأسمع الأغنية اللازوردية.

(1) أستاذ أدب الدول المتتابعة المساعد في قسم اللغة العربية جامعة الجوف في المملكة العربية السعودية.

لقد بدأت بمحني في القسم الأول بالحديث عن فيزياء الشعر، وما يرتبط به من الصوت والسكون الصوتي، وارتباط ذلك الصوت باللغة المتمثلة بالأصوات المنطقية المسموعة، وبالأفكار والمشاعر، وصور الأشياء المخزونة في الدماغ، ثم تناولت المقطع اللغوي وما يرتبط به من حركة وحرف صائب أو صامت، وأثر تلك الحروف والحركات في الإيقاع الشعري، ومن بعد ذلك تحدثت عن المقطع العروضي، وأثر الزحاف والعلة فيه.

والقسم الثاني: هو القسم التطبيقي، فبدأت حديثي عن المقطع اللغوي وما إذا كانت الأذن تقبله أساساً للنغم الموسيقي في شعرنا، وطبقت ذلك من خلال أشعار النابغة، ومن البحر الكامل تحديداً، ثم واصلت الكلام وصولاً إلى المقطع العروضي الذي يمثل الإيقاع الموسيقي، الذي ثُرِفَ من خلاله الحركات والسكنات، ثم وقفت عند الدّلّات، والساكن والتحرك، ثم عرضت مفهوم الزحاف الذي يعد وجوده في بيت الشعر بعيداً عن الدّام، والرّخصة والمفاجأة، وكسرأً للرّتابة الموسيقية في نغم البيت. وقد قابلتْ نغمة المقطع اللغوي مع نغمة المقطع العروضي، أو النظام اللازوردي مع زحافاتها وعللها، وتوصلت إلى أن المقطع اللغوي لا يصلح أساساً للنغم الموسيقي في الشعر العربي. وأدرجت مختارات شعرية من البحر الكامل، ومن ديوان النابغة؛ ذلك أن تفعيلات هذا البحر من الفروع التي تبدأ بسبب، بغض النظر عن صيغته طويلة كانت أم بطيئة، وقد بَيَّنتْ كل ذلك من خلال الجداول المثبت في متن البحث.

موضع البحث:

يتحدث موضوع البحث عن الزحاف والعلة (دراسة صوتية) البحر الكامل أنموذجاً وبيان دور المقطع اللغوي والمقطع العروضي في صياغة النغمة الموسيقية الشعرية.

تناول مشكلة البحث موضوع الزحاف والعلة في البحر الكامل (دراسة صوتية)، نظراً لأهمية الزحاف والعلة في المقطع العروضي والنغمة الموسيقية المتولدة عنه.

وبعد اطلاع الباحث على عدد من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع، يمكن صياغة المشكلة في السؤال الآتي: ما دور الزحاف والعلة في إبراز أهمية الظاهرة الموسيقية التي تعنى بعلم العروض؟

حدود البحث:

يشتمل البحث على النقاط الآتية: مقدمة، ودراسة تأصيلية نظرية تضمنت فيزياء الشعر، واللغة والصوت، والحرف الصائب والصامت، والمقطع اللغوي والمقطع العروضي ودراسة تطبيقية تناولت التطبيقات الشعرية على المقطع اللغوي والمقطع العروضي من البحر الكامل، وبيان إن كان هذان المقطعين يصلحان قيمة موسيقية في الميزان الشعري.

أهداف البحث:

تدرج أهمية البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- هل المقطع اللغوي في الشعر يصلح أن يكون أمثلجاً للقيمة الموسيقية

والصوتية في لغة الشعر؟

- هل المقطع العروضي يصلح أيضاً أن يكون أمثلجاً للقيمة الموسيقية

والصوتية في لغة الشعر؟

- هل البحر الكامل يمكن أن يمثل تلك النغمة المنشودة (النغمة الموسيقية)؟

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي والمنهج التطبيقي في دراسته (الزحاف والعيلة) دراسة صوتية.

إجراءات البحث:

- تم جمع المادة النظرية المتعلقة ب موضوع البحث وهي تعريف المقطع اللغوي والمقطع العروضي، وتوضيح مفهوم هذين المقطعين من خلال الأمثلة الشعرية.

- ثمنت التطبيقات الشعرية على ما سبق من ديوان النابغة تحديدا، وعلى البحر الكامل أنموذجا.

- بعد الموازنة بين المقطعين اللغوي والعروضي من الناحية الصوتية والموسيقية؛ توصلت إلى النتيجة المطلوبة ومفادها: إن المقطع العروضي يصلح أن يكون أساسا للنغمة الموسيقية الشعرية، بينما المقطع اللغوي لا يصلح لذلك.

- اطلع الباحث على الدراسات السابقة لبيان إن كانت تتقاطع مع موضوع البحث، وانتهى الباحث بخاتمة اشتملت النتائج التي توصل إليها الباحث.

خطة البحث:

تكونت الخطة من مقدمة وقسمين رئيين، هما: القسم الأول: الدراسة التأصيلية النظرية، والقسم الثاني: الدراسة التطبيقية، وانتهى البحث بخاتمة لموضوع البحث.

من الأبحاث التي تناولت الزحافات والعلل بحث بعنوان: (الزحاف والعلل وما يجري مجرياً ومتعلقاتهما) لـ: كريم مرزة الأسدية، ونشر في مجلة الأخبار الأحد 18 يناير/ كانون الثاني 2015م، ورابطه الإلكتروني:

<http://www.akhbaar.org/home/2015/1/183786.html>

وتناول فيه صاحبه: الزحافات وأنواعها مفردة ومركبة، وبيان أهمية الزحافات وأثرها في التعدد الفني لأعaries البحور وأضربها في الشعر العربي، فضلاً عن كسرها الرتابة في النوع نفسه.

كما بين الباحث مفهوم الزحاف لغة وقال عنه: إنه الإسراع، ودلل على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم، وأقوال علماء اللغة. ثم بين مفهوم الزحاف اصطلاحاً، وأتى بأمثلة عليها من خلال التفعيلات مع أبيات من الشعر، ثم عرج على عرض بعض المصطلحات، كالمعاقبة والمراقبة والمكافحة بين الحرفين، مع تدليله بالأمثلة من الشعر على أقواله.

وقد أطنب صاحب المقال في بيان الزحافات المفردة والمركبة، من خلال الأمثلة الشعرية من دون دراسة صوتية، أو دراسة مقطعة لغوية، وإنما كانت الدراسة تقليدية فحسب.

وكتب الدكتور صالح عبد العظيم شاكر بحثاً بعنوان: "الزحاف والعلة في شعر التفعيلة"، نشر في مجلة كلية دار العلوم / جامعة الفيوم بمصر في العدد 27 عام 2012م، ونشر أيضاً على شبكة الانترنت في شبكة الألوكة وهذا رابطه:

http://www.alukah.net/literature_language/0/77114

تناول البحث الزحاف والعلة من جهة كونهما قيمتان عروضيتان لازمتان للشعر، اختلف في عدة قضايا تخصهما، كارتباطهما بالتفعيلة أو البحر، كما أنهما لم

يرصدا بشكل كامل في إطار شعر التفعيلة مع ما يتبعهما من خروج على العروض وتوسيع في الوزن، وقد وقف الباحث على القول الأقرب إلى الصواب في كل قضية منه، ودعمه بالأدلة والشاهد بعد رصد الظاهرتين ووصفهما، ومحاولة إظهار الأسباب والعلل.

وجاء البحث بتمهيد عن مفهوم الزحاف والعلة وما يتعلق بهما من شعر التفعيلة، ثم تناول الموضوع الأساس وهو: موسيقى شعر التفعيلة، والزحاف بين التفعيلة والبحر، مع ذكر صور الزحاف في شعر التفعيلة وأشكاله، ثم تجاوز ذلك إلى قضية خروج الدائرة العروضية من البحر إلى التفعيلة. واللاحظ على هذه الدراسة أنها لم تنترق إلى الجانب الموسيقي من خلال وحدة المقطع العروضي أو اللغوي.

والبحث الثالث للأستاذ الدكتور محمد عبد الدايم عبد الله بعنوان: البحور الشعرية المهملة، ونشر في مجلة الألوكة على الشبكة العنكبوتية بتاريخ 10/10/2011م، وقد ركز الباحث في بحثه على البحور الشعرية المهملة التي استخرجها من الدوائر العروضية التي أوجدها الخليل بن أحمد، وقد زاد الباحث على البحور ستة التي استخرجها الخليل واحداً وعشرين بحراً مهماً، وأورد لكل بحث شواهد، وقد شارك في رأيه هذا ابن القطاع، واللاحظ على دراسته هو العناية بالبحور المهملة فقط، أما الدراسة الصوتية والزحاف والعلل المتعلقة بالبحر الكامل -موضوع بحثنا- لم ينترق إليه الباحث.

ومن الكتب التي اطلعت عليها ولها ارتباط بموضوع بحثنا كتاب: الزحاف والعلة للدكتور أحد كشك، نشر في مكتبة النهضة المصرية سنة 1995م، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب: تحدث عن الزحاف والعلل من خلال الإيقاع الشعري وضوابطها. فالكتاب جامع شامل ييد أنه مختلف عن بحثنا بالشاهد التي جاء بها

ولم تكن من البحر الكامل، ولنست من ديوان النابغة كما ارتأينا، فضلاً عن مرور الكاتب على البحر الكامل مروراً عابراً وليس عميقاً من ناحية التطبيق الشعري.

والكتاب الثاني بعنوان "المرشد إلى فهم أشعار العرب" للدكتور عبد الله الطيب، وهو في خمسة أجزاء تناول في الجزء الأول: العيوب المتعلقة بالقافية الشعرية، وتناول بحور الشعر وصنفها، بما فيها البحر الكامل الذي صنفه من ضمن بحور الشهوانية، ثم تحدث عن أوزان الشعر وموسيقاه.

وفي الجزء الرابع من الكتاب تكلم المؤلف عن البحور والقوافي والإيقاع الداخلي والخارجي، ومرّ مروراً سريعاً على المقاطع اللغوية.

إن تلك الأبحاث والكتب التي ذكرناها تتقاطع مع بحثنا في الحديث عن الزحاف والعلة ومتعلقاتهما لكنها دراسات خلت من الدراسة الصوتية المقطعة اللغوية والعروضية، ولم يكن الحديث مفصلاً عن البحر الكامل من خلال المقطع اللغوي، والمقطع العروضي، فضلاً عن الشواهد التي مرت لم تكن من الديوان الذي اعتمده في دراستي (البحر الكامل) وهذا يقودني إلى بيان أسباب اختيار البحث، لذا وجدت أن بحثنا ينفرد عن تلك الأبحاث بسمة التوسيع في الحديث عن المقطع اللغوي والعروضي مع أمثلة شعرية تدعم ذلك، والموازنة بين كل مقطع وآخر، الأمر الذي يجعل بحثنا ينفرد عنها بهذه السمات التي تجعل منه بحثاً جديراً بالاهتمام.

أسباب اختيار البحث:

بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والكتب المؤلفة في هذا الموضوع وجدت أن بحثنا ينفرد عما سبق ذكره بسمة التوسيع في الحديث عن المقطع اللغوي

والعروضي، وذلك بكثرة الأمثلة الشعرية التي أوردتها من البحر الكامل ومن ديوان النابغة تحديداً.

والأمر الآخر أن اختياري في التطبيقات الشعرية من البحر الكامل راجع لكون هذا البحر من أكثر البحور الشعرية جلجلة وحركات وفيه باب من أبواب اللين والرقة ما يجعله حلوا مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوعاً من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً خفيفاً شهوانياً (١).

والأمر الثالث: إن تفعيلات البحر الكامل هي من الفروع التي تبدأ بسبب، بغض النظر عن هذه الصيغة طويلة كانت أم بطيئة، مع بقاء الخيار الموسيقي (الزحاف) على أنه إنما من هذه الصيغة، وليس زيادة فيها.

والأمر الرابع في اختياري ديوان النابغة، أني وجدت فيه عشر مقطوعات من البحر الكامل، يتراوح عدد أبياتها من اثنين إلى ست وثلاثين بيتاً، واحدى تلك المقطوعات جاءت مجزوءة، وكان مجموع عدد الأبيات واحداً وتسعين بيتاً، وعدد التفعيلات متين وتسع وسبعين تفعيلة، من نوع متفاعلن، ومثنين وتسع وأربعين تفعيلة من نوع مستفعلن، وكانت الزيادة ثلاثة ثلاثين تفعيلة لصالح متفاعلن، وهذا النوع بين متفاعلن ومستفعلن هو من صفاء البيت بنوع واحد إلى أي احتمال بين النوعين، وهل نقول: إن النابغة أتى بمثنين وتسعة وأربعين عيّناً، وأصلح في مثنتين وتسع وسبعين مرة؟ أم أنه استخدم الرخصة بعده من المرات يقارب استخدام القاعدة الأصل؟، وأين المفاجأة في أن يذهب موقع التفعيلة في أحد اتجاهين كلاماً معروفاً مسبقاً؟ ربما نقول: إن أصل التفعيلة هو متفاعلن لزيادتها الإحصائية متان

(1) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى 1410هـ / 1990م، ج 1، ص: 108.

وسع وسبعون تفعيلة مستفعلن في مقابل مثبن وسع وأربعين تفعيلة من نوع متفاعلن، فلو أخذنا مطلع قصيدة زهير بن أبي سلمى (1).

لِمَنِ الْدِيَارُ بِقَنْتَةِ الْحَجَرِ ** أقوينَ منْ جَمِيعِ وِمِنْ شَهْرِ

وهي تقع في واحد وعشرين بيتاً من الكامل (المحد)، وجاءت عروضها فعلن وضربها فالن، فإذا حذفنا تفعيلتي العروض والضرب، وأخذنا تفعيلات الحشو وهي أربع في كل بيت - وجدنا أن عدد مستفعلن هو سبع وأربعون تفعيلة، وعدد متفاعلن سبع وثلاثون تفعيلة فهل يكون الأصل في هذه القصيدة من الكامل مستفعلن؟ لم يكن الإحصاء مرجحاً للوزن الأصلي، إنما عدم إمكانية قبول متفاعلن كوحدة أصلية.

نعم لو استطاع الشعر العربي أن يقبل أربعة أسباب متالية أو خمسة كوحدة؛ عندها يصبح لدينا نوع جديد من الشعر، ولأصبح الوزن عريضاً جداً، ولزدادت التفعيلات الأصلية والفرعية ازدياداً هائلاً، ولخضنا بحوراً جديدة لم تدخلها سفينة شاعر، ولم ير نوارس شواطئها خيال قبطان.

القسم الأول: الدراسة النظرية

أ- فيزياء الشعر- الصوت والسكون الصوتي:

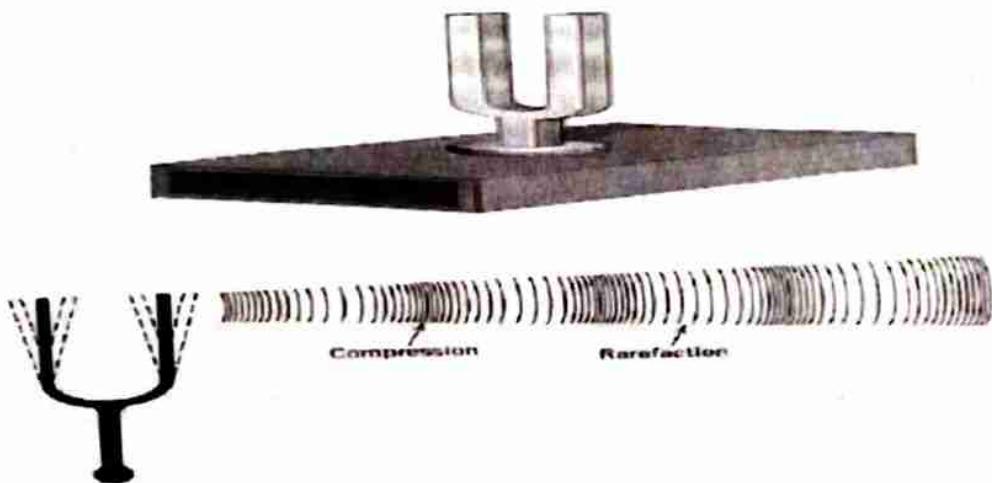
تعج الحياة اليومية بوجود الأصوات المختلفة، ولا نحكم بوجود صوت إلا عندما نسمعه، أي عندما تهتز طبلة الأذن مستجيبة لاهتزاز جزيئات الهواء الملائمة لها، وتحدث هذه الظاهرة نتيجة لاهتزاز جسم من الأجسام على نحو يؤثر على العلاقات بين جزيئات الهواء المحيطة بهذا الجسم⁽²⁾، وتنقل تلك الاهتزازات

(1) ابن أبي سلمى، زهير، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط³، 1400هـ/1980م، ص: 114.

(2) مصلوح، سعد، السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ط³، 1400هـ/1980م، ص: 25. (43)

الواردة إليه من خلال سلسلة العظيمات الثلاث إلى الأذن الداخلية، ثم عبر العصب السمعي، ثم إلى المخ، وهناك يتم تفسيرها⁽¹⁾، فالصوت إذن: الطاقة التي تصل إلى الأذن من الخارج، والتي يستمر انتشارها في حالة عدم وجود أذن لتمييزها⁽²⁾.

ومن خلال التعريفات السابقة أخلص إلى نتيجة هي: أن الصوت نوع من الطاقة يتبع عن اهتزاز مناسب لجسم مادي، والمثال التالي يوضح ما سبق:
إذا كان لدينا رنانة وضربنا إحدى شعوبتها بمطرقة سمعنا صوئاً، ويصبح هذا الصوت أكثر وضوحاً عند وضع الرنانة على علبة خشبية أي (علبة تجاوب الرنانة)، كما هو واضح في الشكل(1).



هذا الصوت الصادر عن ضرب إحدى شعوبتي الرنانة يتكون من أمواج صوتية، تنتشر في منطقة الهواء المجاور، والأمواج الصوتية تنتشر أيضاً بصورة طولية بشكل سلسلة من الانضغاطات والتخلخلات المتلاحقة.

(1) مصلوح، سعد، السمع والكلام ، ص: 25.

(2) أفرون، الكسندر، الصوت، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م، ص: 13.

ويمكن أيضاً إلصاق ذلك بوصول نابض إلى شعبة رنانة كهربائية مهتزة، وتكون الرنانة هي منبع الصوت، لها حركة تتم على جانبي وضع توازنها، وتتكرر متماثلة في فوائل زمانية متساوية. (انظر: الشكل 2).



تنتشر هذه الحركة إلى الهواء المجاور حتى تصل إلى أذن السامع، فتولد تغيرات الضغط اهتزازاً في غشاء الطبقة، ينتقل إلى بقية جهاز السمع، فيسمع الصوت⁽¹⁾.

إن تلك الأصوات التي تأتينا بختلف بعضها عن بعض بعد اهتزاز النقطة المادية حول وضع توازنها في الثانية (التواتر)، وسعة هذه الحركة بعيداً عن وضع التوازن (الشدة)، وترابك مضاعفات هذا التواتر فوق الاهتزاز الأصلي (الطبع). فلكل صوت تواتره، وشدة، وطبعه، الأمر الذي يجعله وحدة مميزة عن غيره ومثال ذلك: (شلال مياه، نقيق الضفادع، صوت سيارة الإسعاف)، أما السكون الصوتي، فهو انعدام الاهتزازات الصوتية في الوسط⁽²⁾.

(1) للمزيد انظر: ليدفوجد، بيت، مبادئ علم الأصوات الأكoustيكي، ترجمة: جلال شمس الدين

ومراجعة: سعد مصلوح، دن، الإسكندرية، 1992م، ص: 73 وما بعدها.

(2) أفرون، الكسندر، الصوت، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م، ص: 14-16.

ب- اللغة والصوت:

تعد اللغة أهم نظام رمزي يمكن للبشر أن يتواصلوا من خلاله، ويتبادلون من خلالها المعلومات والخبرات فيما بينهم، وت تكون اللغة من جانبيين.

الأول: الأصوات المنطقية المسموعة، وثانيهما: الأفكار والمشاعر وصور الأشياء المخزونة في المخ، أو ما يمكن تسميته بالمعاني⁽¹⁾.

والأصوات المنطقية المسموعة، والأفكار والمشاعر كلاهما يرتبط بعملية الاستدعاء (process of association) بمعنى: أن الصوت يستدعي المقابل له، والأفكار والصور تستدعي ما يقابلها من أصوات، فكل نظام من التداخل لا بد له من وجود شيفرة (code) وهي نظام محدد من العلامات (signs) أو الرموز (symbols) متفق عليه⁽²⁾. إذن: اللغة هي: نظام محدد متفق عليه، يتالف من رموز صوتية منطقية، وهذه الرموز أو العلامات قابلة للتشكيل، طبقاً لقواعد متفق عليها بين أهل اللغة⁽³⁾.

فالحروف مثلاً: (ج-ع-ل) مع حركاتها الفتحة؛ هي رموز بالنسبة لمستخدمي الشيفرة اللغوية، التي من خلالها يمكن أن تجري عدداً من التشكيلات اللغوية (جعل، عجل، علّج)، وبالتالي تختلف المعاني باختلاف التكوينات، وليس هذه الأجزاء في جوهرها إلا نتيجة من التداخلات التي تقوم بها أعضاء النطق في مجرى هواء الزفير، وهي تختلف كمًا وكيفًا ومكانًا.

هذه الأجزاء بتشكيلاتها المختلفة؛ ترتبط باختلاف فهمنا لمعنى الرسالة المنطقية، فضلاً عن كونها أحد العناصر في نظام لغتنا العربية.

(1) مصلوح، سعد، السمع والكلام، ص: 18.

(2) المرجع نفسه، ص: 18/19.

(3) المرجع نفسه، ص: 19.

اما اللغة غير المطروقة- وهي من الظواهر الصوتية غير اللغوية- فإنّها تصنّي على هذه الرموز الصوتية، لوناً افعالياً خاصاً معبراً عن موقف المتكلّم أكثر من كونها نافلة لأفكاره.

جـ- المقطع اللغوي: (الحركة - الحرف الصائب والحرف الصامت)
بذل علماء العربية جهداً كبيراً غير منكور في تعرّف الحركات في اللغة العربية، سواء أكانت الحركات الطوال وسموها (حروف المدّ)، وهي: الألف في قال، والياء في قيل، والواو في يقول، أو الحركات القصار، (الفتحة والضمة والكسرة)⁽¹⁾.

وكانت بداية الجهود في ذلك مع أبي الأسود الدؤلي، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم من بعدهم سيبويه، وابن جني الذي قال: (اعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي: الألف والواو والياء فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاثة وهي: الفتحة والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو)⁽²⁾.

ويبقى للحركات دورها في بناء الكلمة وموضعها، وما اختصّت به دون غيرها من الأصوات، وهو كونها علامات إعراب من ناحية دورها الحاسم في ضبط أهمّ خاصّة من خواصّ العربية، ونعني بها الإعراب، الذي هو دليل صحة الكلام أو خطّه⁽³⁾.

(1) بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 420-422.

(2) ابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ- 2000م، ص: 19.

(3) بشر، كمال، علم الأصوات، ص: 429.

أما الحديث عن الحرفين الصائب والصائب، فإن هذا من ضمن المقاطع اللغوية التي تشمل الحركة كذلك، والتي تبني عليها الأوزان الشعرية، وهذه المقاطع نوعان:

متحرك (open)، وساكن (closed)⁽¹⁾، أي قصير أو طويل، والمقطع المتحرك يتنهى بحرف لين، والمقطع الساكن يتنهى بصوت ساكن، والمقطع اللغوي هو مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة⁽²⁾، فكلمة: من مقطع، قمة الحركة، وقاعدتها: الميم والنون. والمقاطع في لغتنا قمة تشتمل الحروف الصادمة، وهي حروف العربية، عدا حروف المد إن لم تأت متحركة، إذن المقطع اللغوي هو وحدة لغوية تمثلها قمة بين صوتين⁽³⁾.

د- المقطع العروضي:

يُعرف المقطع العروضي بأنه: وحدة صوتية قد تكون من حرفين أو أكثر⁽⁴⁾، يقول الزغشري: إن أساس بناء الشعر شيئاً: أحدهما مركب من حرفين، والثاني مركب من ثلاثة أحرف⁽⁵⁾، ومعنى ذلك أن المقطع العروضي يتتألف من حرفين على الأقل، أو من ثلاثة أحرف، أو من أربعة، أو من خمسة أحرف. وهذه المقاطع ثلاثة أنواع:

(1) أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م، ص 159-160.

(2) أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص: 139.

(3) للمرزيد: انظر: أيوب، عبد الرحمن، أصوات اللغة، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م، ص: 166-169.

(4) جذوع، عزة محمد، موسيقا الشعر بين القديم والجديد، مكتبة الرشد، الرياض، ط 4، 2008م، ص 21.

(5) الزغشري، محمود بن عمر، القسطاس في علم العروض، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ-1986م، ص: 26.

الأول: السبب الخفيف، والسبب الثقيل، والثاني: الوتد المجموع والوتد المفروق، والثالث: الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى، ولا أجد مسوغاً لتفصيل الحديث عنها؛ لكونها معروفة عند دارسي علم العروض. وفي هذه الماقاطع العروضية تتوالى الحروف المتحركة والساكنة في الكلام من دون انتظام، ولكنها في الشعر تأتي في نظام يعتمد على أمرين:

أ- علاقة ترتيب داخلية ضمن المقطع.

ب- تكرار المقطع نفسه في كل شطرين من أبيات القصيدة.

ومن هنا فإن المقطع العروضي قد يختلف قليلاً عند نهايته فيعطي للفافية الـأوأنا تزيد من روعة التلقى، وهو ما يحدث للضرب من زحاف وعلل، الأمر الذي يدعونا إلى تعريف علم العروض اصطلاحاً بأنه: العلم الذي يدرس موازين الشعر المعروفة: موزونه من مكسوره، والتمييز بين أوزانه المختلفة⁽¹⁾، وما سبق يتبيّن لنا أن الشعر يعرض على علم العروض، فما وافقه يكون شعراً، وما خالفه لا يكون شعراً عربياً، إذن العروض هو البحث الذي يحيط بصفات المقطع العروضي وميزاته وشروطه، والطوارئ التي تخرجه من الشعر إلى التثر، فالزحاف الذي يأتي في المقطع العروضي (فعولن) أو (مفاعيلن) -على سبيل المثال- هو أن تقبله تلك الوحدة البنائية للشعر، (فعولن مفاعيلن...) بمعنى أن يكون في شطر البيت الشعري أنواع من التسارعات في ذات الموضع، وهو خيار موسيقي له أحکامه وقواعده، كان تقبل تعدد الألوان ربيطة العنق مرة بلون السترة، ومرة بلون القميص، وثالثة بلون البنطال. فإذا صار المقطع ثابتاً على نوع واحد وتكرر عادت التسارعات متتظمة، وأصبحت متشابهة السرعة، وعادت بالشعر رغم صيغته التكرارية ليصبح ثراً.

(1) التبريزى، الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الفكر، دمشق، ط 4، 1407هـ - 1986م، ص: 17
(49)

إن تكرار الأسباب، أو الأوتاد، أو الفواصل ليس وزناً شعرياً، وقد قيلت في أجزاء من المقطع العروضي (التفعيلة) على أنها لون جزئي، فإذا عمّ صار كلاماً مكروراً موزوناً وليس شعراً، ومن هنا تدخل هذه الألوان في المقطع العروضي على أنها تغير في أنماط التسارعات ضمن نظام غلاف لا يكسر وهو التفعيلة.

فالزحاف هو عدم انتظام جزئي في التسارع ضمن النظام العام للتسارعات، وهو ما يجعل الأذن تزداد التصاقاً بالشعر؛ لأنها وجدت التصاقاً بين علم العروض والموسيقى، فإذا كان البيت الشعري يُقسم إلى مقاطع صوتية تُعرف بالتفاعيل، وكذلك الشأن في الموسيقى؛ فإنها تقوم على تقسيم الجمل إلى مقاطع صوتية تختلف من حيث الطول أو القصر.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

أ- المقاطع اللغوية:

وقع اختياري في بحثي هذا على البحر الكامل؛ لكونه من أكثر البحور جلجلة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى يجعله فخماً جليلاً، إن أريد به الجلجلة، وفيه باب من أبواب اللين والرقة ما يجعله حلواً مع صلصلة كصلصلة الأجراس، ونوع الأبهة الذي يمنعه أن يكون نزقاً خفيفاً شهوانياً⁽¹⁾، فكان هذا البحر وجد للتغنى سواء أريد به جدًّا أم هزلًّا.

وببناء على ما قدمنا في القسم الأول نقول: هل تقبل المقاطع اللغوية أساساً للنغم الموسيقي في شعرنا؟ إن قبولاًها أمر يخصّ اللغة، لكن أن يكون النغم الشعري

(1) الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1410هـ- 1990م، ج 1 ص: 108.

عندنا حصيلة هذه المقاطع فتلك صعوبة؛ لأن المقاطع بكيفياتها لا تصلح قيمة موسيقية في الميزان⁽¹⁾.

لو أفردنا كلَّ مقطع في الميزان؛ لوجدنا تعدد النسب اللغوية التي تقابله حين النطق، أي حين الفاعلية الشعرية. لنحاول تقطيع بيتين من قصيدة واحدة للنابغة الذبياني على أساس مقطعي، لنرى كيف تكون الموازنة وهمَا من البحر الكامل⁽²⁾:

أَفِدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنْ رِكَابِنَا * مَلَأَتْ بِرِحَالِنَا وَكَانَ قَدِ

صدر البيت:

أَفِدَ التَّرَحُّلُ مَلَأَتْ بِرِحَالِنَا														
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
نَا	بَه	كَا	ر	هِنْ	هِنْ	هِنْ	هِنْ	ل	خ	رَجَ	نَثَ	نَثَ	فِ	أَ
صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ

عجز البيت:

نَثَرَلَ بِرِحَالِنَا كَانَ أَنْ														
13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1		
كَانَ			رَهْنَ	نَا	رَهْنَ	هِنْ	لَهْ	بَهْ	زَلَّ	نَثَ	نَثَ	أَنْ		
صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ	صَمْ

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلة، مكتبة النهضة المصرية، 1995م، ص: 17.

(2) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع،

1976م، ص: 93.

ما الذي نلاحظه في البيت السابق: لو أخذنا التفعيلتين الأخيرتين من الشطر الأول وهما صحيحتان وقابلناهما بالتفعيلتين الأخيرتين من عجز البيت وهما صحيحتان أيضاً نجد:

في صدر البيت المقطع: (أن) وهو يوازي (ص ح ص) يقابل المقطع (نا) (ص م). إذن هناك تغير في المقطع المقابل أي: (ص ح ص) تغير إلى (ص م). وكذلك المقطع (كا) (ص م) قد تغير إلى (ص ح ص) في (أن)

لنتنتقل إلى البيت الثاني:

رُعِمَ العَذَافُ بِنَرْهَشَادِ														
15	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
نـ	ـعـ	ـمـ	ـلـ	ـغـ	ـــ									
صـ	ـــ													

عجز البيت:

وَيَنْدَكْ خَيْرُ الدُّرَابِ الْمُنْدَدِ														
14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ	ـــ
صـ	ـــ													

ماذا نلاحظ في هذا البيت من التغير الذي جرى؟

- أ- المقطع (مل) = (ص ح ص) قد تغير في المقطع (ذا) إلى (ص م).
- ب- المقطع (رح) = (ص ح ص) قد تغير إلى (ص م) في المقطع (را)

ومن خلال الموازنة بين البيتين محمد أن المقطع (رح) = (صح ص) في البيت الأول قد تغير.

المقطع المقابل له في البيت الثاني (را) إلى (ص م).

المقطع (ما) = (ص م) قد تغير إلى (صح ص) في المقطع (نل).

المقطع (و) = (صح) قد تغير إلى (صح ص) في المقطع (بل).

المقطع (ك) = (صح) قد تغير إلى (صح ص) في المقطع (أس).

المقطع (أن) = (صح) قد تغير إلى (صح ص) في المقطع (أس).

وكذلك نجد ثباثاً مكان المقطع القصير في بعض الأحيان، الأمر الذي

يدعونا إلى السؤال: هل يمكن أن نأخذ الثبات قيمة كمية تحمل ظاهرة التردد

والنكرار، ونفضل أمر المقطع الذي توارد في مكانه بصورتين مختلفتين؟ - لكنَّ

الإيقاع لا يقبل ذلك -، وكيف يقبل وهذا المقطع القصير مكان للتغير بالزاحفة.

لِنَاتِ بِيَتِ مُزَاحَفٌ لَنْعَلَمْ أَنَّهُ لَا ضَابطٌ لِتَوَالِيِّ الْمَقَاطِعِ الْلُّغُوِيَّةِ بِصُورَةِ

مُعْتَنَةٍ، سَوَاءً أَكَانَ الْبَيْتُ فِي صُورَتِهِ الْمَثَالِيَّةِ مِنْ دُونِ زَحَافٍ أَوْ بِصُورَتِهِ الْمُزَاحَفَةِ. قَالَ

النابغة (1):

عَفَّا شَمَائِلُهُ غَزِيرَ النَّائِلِ
كَانَ ابْنَ أَشْفَةَ طَيِّبَاً أَثْوَابَهُ

كَانِبَ نَ أَشْفَهَ طَيِّبَاً أَثْوَابَهُ وَعَفْنَ شَمَائِلَهُ وَغَزِيرَ رَنَنَائِلِ

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر
ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر	ع	ر

(1) الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 211.

اخترت التفعيلة الأولى والثالثة من صدر البيت، والأولى والثالثة من عجز

البيت، لكونهما مزاحفين، واتضح لنا ما يلي:
ـ المقطع الأول (كا) = (ص. م) تحوّل إلى (ص. ح. ص) في المقطع الذي

يقابلها (عف).

ـ المقطع الأول (اش) = (ص. ح. ص) تحوّل إلى (ص. م) في المقطع الذي

يقابلها (ما).

ونوازن بين المقاطع غير المزاحفة في صدر البيت وهي التفعيلة الثانية في

صدر البيت وعجزه فنجد أن المقطع (طي) = (ص ح ص) قد تحوّل إلى (ص م) في

المقطع الذي يقابلها (هو).

ـ المقطع (بن) = (ص ح ص) قد تحوّل إلى (ص م) في المقطع (زي)

ـ المقطع (بن) = (ص ح ص) قد تحوّل إلى (ص م) في المقطع (زي)
إذن: أي مقابل وأية مراعاة للنسبة إن أطلقنا الكلم على أساس من تصور

المقطع اللغوي، وبالتالي وقع الخلط بينهما في المقاطع، الأمر الذي يجعل المقطع

اللغوي غير متماش بشكل كامل في الوزن الشعري، حيث جاء الخلط بينهما، أما
المقطع الذي ورد في القافية (لي) = (ص م) يمكن أن يتطابق مع مقطع آخر مشابه

له في القافية؛ لأنّه قرين له.

والواقع أن القافية تفرق أو تحاول أن تفرق بين المقطعين على أساس من
التردد القافوي حين التزام أحرف المد (لي) مدت الكسرة فصارت ياءً.

لتأخذ البيت التالي المزاحف أيضًا، لنعلم أنه لا ضابط لتواتي المقاطع

اللغوية بصورة معينة، سواء أكان هذا البيت في صورته الكاملة، أو في صورته

المزاحفة، قال النابغة⁽¹⁾:

1) الذهبي، النابغة، ديوان النابغة، ص: 73.

الكلمات، فضلاً عن الماء										وآخر ذلك غير الماء	
غير الماء					غير الماء					آخر ذلك	غير الماء
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح
ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح	ص	ح	ص	ص	ح

لو أخذنا المقطع الأول من صدر البيت (واهجرهم) وهو متفاعل، وأخذنا المقطع المقابل له (حتى تلا) متفاعل، ثم وازنا بين المقاطع اللغوية فيهما، فإننا لا نجد توافقاً مقطعيّاً لغوياً، إذ نجد في التفعيلة الأولى المقطع اللغوي (جر) = (ص ح ص) يقابل المقطع (تي) = (ص م) في التفعيلة الأولى من عجزه (ص ح) في أكثر من مكان، ونجد المقطع (دي) = (ص م) يقابل المقطع (ش) = (ص ح) في أكثر من مكان أيضاً، والمقطع (ق) = (ص ح) يقابل المقطع (حا) = (ص م) وقد توافقت مع باقي المقاطع.

إذا أطلقنا الكل على أساس من تصور المقطع اللغوي؛ فإننا لا نجد أي مقابل وأي مراعاة للنسبة، مع أنني مثلت بمقاطعين مختلفين وجود أحدهما عن الآخر، هذا الوجود لم يتماشاً كاملاً كما جاء في الوزن إذ جاء الخلط بينهما ويفسّي المقطعان اللذان حكمنا بورودهما قافية؛ لأنهما قريناً الوقف هنا (هو) = (ص. م) مقابل (حا) = (ص. م) في شحاجا.

ماذا نستنتج؟ نقول: إن الوحدة المقطعيّة أنموذج جامع، أما المقطع اللغوي - كما ورد من أمثلة سابقة فلن يكون جامعاً، وهنا أطرح السؤال الآتي: هل موسيقى الشعر في بنائها اعتمدت على أساس من ترتيب المقاطع اللغوية ترتيباً خاصاً؟

الجواب: لا، ذلك لعدم اطراد المقطع وعدم ثباته.

فالمقاطع اللغوية وحدها لا تمثل إيقاع الشعر؛ لأننا لا نستطيع أن نحوال المقاطع اللغوية إلى كمٌ موسقيٌ، مع إمكانية رصد التفعيلة الموجودة على أساس مقطعيٍ على سبيل التجوز، ونستطيع أن نسجلها مقطعيًا كنوع من تحليلها، أو رؤيتها من منظور واحد، مع أن رؤيتها تحتاج إلى عديد من المنظورات⁽¹⁾.

والجدول التالي رصد للمقاطع مزاحفة وغير مزاحفة من البحر الكامل، للاحظ كم التفعيلات (تامة ومزاحفة) على أن ندرك العدد المقطعي يراعي كم المقاطع لا كيفها.

جدول المثال والزحاف للبحر الكامل وقد استرشدته من كتاب الزحاف والعلة للدكتور أحمد كشك⁽²⁾.

الجدول الأول: المثال والزحاف:

النحو	رسد النص												النحو
	رسد النص												
رسد النص													
١	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧

الجدول الثاني: المثال والعلة:

النحو	رسد النص												النحو
	رسد النص												
رسد النص													
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلة، ص: 173.

(2) المرجع نفسه، ص: 175.

من المقص المقطعي السابق في الجدولين: (المثال والزحاف)، و(المثال والعلة) لمجد أن الإضماء والوقص والخزل قد غير العدد المقطعي من خمسة مقاطع إلى أربعة، وفي جدول (المثال والعلة) لمجد أن عدد المقاطع قد تغير من خمسة مقاطع إلى أربعة وبقي العدد على حاله في حالة التذليل.

هذه الزحافات والعلل في واقعها صورت التفعيلات، إذ ينقص المقطع مع تغير صورته، كما هو واضح في الجدولين السابقين، وهذا ما يدعونا إلى استغراب استخدام المقطع، إذ الحذف لا يغير من كم المقاطع، بينما الإسكان يقلل من كمها، فاملا المقطع باعتباره تصوّراً لكم في موسيقى الشعر لما يسّره من عدم إمكاناته على قطع الدائرة، بينما نفكّ بحراً من البحور، وهذا يعطي قيمة لما يسمى بالوحدات اللغوية التي تكون التفعيلة⁽¹⁾، وهذه قضية اختلفت فيها الآراء.

وبناء على ذلك نقول: إن حلّ أعراض العروضية على طريقة المقاطع اللغوية غير دقيق، ذلك أن كل عروض إنما هو شكل موسيقي تام ذو أبعاد زمانية ثابتة النسبة بعضها إلى بعض، وليس مجرد مقاطع طوال وقصائد تدلّ على كم كلامي، وهذه الأبعاد الزمانية هي نزلة القوالب من المقاطع اللفظية⁽²⁾. كل ذلك يدحض القول أن يكون المقطع اللغوي مصدر كينونة الشعر

العربي.

ب - المقاطع العروضية:

بعد دراستنا المقاطع اللغوية؛ لا بدّ لنا من التعرّيج على الوحدات التي تمثل الإيقاع الموسيقي، ألا وهي المقاطع العروضية، التي يُعرف من خلالها الحركات

(1) كشك، أحمد، الزحاف والعلة، ص: 182/183.

(2) المرجع نفسه، ص: 180.

والسكنات المعتمدة الرتيبة (الدَّة)، أو التقرة التي تتحققها الوحدات الصغرى في المقاطع العروضية، ولا تتحققها استقلالية المقاطع، أو المتحرّكات والسواكن، ومن هذه الوحدات فإن الإيقاع يصير عرضة للتسلّي المكرّه لغويّاً وموسيقيّاً، وهذا يجعلنا نقول: إن أساس موسيقاً الشعر هو الدَّة أو (الرَّتيبة). فالسبب الخفيف مثلًا هو تصور للدَّة (تن/ه) وهذه الدَّة يقابلها ما لا حصر له من الأصوات التي تمايلها، فالتساوي حاصل بين (هـ/دـ) و(لـ/هـ) و(تـفـ/هـ) و(مسـ/هـ)... وغيرها.

وهنا نطرح السؤال الآتي: هل السبب الخفيف وحدة مستقلة؟

والجواب: لا، لأننا لو اكتفينا به لوقعنا في التوالي: (تنـ/هـ/تنـ/هـ-تنـ/هـ)، وهذا ما تأبه اللغة، فكيف يقبوّلها في مستوى موسيقاها؟

وتأتي دَة ثانية هي (دـدـنـ/هـ) أو (تنـ) وهي وحدة الوتـد المجموع، ومقابـلاتها اللغـوية كثـيرة لا تـخصـى، والأـمر عـيـنه مع الوـتـد المـفـرـوق (تنـ تـ/هـ) وهي نوع آخر من التوزـيع النـغمـي لـكسر الرـتابـة، وهي دَة تـحـمـل إـيقـاعـاً في إطارـه الموسيـقي لـه ما يـسـوـغـه.

وتـأتي الفـاـصـلـة بـنـوـعـيـها (دـدـنـ//هـ) الصـغـرـى، وـهـي تـشـكـيل يـمـنـعـ الرـتابـة، وـكـلـ ما ذـكـرـناـه آـنـفـاـ يـعـطـي تـصـوـرـاـ موـسـيـقـيـاـ خـاصـاـ لـتـخـفـيفـ الـكـتـلـةـ وـخـاصـةـ الفـاـصـلـةـ، وـذـلـكـ يـأـيـجـادـ سـكـنـةـ يـتـقـبـلـهاـ إـطـارـ الـوزـنـ الشـعـريـ.

سنـحاـولـ باـخـتـصـارـ شـدـيدـ أـنـ نـبـيـنـ دـورـ الدـةـ وـإـظـهـارـ ماـ يـسـمـىـ (ـبـالـظـاهـرـةـ)،ـ الـتـيـ يـحـافـظـ مـنـ خـلـالـهـ عـلـىـ نـسـبـ مـعـيـنـةـ مـنـ الـمـقـادـيرـ،ـ وـذـلـكـ بـمـقـارـنـتـهـاـ بـالـقـطـعـ:ـ

• تصـوـيرـ الدـةـ عـلـىـ أـسـاسـ مـقـطـعـيـ،ـ وـنـاخـذـ تـفـعـيلـةـ مـنـ الـبـحـرـ الـكـامـلـ (ـمـوـضـوعـ بـحـثـاـ):ـ مـتـفـاعـلـنـ:ـ مـثـالـيـةـ،ـ وـمـتـفـاعـلـنـ:ـ مـضـمـرـ.

عِلْن	فَا	مَتْ	عِلْن	فَا	مَتْ
دَدْن	دَنْ	دَنْ	دَدْن	دَنْ	دَدْ

و كذلك فاعلاتن:

تن	لا	ع	ف
دن	دن	د	دن

وَمَنْفَعْلَنْ:

لن	تفع	مس	علن	تف	مس
دن	دن د	دن	ددن	دن	دن

ن الناطق بهذه الوحدات لا يحسن بأي توازن موسيقي على أساس هذا

النطق المقطعي.

لأخذ بيئاً غير مزاحف في صدره من البحر الكامل، ونحن نعلم أنه قلماً
يأتي البحر الكامل خالياً من الزحاف؛ لنسخرج منه نظاماً محدداً للنقرة، قال
التابع (١):

يذهب الجواد بسرجه ولجامه	والعنـس تـخـطـر فـي الـيـعـانـي الـكـامـل
يـهـبـ جـواـ	دـبـسـرـجـهـ
وـنـجـامـهـ	وـنـجـامـهـ

(1)الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 211.

(59)

ومقاطع هذا البيت مقابلتها بالنقرة:

العنوان

ریال عرضی	نیزه کاری	نیزه کاری
0.00	0.00	0.00
ریال	نیزه	نیزه
نیزه	نیزه	نیزه
نیزه	نیزه	نیزه

وأعلق على صدر البيت لكونه حالياً من الزحاف وأقول: هل يمكن قبول
الدّة هنا وحدها إيقاعاً على أساس من التصور المقطعي حين الإنشاد؟ وهل في
إطلاقها ما يوحى بأي نعم؟ أو أن كم شملها في إيقاع تفعيلي هو الذي يخلق منها
سمة موسيقية أساسها وحده السبب والوتد؟

كان ذلك لصدر بيت من الكامل لم يدخله الزحاف، لذا خذ بيته مزاحفًا من

البحر الكامل أيضًا، قال النابغة⁽¹⁾

وانتهی وذکر تصدق ولا تكذب		
في ولا تكذب	ذكر لغير من ذوى	وسن في وذ
0/0/0	0/0/0	0/0/0
كتاب بعض بذغرب ملها		
من حلها	ض بخارون	كتاب بعض
0/0/0	0/0/0	0/0/0

(١)الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: ٧٣.

(60)

د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د
لص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص	ص
دك	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د	د
ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د	ق و د
نكن												

اليس غريباً أن تكون الصورة المزاحفة في تواليهما أدق توازياً على ذلك الأساس المقطعي من الصورة المثالية.

فالدلتة إذن لها سكتة معينة، وإذا مئلنا المقطع بدلتة؛ فإن دلتة الحرف المتحرك لا تحسن من خلاها نقرة توحى بالإيقاع إلا باتصالها مع ما بعدها، أي بالتحاقها مع مقطع يتلوها. فلتتمثل البيت التالي من قول النابغة⁽¹⁾:

عَنْ يَكَادُ مِنَ النَّطَافَةِ يَغْزِدُ	بِمُخْتَبِ رَخْصِ كَانِ بِنَاهِ
بِمُخْتَبِ رَخْصِ كَانِ بِنَاهِ	بِمَخْضُضِ ضِبْنِ
نَبْ نَاهِنُو	رَخْصِنَ كَانِ
0/0/	0/0/0
عَنْ يَكَادُ مِنَ النَّطَافَةِ يَغْزِدُ	عَنْ مِنْ يَكَا
فَهَبْ قَدْو	دَمَنْلَ نَطَا
0/0/	0/0/0/

لقد أطلق الساكن والمتحرك، فهل من الممكن تكوين دلتة على هذا الأساس؟ والجواب: لا، والسبب: هذا العدد على أساس من المتحرك والساكن لا ينبع من خلاله تواليه أي إمكانية موسيقية، ولا يمكن جعلهما أساساً لرؤبة الإيقاع؛ إلا إذا كان المقصود هو التدليل على المتحرك والساكن في إطار وحدته الصغرى، أو في إطار تفعيلته؛ لأنه استقلال لكتابه، بل هو مفهوم في إيقاع كتلته، فهو ضابط لها ومقيد لإطلاق حركتها.

(1)الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 97.

لقد رأينا كيف صاغ التصور المقطعي للدّة، ويرجع ذلك لإطلاق
د/ دن/ ددن/ من دون اعتماده على كتلة تضبط بالساكن.

إذن الوحدة الصغيرة هي أساس الإيقاع، وهي جزء صغير من وحدة أكبر
هي: التفعيلة، والوحدات التي تكون أجزاء التفعيلة مشمولة في العبارة الآتية:

سكة	جبل	ظهر	عن	أز	ند
0///	0//	/0	0/	//	0
فاصلة كبيرة	فاصلة صغيرة	وتد مفروق	وتد مجموع	سنتين	سبط حليف

ما ميزة هذه الوحدات؟ ميّزتها أنها مسجل إيقاعي للدّة التي تصاغ منها
التفعيلة، إنّها كتلة أولى تمثل الجزيء الأصغر للإيقاع الموسيقي⁽¹⁾، التي تُعبّر عنها
بـ: (تن) للسبب الثقيل، وـ: (تـ تـ) للسبب الثقيل، مع العلم أنّا لم نلمع عدم
إيجائها باستقلالها العام داخل الدّة إلا من خلال سكتة ضعيفة وهو جزء من وحدة
أكبر هي الفاصلة الصغرى (تنـنـ // 0//0).

والوتد المجموع (تنـنـ // 0)، والمفروق (تنـ تـ) والفاصلة الكبرى
(تنـنـ // // 5) وهي جماع عدّة مزاحفات في (مستفعلن) عندما يدخلها الخبر:
(مسـ تـفـ عـنـ = مـتـ فعلـنـ).

أما التذليل والترفيل؛ فإنّ وقعهما الموسيقي يترك في النهاية رحابة يقيّمها
المشد أو المطرب حين ينهي أغنته بتطوّيل آخر مقطع في الكلمة الأخيرة.

(1) كشك، احمد، الزحاف والعلة، ص: 195.

الصوريات، نصوصاً ورسائل

تلك الوحدة غير مستقلة تماماً في عروض الشعر العربي، لأنها جزء من وحدة أكبر هي الفاصلة الصغرى، وهذه الوحدات مدخل أساس لتكوين كم الإيقاع الشعري، التي من خلالها تتكون التفعيلات، مع الإشارة إلى أن المكونات الصغرى تجتذب نصناً كثيراً عند الاعتبار المقطعي، لأنها أوجدت الأرضية للإيقاع في صورة متظاهرة⁽¹⁾.

ونذكر الآن بعضاً من الإيقاعات الشعرية على أساس من الوحدات المقطعة أو الديقات، راصدين ما يطرأ عليها من تغير، والمهدف من الرصد: الإحساس بأن الإيقاع في تكويناته الصغرى يأتي عن طريق هذه الوحدات التي تزداد من خلال نسبة ومقادير ثابتة، ومن أجل الفاعلية الشعرية فقد تغير تلك الوحدات، ولكن بحدود الفارق بين المثال والسياق، أي التغير يخرج من نسبة لبراعي نسبة جديدة، قال النابغة⁽²⁾:

بنجاء مضطط السرى موار			ولقد أسلى الهم حين ينوبني			
موار	بنجاء مض	طلع سرى	ن ينوبني	لل هم هي	ول قد أسل	
0//0/0/	0//0///	0//0///	0//0///	0//0/0/	0//0///	
دن دن دن	ندن ندن	ندن ندن	ندن دندن	دن دندن	ندن ددن	

نلاحظ أنه قد رُوعيت الدقة في صدر البيت بين التفعيلات: الأولى والثالثة، والتفعيلة الأولى والثانية في عجز البيت.

(1) كشك، أحد، الزحاف والعلة ، ص: 95.

(2) الذهبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 104.

الفعيلة الأولى في صدر البيت هي: (ددددددن) قابلت تماماً مثيلتها في عجز
البيت التفعيلة الأولى (ددددددن).

إذن هنا المسافة بين الدينات محسوبة ومحددة. وماذا لو كانت هذه الدينات
مزاحفة. لتأخذ البيت الثاني مزاحفةاً من قول النابغة⁽¹⁾:

يستئن في شئ المجدبل وينتحي			فعل الخلية في الخليج الجاري		
يبيش قلبي	تني ل جدي	ل وين تحى	فطل خلي	بة هل خلي	حل حاري
0//0/0/	0//0///	0//0/0/	0//0///	0//0/0/	0//0/0/
دن دن دن	دن دن دن	دن دن دن	دددن ددن	دن دن دن	دن دن دن

فتحن أمام (دن دن ددن) التفعيلة الأولى في صدر البيت مقابل (دن دن
ددن) التفعيلة الأولى في عجز البيت بعد المزاحفة، وفي هذا التغير يفهم أن الزحاف
قد أحدث تغييراً ما لذلك الإيقاع، الأمر الذي حول نمطيته من تفعيلة غير مزاحفة
(دددن ددن) إلى (دن دن ددن) بعد المزاحفة، إذن نحن أمام وحدة مكونة أصلاً من
(دددن دن) وهي حصيلة إيقاع سابق مكون من (دن-دن-ددن) في المزاحفة.

ونلاحظ أيضاً أن البيت الثاني المزاحف؛ لوجاء كله مزاحفأً بتفعيلاته لكان
صورة مثالية لبحر الرجز، ففاعالية الموزون قربت من مثالية الميزان من دون ارتباط
بين الميزان ووزنه.

(1)الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 104.

وَمَا يَكُن التَّمثِيلُ بِهِ عَلَى الزَّحافِ فِي الْعَرْوَضِ وَالضَّرْبِ فَلَقِطَ، وَيَعْدُ مَثَلًا
أَوْ فَرِيَّا مَهْ قَوْلُ النَّابِغَةِ⁽¹⁾

نَظَرَ اسْتَقِيمَ إِلَى وُجُودِ الْمُعْوَدِ			نَظَرَ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لِمَ تَفَضَّلُهَا		
هُنْ عُوْدَيْ	هُنْ وَهُوَ	نَظَرَ مُدْرِسٍ	لَدُنْ سَهَا	لَدُنْ بَحَاجَتِنْ	نَظَرَ بَلِي
0//0/0/	0//0///	0//0///	0//0/0/	0//0///	0//0///
هُنْ تَنْ تَنْ	هُنْ تَنْ تَنْ	هُنْ تَنْ تَنْ	هُنْ تَنْ تَنْ	هُنْ تَنْ تَنْ	هُنْ تَنْ تَنْ

رُوِيَ هُنَا الدَّقَّةُ لِهَذِهِ الدَّيْنَةِ لَوْزَوْحَفَتْ، وَهَذَا مَا نَجَدَهُ فِي الْبَيْتِ التَّالِيِّ الَّذِي
يُرْضِحُ ذَلِكَ وَيُؤْكِدُهُ، قَالَ النَّابِغَةُ⁽²⁾:

لَا يَقَايَا دَمْنَةُ وَأَوَارِي			دَارِنْ تَعْفُ لَا أَنِيسُ بِجَوْهَا		
وَأَوَارِي	يَلْمَنْ تَنْ	إِلْ لَبَّا	مِنْ بِجَوْهَا	فَتْ لَأَنِي	دَارِنْ تَعْفُ
0/0///	0//0/0/	0//0/0/	0//0///	0//0/0/	0//0/0/
تَنْ تَنْ تَنْ	تَنْ تَنْ تَنْ	تَنْ تَنْ تَنْ	تَنْ تَنْ تَنْ	تَنْ تَنْ تَنْ	تَنْ تَنْ تَنْ

نَجَدَ (تَنْ-تَنْ) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ فِي التَّفْعِيلَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ تَقَابِلَانِ (تَنْ-تَنْ)
فِي عَجَزِ الْبَيْتِ، وَكَذَلِكَ (تَنْ) فِي صَدْرِ الْبَيْتِ تَقَابِلُ (تَنْ) فِي عَجَزِهِ، أَمَّا فِي التَّفْعِيلَةِ
الثَّالِثَةِ فَنَجَدَ (تَنْ) تَقَابِلُ (تَنْ) فِي عَجَزِهِ لِأَنَّهَا مَزَاحِفَةٌ فِي الثَّانِيَةِ.

(1) الْذِيَانِيُّ، النَّابِغَةُ، دِيْوَانُ النَّابِغَةِ، ص: 97.

(2) الصَّدْرُ نَفْسُهُ، ص: 198.

إن رصد كل زحاف أو علة على أساس من تحويل الوحدات الصغرى في تكون التفعيلة إلى وحدات أخرى أمر سهل ويسور، لتصور ذلك من خلال التفعيلة في تفعيلات البحر الكامل - موضوع بحثنا

هذا التحول عن طريق الزحاف عنصر الوتد المسمى بـ (ددن) لا يتعرّض إلى التغيير أو التحول، وهذا يؤكد قوته وأهميته في الإيقاع الموسيقي، فضلاً عن رؤيتنا قيمة الحرف الساكن في كونه ضابطاً للإيقاع. فالتفعيلات صحيحة أو مزاحفة هي كم له مداء الذي يتفق وإيقاع اللغة المنطقية، والكمبة هي وحدات معينة تحددت أطوالها: متفاعلن (//0//0) = (مت-فا-علن): سبب تقيل وخيف، ووتد مجموع، وهذا الزحاف الذي تم في التفعيلات السابقة، وإن كان تغييرًا فإن لدى الموزون والميزان قبولاً موسيقياً لتلك الزحافات التي لم يختل الإيقاع الموسيقي بوجودها، إنما زادها رحابة وغنى. والزحاف عندما يحدث تغييرًا محدودًا لإيقاع هذا اللحن وهذا التغيير يقبل، لأنه كسر لنمطية التكرار⁽¹⁾.

إن المزاحفة تحدث توازنًا موسيقيًا تميّز به بحراً عن آخر.

ففي الكامل - مثلاً موضوع بحثنا - هل بقاء الوتد المجموع في حال التفعيلة لم تمحى يُعدّ وسيلة يحافظ بها على موسيقية البحر؟ بمعنى آخر: إن كثرة الزحافات الواردة هي أساس الإيقاع الشعري وحده، وفي الوقت عينه هو تفسير يرى دور الكمية في الإيقاع الشعري إذا أخذ البحر (حذف الوتد المجموع) فهذا أمر مقبول؛ لأن تفعيلته متكررة، بينما لا يكون هذا مقبولاً في بحور أخرى.

(1) كشك، أحد، الزحاف والعلة، ص: 210.

ولتتظر إلى البحر الكامل من ناحية مجده تماماً وعجزه، والجزء له تصورات مختلفة باعتبار نهايته، وصورته المثلثي: مُتَفَاعِلٌ-مُتَفَاعِلٌ-مُتَفَاعِلٌ، لكنني لم أجده في ديوان النابغة، فلم يخل بيت على البحر الكامل من الزحاف، قال النابغة^١

وقال النابغة في ذات القصيدة:

حولي بنود دان لاي عصوني و بنوغيض كله مانصارى

حولي بنوددان لا يعصونني / وبنو بغيضن كللهم أنصارى

الملحوظ على صدر البيت الثاني أنه صورة مثالية لبحر الرجز، ففاعلة

الموزون قريبة من مثالية الميزان، من دون ارتباط بين الميزان وموزونه.

ونحن نعلم أن بحر الرجز قلما يأتي غير مزاحف، فزحافه تفريق له عن البحر الكامل.

بم نخرج بعد مزاحفة البيت الشعري أو البحر إن كان كاملاً أو مجزوءاً، هل يمكن أن يكون الكلم أساساً لفهم الإيقاع؟ لا أظن ذلك؛ لأن صور البحر المختلفة توحى أنه بحاجة إلى اعتبارات أخرى من المدّة والسكتة والتوازن الداخلي، حتى يكون صالحاً لحمل إمكانات الموسيقى التي ترتبط بالفاعلية الشعرية، والتي أراها حية منحرفة، تحسب فيها طريقة إلقاء المتكلم، وطبيعة صوته، وما تحمله من مرونة في تقبل كثير من التغييرات وجعلها مطلبًا أساسياً لموسيقاها.

¹⁰⁴ (الذبياني، النابغة، ديوان النابغة، ص: 104).

ونلاحظ أيضاً - وهو معلوم - أنه من النادر أن يخلو بيت في الكامل من المزاحفة كما أنه من النادر أن يزاحف بيت كله مع ملاحظة ثبات العدد لما يسمى بالوتد المجموع، كما أن الزحاف وإن كان قد أحدث تغييراً في الديات فإن لدى الميزان والموزون معًا ما يحقق قبولاً موسيقياً لتلك الزحافات التي لم يختل الإيقاع الموسيقي بوجودها، إنما زادها رحابة وغنى، وهو حين دخل على تفعيلات البحر الكامل، وأحدث تغييرًا محدودًا لإيقاع هذا اللحن، لكن هذا اللحن يظل مقبولاً، لأنه كسر لنمطية التكرار.

إن الحقل الذي دار حوله البحث صعب، والموضوع الذي اشتمله قاسٍ وشاق؛ لأن نظام الشعر ينبع على التفسير الإيقاعي، بل على نظام اللغة عنها. وإن محاولة البحث عن القيم الموسيقية والصوتية في لغة من اللغات، والوصول إلى استخراج ذلك أشبه بغواص في عمق البحر السحيق الذي يبحث عن لآلئ نادرة. ومن هنا أحاول متواضعاً أن أصل إلى النتائج التي توصلت إليها في بحثنا هذا، مع اعترافي بصعوبة التأكيد من سلامة تلك النتائج، وإن كان عملي يؤمن بصحتها؛ وذلك أن هذا الجهد في مثل هذا الموضوع يبقى متواضعاً؛ ذلك لأن الشعر في جانبه الإيقاعي يحتاج إلى جهد متواصل ومتثالٍ يترك السابق للاحق ضوءاً يهتدى به.

وها أنا أرصد ما توصلت إليه من نتائج بكل تواضع:

- 1- إن إيقاع الشعر يتم من خلال تكاتف الكلمة والثبر والوحدات وتداخلها مع بعضها، والأمر الآخر إن تفسير الزحاف والعلة لا يمكن أن يكون قریناً ضابط واحد، ففهمهما يحتاج إلى اعتبارات صوتية وموسيقية ونظرية.
- 2- أبان البحث أن الإيقاع الموسيقي يتالف من جزأين هما: الزحاف والعلة، بمعنى أن تفسير الزحاف هو تفسير للإيقاع الشعري.
- 3- حاولت أن أبين أن نظام الإيقاع الموسيقي في الشعر العربي نظام دقيق، وأن الأسباب والأوتاد التي هي مكونات الوحدات (التفعيلات) هي خير ما يصور إيقاع الشعر خير تصوير ولم يقبل البحث اعتبار المقطع اللغوي مصوّراً للإيقاع لكونه لا يمثل كلّ ما ورد في إيقاع الشعر.
- 4- حاولت في البحث أن أبين أوزان الشعر العربي (النموذجاً البحر الكامل) أنها حكم صالح يحوي كلّ ما يرد في إيقاع اللغة، ويصلح أن يمثل صورة

الإنشاد لكون التفعيلات أنموذج كمية تحوي ضمنها عدداً من النسب الزمنية، حيث جاء (متفاعلن) بصور متعددة بحسبان الزمن وليس صورة واحدة.

5- إذا تصورنا إيقاعاً شاملأ للبيت والقصيدة؛ فلا يتم ذلك إلا من خلال الزحاف والعلة غير منعزلة أو منفردة، أي أنها تفهم من خلال إيقاع البيت الشعري.

6- لم يتطرق البحث بشكل مفصل إلى آراء الباحثين عن المقطع اللغوي ودوره في الإيقاع وذلك لساحته الواسعة والبحث لا يحتمل ذلك.

7- دلل البحث من خلال ما سبق وبشكل إيجائي أن الخليل بن أحمد الفراهيدي كان ذا عبقرية فريدة في اكتشافه علم العروض وكل ما يتعلق به.

ذلك ما توصلت إليه في بحثي من جزئيات وتصورات في ثابتا البحث، وهي مقتصرة في وجودها على المثال الموافق للقاعدة.

والبحث وما فيه من إيجائيات-حسب فهمي-مرد ذلك إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن بعده علماء العربية، وهوأن لغتنا العربية شعرها ونشرها لها نظامها الحكم في أذهان هؤلاء العلماء وعلى رأسهم مكتشف علم العروض.

وفي الختام أحسب أن الجهد الذي قدمته هو محاولة لتفسير إيقاع الشعر، فإن أصبحت فلي أجران وإن أخطأت فلي أجر، والله من وراء القصد.

- ابن أبي سلمى، زهير، *ديوان زهير بن أبي سلمى*، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1400هـ-1980م.
- ابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، *سر صناعة الإعراب*، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ-2000م.
- أفرون، الكسندر، *الصوت*، ترجمة: محمد عز الدين فؤاد، دار الكرنك للنشر والطباعة، القاهرة، 1962م.
- أنيس، إبراهيم، *الأصوات اللغوية*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1992م.
- أيوب، عبد الرحمن، *أصوات اللغة*، مكتبة الشباب، مصر، الطبعة الثانية، 1968م.
- بشر، كمال، *علم الأصوات*، دار غريب، القاهرة، 2000م.
- التبريزى، الخطيب أبوذكرى يحيى بن علي، *الوافي في العروض والقوافي*، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1407هـ-1986م.
- جدوع، عزة محمد، *موسيقا الشعر بين القديم والجديد*، مكتبة الرشد، الرياض، ط4، 2008.
- الذبياني، النابغة، *ديوان النابغة*، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، 1976م.
- الزمخشري، محمود بن عمر، *القسطاس في علم العروض*، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ-1986م.

- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم اشعار العرب، دار الآثار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
- كشك، أحد، الزحاف والعلة، مكتبة النهضة المصرية، 1995م.
- ليدفوجد، بيتر، مبادئ علم الأصوات الأكoustيكي، ترجمة: جلال شمر الدين؛ مراجعة سعد مصلوح، دن، الاسكندرية، 1992، ص: 73 وما بعدها.
- مصلوح، سعد، السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1400هـ-1980م.

دراسة كمية المُصوّتات لدى اللغويين

العرب القدامى

في ضوء علم الأصوات الحديث.





دراسة كمية المصوات لدى اللغويين العرب القدامى في ضوء علم الأصوات الحديث

د. فرح ديدوح
جامعة أبي بكر بلقايد - (تلمسان) ساجزائر -

نهاية:

درس اللغويون العرب - قدماء ومحديثون - الخصائص الصوتية أو الأصواتية للمصوات طويلاً وقصيرها، بأن وصفوا خارجها بعد أن أحصوها، كما لم يهملوا الحديثاً عن علاقة المصوات القصيرة بالطويلة مخرجاً وكما، فمعظم المصوص التي أثرت عليهم تنص على أن الحركات أبعاض حروف المد واللين؛ لذا سناحول في هذا البحث استقراء بعض النصوص والأقوال التي أقرها علماؤنا القدماء عن كمية المصوات وموازنتها بما أقره علم الأصوات الحديث.

أورد النحاة واللغويون القدماء بعض الإشارات في مؤلفاتهم تنص على العلاقة الكمية بين مختلف المصوات، منها أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، أو أنها جزءاً منها⁽¹⁾، وقد أشار ابن جني (ت 392هـ) إلى هذه العلاقة صراحة

(1) أبو العباس المبرد، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999م، 1/237، والزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: زكي المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط 6، 1996م، ص: 123، وابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، المنصف، تحقيق: محمد عبد القادر أحد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، ص: 273-274، 274-275، وابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت - لبنان، دط، 2006م، ص: 515، والقرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي، الموضع في التجويد، ضبط: أحد فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص: 24 / 25.

يقوله: إن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو،
لوكما أن هذه الحروف ثلاثة؛ فكذلك الحركات ثلاثة، وهي: الفتحة والكسرة
والضمة. فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد
كان المتقدمون من النحويين يسمون الفتحة: **الألف الصغيرة**، والكسرة: **الياء**
الصغيرة، والضمة: **الواو الصغيرة**⁽¹⁾. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، إلا
ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف تواأم كوامل، قد تجدن في بعض
الأحوال أطول وأتم منهان في بعض، وذلك قوله: يخاف وينام، ويسيير ويطير،
ويقوم ويسمون، فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الممزة أو
الحرف المدغم أزددهن طولاً وامتداداً، وذلك نحو: يشاء ويداء، ويسموه وييهوه، وييجي،
وييفي، وتقول مع الإدغام: شابة ودابة، ويطيب بكر، ويسيير راشد، وثمود الثوب،
وقد فوض زيد بما عليه، أفلأ ترى إلى زيادة المد فيهن بوقوع الممزة والمدغم بعدهن،
وهن في كلاً موضعهن يسمين حروفًا كوامل؛ فإذا جاز ذلك فليس تسمية الحركات
حروفًا صغارًا بابعد في القياس منه. ويدل ذلك على أن الحركات أبعاض هذه الحروف
أتك متى أشبعت واحدة منهان حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه⁽²⁾.

تبه بن جني إلى أن الفرق بين المضادات القصيرة أو الحركات كما يسميهها،
 وبين المضادات الطويلة أو حروف المد واللين لا يعدو أن يكون فرقاً في الكمية؛

(1) أورد هذه التسمية أي الحروف الصغيرة-في باب مضارعة الحرف للحركات والحركات للحرف، ابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 2006م، ص: 514.

(2) ابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، *سر صناعة الإعراب*، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 2007م، 1/33، 34، والموضع في التجويد، ص: 24 / 25.

فالألف فتحة مع زيادة في الكمية، وكذلك الياء هي كسرة مع زيادة في كعبيها،
والكلام نفسه يقال عن الواو.

وقد عبر بن جني عن الفارق في الكمية بين المصوتات الطويلة والقصيرة بـ^{بعض}، ومعلوم أن بعض في اللغة يقال لـما لم يُعرف مقداره، فقد أجمع أهل النحو على أن بعض شيء من أشياء، أو شيء من شيء⁽¹⁾. وقال الليث: وبعضاً كل شيء طائفة منه⁽²⁾. ولعلَّ بن جني قصد التعبير عن هذا الفارق بـبعض لأن كمية المصوتات الطويلة لم تكن محلَّ اتفاق بين النحاة؛ خاصة بين القراء، فقد أشار بن الجزري أن مقدار الألف حركتين، والحركة بمقدار حركة الإصبع⁽³⁾. أما تصور العيني (ت 855هـ) لهذا المقدار ف مختلف، يقول: والمراد بالبعض: الحركات الثلاث، وذلك لأنَّ الألف مركبة من فتحات ثلاث، والواو من ضمات ثلاث، والياء من كسرات ثلاث⁽⁴⁾.

(1) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري المروي، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن غيمر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 2004م، 1/433.

(2) المصدر نفسه، ص: 1/434.

(3) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، ططا، الطبعة الأولى، 2002م، 1/319، وابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد في فن التجويد، شرح: أحمد أمين وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دون طبعة، 1983م، ص: 103.

(4) العيني، بدر الدين محمود أحمد، شرح المراح في التصريف، تحقيق: عبد الستار جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007م، ص: 85.

كما ذكر بن جني أنَّ الألف أقعد المصوتات في المد⁽¹⁾؛ أي أكثرها مدةً وذكر بن الدهان (ت 569هـ)⁽²⁾ أيضاً أنَّ الألف أكثر مدةً من الواو والياء، وذلك عند حديثه عن حروف القافية، يقول: **وَإِنَّمَا كَانَ التَّأْسِيسُ بِالْأَلْفِ** دون الواو والياء؛ لأنَّهما يقتصران في المدَّ **عَنْهُمَا**⁽³⁾. فعلى هذا تكون الفتحة حسب رأي المتقدمين أطول المصوتات وأكبرها كمية.

إنَّ كان بن الجوزي (ت 833هـ) قد أشار إلى مقدار الحركة بالإصبع، فإنَّ بدر الدين العيني لم يشر إلى مقدار الحركة. وهذا يعني أنَّ مقدارها مختلف بحسب الناطقين وسرعتهم في النطق. والواضح أنَّ مقدار المصوتات القصيرة والطويلة يضبطه السمع والمشافهة؛ فكتب التجويد التي عنت بالقصر والمد لم تضبط هذه المقادير، وإنما اكتفت بالتبسيط إلى وجوب إعطائهما حقَّها في النطق من غير انتقاص ولا إسراف، يقول أبو عمرو الداني (ت 444هـ): **فَأَمَّا الْمُحْرُكُ** من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة فحقَّه أن يلفظ به مشبعاً، ويؤتى بالحركات الثلاث كواحد من غير اختلاس ولا توهين يُؤولان إلى تضييف الصوت

(1) ابن جني، *الخصائص*، ص: 517.

(2) هو أبو سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي أبو محمد، له كتب كثيرة في النحو والأدب، منها: كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح اللمع، كتاب العروض، كتاب الدروس في النحو، ولد في رجب سنة 494هـ وتوفي سنة 569هـ يراجع: القفطي جال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 624هـ)، إحياء الرواية على أبناء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، صيدا - بيروت، دط. 51، 47/2.

(3) ابن الدهان، أبو محمد سعيد بن المبارك (ت 569هـ)، *الفصول في القراءة*، تحقيق: محمد عبد الجبار الطويل، دار غريب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م، ص: 44.

الصواليات لكتابات ووراثات
بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ يوحيان الإتيان بعدهن بالف ويه وواو غير
مكبات فضلاً عن الإتيان بهن ممكبات⁽¹⁾.

جعل بن الطحان الأندلسي (ت 560هـ) مقدار المصوت الطويل نصف
مقدار المصوت القصير، يقول: الأصل في الحركات الثلاث: الفتحة والضمة
والكسرة إكمال أوزانها باجماع من الأئمة، ولا سبيل إلى نقص أوزانها إلا باداء
موصول ولفظ منقول، وذلك مقتضى حكمة الترتيل المأمور به في التنزيل. والحركة
الكاملة هي المهيأة؛ لو مُطّلت لتولد عنها حرف من نوعها، فعن إشباع الفتحة تتولد
الألف، وعن إشباع الضمة تتولد الواو، وعن إشباع الكسرة تتولد الياء. وزن
الحركة في التحقيق نصف الحرف المتولد عنها؛ ولذلك سُمّوا الفتحة والألف
الصغري، والضمة الواو الصغرى⁽²⁾.

لقد أدرك علماء التجويد القدماء أن الفرق بين أصوات المد والحركات
فرق في الكمية فقط؛ أي: في مقدار الزمن لكل نوع، وأنه متى قصر صوت المد
صار حركة، ومتى طالت الحركة صارت صوت مدة، وإذا لم تتوفر الألف حقها من
المد صارت ضمة، ومتى بالغ القارئ في إطالة الصوت بالحركات صارت حروف؛
أي أصوات مدة، فالفرق بين الحركات وأصوات المد فرقاً في الزمن⁽³⁾.

(1) الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان، التحديد في صنعة الإنقان والتجويد، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2003م، ص: 173.

(2) ابن الطحان، عبد العزيز الإشبيلي السعاتي المقرئ، شرح كتاب الإنباء في تجويد القرآن، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2009م، ص: 74 / 75.

(3) فرغلي سيد عرباوي، تجويد الحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 149.

وواضح من قول بن جني: (وقد كان متقدمو النحوين) أن هذه الاصطلاحات وهذا التصور للمصوتات كان متداولاً عند من سلفه، مع أنه لم يصرح باسمائهم.

كما ذكر بن جني، فإن كمية المصوتات الطويلة؛ التي هي الألف والواو والباء ليست ثابتة في جميع الأحوال، بل تزيد وتنقص متأثرة بما يجاورها من أصوات، من ذلك أن كميتها ومقدارها يزيد إذا تلتها همزة، نحو: يشاء، أو صوت مدغّم، نحو: دابة، والعلة التي أوجبت زيادة المد، قوله: **إِنَّمَا تَمَكَّنُ الْمَدُ فِيهِنَّ** مع **هِمْزَة** أن **هِمْزَة** حرف نائي منشأه وتراخي خرجه؛ فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله ثم تماضيت بهن نحوه **طُلُنْ** وشِعْنَ في الصوت فوفين له، وزِدْنَ في بيانه ومكانه، وليس كذلك إذا وقع بعدهن غيرها، وغير المشدّ⁽¹⁾. معنى ذلك أنه زيد في مد المصوتات تهيئاً للنطق بالهمزة التي هي أقصى الأصوات خرجاً؛ إذ تخرج من الحنجرة.

واعتنى علماء التجويد بذكر العلة التي أوجبت زيادة المد، وكانت غير التي ذكرها ابن جني، يقول مكي بن أبي طالب (ت 437هـ): **هَذِهِ الْحُرُوفُ حُرُوفٌ خَفِيَّةٌ، وَهِمْزَةٌ حُرْفٌ جَلْدٌ؛ بَعِيدٌ الْخُرُجُونُ**؛ صعب في اللفظ، فلما لاصقت خفيها خيف عليه أن يزداد بملاخصة الهمزة له خفاءً، فبيّن بالمد لظهورها، وكان بيانه بالمد أولى؛ لأنها يخرج من خرجه المد، فبيّن بما هو منه⁽²⁾. معنى هذا أنه زيد في مد المصوتات الطويلة لخلفائها، ولنأتي خرج الهمزة، فضلاً عن أن المصوتات الطويلة تزداد خفاءً إذا ارتبطت مع أصوات أخرى كالمهمزة. ويسمى هذا النوع من المد بـ:

(1) ابن جني، **الخصائص**، ص: 716، وابن عبد ربه، **العقد الفريد في فن التجويد**، ص: 103.

(2) مكي بن أبي طالب القبسي، **الكشف عن وجوه القراءات السبع** وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، 2007م، 1/ 130، 131، وابن عبد ربه، **العقد الفريد في فن التجويد**، ص: 103.

المد العرضي أو الفرعى⁽¹⁾، فإن كان صوت المد والهمزة في كلمة واحدة، سُمي متصلة، ويسمى: منفصلة إذا كانا في كلمتين متصلتين⁽²⁾، وقدر أبو القاسم المذلى (ت 465هـ)⁽³⁾ المد مع الهمزة بمقدار ثلات الفات⁽⁴⁾، غير أن الجزري أورد اختلاف القراء في مقدارها، فمنهم من قدرها بالفين، ومنهم بالفين ونصف، ومنهم من جعلها بمقدار ثلات الفات⁽⁵⁾. وهذا بالنسبة إلى المد المتوسط؛ الذي يكون فوق القصر ودون الإشباع، الذي يقدر بخمس الفات⁽⁶⁾.

أما لماذا زيد في مد المصوئات الطويلة مع الصوت المشدّف: لأنهم سواكن، وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يلتقي الساكنان حشوا في كلامهم، فحيثئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء

(1) ينظر: ابن الجزري، أبو الحسن محمد بن محمد (ت 833هـ)، منجد المقربين ومرشد الطالبين، تحقيق: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، الطبعة الأولى، 2003 م، ص: 93، والعقد الفريد في فن التجويد، ص: 102.

(2) ينظر: الداني، أبو عمرو (ت 444هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ويعيي مراد، دار الحديث، مصر، دون طبعة، 2006 م، 1 / 289، وابن الجزري، منجد المقربين ومرشد الطالبين، خدمة: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، 2003 م، ص: 94، وينظر: ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2000 م، ص: 72.

(3) هو أبو القاسم المذلى، يوسف بن علي بن جبار المغربي، المقرئ التكلم النحوي، كان ضريرا، قرره نظام الملك مقرنا سنة 458هـ فاستمر إلى أن توفي، له كتاب: الكامل في القراءات، الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملائين، بيروت - لبنان، 1986 م، 8 / 242.

(4) منجد المقربين ومرشد الطالبين، ص: 95.

(5) ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، 1 / 317 وما بعدها.

(6) ابن الجزري، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 2000 م، ص: 72.

الصوت بها عوضاً ما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحرיקها؛ إذ لم يجدوا على تطريقاً، ولا بالاستراحة إليه تعلقاً⁽¹⁾. فعلاً المدّ الزائد هو التخلص من التقاء الساكنين؛ ذلك أنه لا ينتمي بساكن؛ فزيادة في مدّ المصوتات لتقوم المدّة مقام الحركة؛ فيتوصل بذلك إلى اللفظ بالمشدد⁽²⁾.

إن المبالغة في زيادة المدّ مع هذه الأخيرة جعلت بعض العرب يهمزونها؛ لذلك حذر بن جني من المبالغة في المدّ، وذلك في قوله: «وربما لم يكتف من تقوى لغته، ويتعالى تمكينه وجهازته بما تجشمّه من مدّ الألف في هذا الموضع دون أن يطغى به طبعه، ويختطف به اعتماده ووطّه إلى أن يبدل من هذه الألف همزة، فيحيّنها الحركة التي كان كلّها بها، ومصانعاً بطول المدّة عنها، فيقول: شابة ودابة»⁽³⁾.

مقدار المدّ مع الساكن كما حده الواسطي لا يتعدي قدر ألفين، سواء كان ما بعدها مشدداً أو غير مشدد⁽⁴⁾.

إلى الآن، تحدثنا فقط عن العلاقة الكمية بين المصوتات القصيرة: الفتحة والكسرة والضمّة والمصوتات الطويلة: الألف والواو والياء، وفيما يأتي سنحاول أن نتحدث عن العلاقة الكمية بين المصوتات القصيرة وما يتفرع عنها من مصوتات أقصر، وهي: الاختلاس والإشمام والرّوم.

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 716.

(2) مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، دط، 2007، 1 / 142.

(3) المصدر نفسه، 1 / 142، وابن جني، الخصائص، ص: 716 / 717.

(4) الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، الكثر في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1998م، ص: 81.

يُعد الاختلاس أول أجزاء المصوّت الأصلي وأصغرها، يليه الإشمام ثم الروم؛ الذي يقترب من تمام المصوّت في كميته⁽¹⁾، وسنبدأ حديثنا بمصطلح الاختلاس.

الاختلاس هو الإتيان بثُلثي الحركة، أو باكثراً عن بعضهم، أو هو النطق بالحركة بسرعة⁽²⁾.

ذكره سبيويه (ت 180هـ) في باب الإشبع في الجر والرفع، وغير الإشبع والحركة كما هي⁽³⁾. فمن عنوان الباب نلحظ أن سبيويه عبر عن الاختلاس بعدم الإشبع؛ أي عدم إتمام المصوّت، رغم أنه ثابت في الوزن، كما عرّفه بأنه الإسراع باللفظ، ويكون في غير الفتحة؛ لخلفتها⁽⁴⁾، وفي هذا الكلام إشارة إلى قصر المدة الزمنية لصوّت الاختلاس، وهو ما عبر عنه بالإسراع.

أما بن جني، فوصف الاختلاس بـ: الحركة الضعيفة المخفية، ومع ذلك فهي كغيرها من سائر المتحرّكات في ميزان العروض؛ الذي هو حاكم وعيار على الساكن والمتحرّك⁽⁵⁾. بمعنى الكلام، أنّ المصوّت المختلس لقلة كميته يكاد يخفى؛ وهذا ما يجعله ضعيفاً، ويتأتى ذلك بإضعاف النفس المندفع من الرتتين نحو

(1) ينظر، سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفرّع الصوتية في الآثار العربية، رسالة تقدّمت بها الطالبة لينيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات، جامعة سيدني بلعباس، 2007، 2008م، ص: 113، وصبري

المتولي، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، الفجالة، القاهرة، 2004م، ص: 118.

(2) ينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين للطباعة والنشر، القاهرة، دت، ص:

45 / 11

(3) سبيويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعلّيق: إميل بدّيع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م، 4 / 317.

(4) سبيويه، الكتاب، 4 / 317.

(5) ابن جني، سر صناعة الإعراب، 1 / 70، 71.

الخجرة⁽¹⁾، هذا الضعف في نطق المصوت المختلَس دعا البعض إلى الظنَّ باهْ ساكن، ولم يجد إشارات في كتب النحاة أو علماء التجويد - فيما استقرَّ أنه سُلْطَن لنا مقداره بالنسبة إلى المصوات القصيرة، كما ليس له رمز يضبطه رسمًا. ومن أشكال الاختلاس، الف الوصل التي يُؤْتَى بها للتهيُّؤ بالنطق بالساكن في بداية الكلمة⁽²⁾.

وفيما يخص الإشمام، فقد تحدَّث عنه النحاة كما القراء، وحدَّدوا مواضعه وعلاماته، فالإشمام هو ضم الشفتيَن بعد سكون الحرف من غير صوت خارج إلى اللفظ، وإنما هو تهيُّؤ العضو فقط، لا يفهمه الأعمى بمحسنه؛ لأنَّه لرأي العين⁽³⁾.

علَّ سيبويه اختصاص الإشمام بالضمة دون الفتحة والكسرة بقوله: وإنما كان ذا في الرفع؛ لأنَّ الضمة من الواو، فأنْتَ تقدر أنْ تضع لسانك في أي موضع من الحروف شئت ثم تضم شفتيك؛ لأنَّ ضمك شفتيك كتحريكك بعض جسده، وإشمامك في الرفع للرُّؤبة وليس بصوت للأذن. ألا ترى أنك لو قلت: 'هذا مَعْنَى' فأشمتت كأنَّ الأعمى ينزلتها إذا لم تشمِّ، فأنْتَ قد تقدِّرُ على أنْ تضع لسانك موضع الحرف قبل تزجية الصوت، ثم تضم شفتيك، ولا تقدر على أن تفعل ذلك، ثم تحرِّك موضع الألف والياء⁽⁴⁾.

(1) سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفرع الصوتية في الآثار العربية، ص: 117.

(2) ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص: 47. ومكي درار، الوظائف الصوتية والدلالة للصوات العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، السانيا، جامعة وهران، 2002 / 2003م، ص: 183.

(3) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، 1 / 194، والداني، جامع البيان في القراءات السبع، 2 / 24، وابن الطحان، شرح كتاب الإناء في تجويد القرآن، ص: 102 / 103.

(4) سيبويه، الكتاب، 4 / 285.

يختص الإشمام بالضمة دون اختيئها، لأن مع الضمة تنضم الشفتان وتنستديران، فيتمكن المستمع من معرفة نوع المصوت، في حين لا يتسنى ذلك مع الفتحة والكسرة.

إن الإشمام مصوت مرئي غير مسموع، مع أن بن جني أورد كلاماً يفيد أن فيه قليلاً من الصوت يتضح هذا من قوله: إن الإشمام دون روم الحركة⁽¹⁾. ومن قوله أيضاً: حركة الإشمام لضعفها غير معتمدة بها، والحرف الذي هي فيه ساكن أو كالساكن⁽²⁾. ففي كلام بن جني إشارة واضحة إلى أن الإشمام مصوت يحتلّ زمناً في النطق أقلّ من زمن أو كمية مصوت الرّوم؛ لذلك قيد في الرسم بـنقطة⁽³⁾.

ما تقدم، نلحظ اضطراب العلماء في مصوت الإشمام فيما إذا كان ساكناً أم لا، غير أن المتتبع للشواهد التي أوردها النحاة دليلاً على الإشمام يجده غير ساكن، فهو مصوت يقصر في كميته عن مصوت الضمة، لذلك يمكن القول إن للإشمام شقين: شق مرئي؛ عندما يومني المتكلم بالعضو إليه في حالة الوقف على أواخر الكلم، وشقّ مسموع؛ ويكون ذلك في الكلام المتصل، كما في إشمام قيل وبيع.

وفيما يلي، سنتتقل إلى الحديث عن الرّوم؛ الذي هو آخر من مصوّتى الاختلاس والإشمام.

(1) ابن جني أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، أحمد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 2007م، 1 / 74.

(2) المصدر نفسه، 1 / 74.

(3) سيريه، الكتاب، 4 / 282.

الروم هو الوقف على الحركة بعد تقصيرها إلى صوت قصير جداً لا يكمل
يسمع إلا عن قرب، ويكون مع الفتحة والضمة والكسرة⁽¹⁾. أو هو إضعاف
الصوت بالحركة حتى يذهب بالتضعيف معظم صوتها، فيسمع لها صوت خفيف
يدركه الأعمى بحاسة سمعه⁽²⁾. وعرفه ابن الطحان بأنه أخذ بعض الحركة
والذاهب منها أكثر من الباقي⁽³⁾.

نفهم من ذلك أن الرום هو إنفاس من المدة الزمنية للمصوت القصير،
فقد ذكر سيبويه أن الروم إنقال من السكون إلى الحركة، يقول: **وَمَا الَّذِينَ رَأَوْا**
الحركة، **فَلَانَّهُمْ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْحَرْصِ** على أن ينحرجوها من حال ما لزمه إسكان
على كل حال، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل
حال⁽⁴⁾. وشبيه بهذا الكلام ما ذكره بن جنني من أن الروم كالإهابة بالسكون نحو
الحركة⁽⁵⁾؛ أي: إن الروم لا ينقل السكون إلى تمام الحركة وإنما إلى جزء منها. ويدل
أن الروم يحتل جزءاً معتبراً من المصوت، فقد رمزوا له بخط بين يدي الحرف⁽⁶⁾
وكان هذا تعليلاً سيرافياً: **وَمَا النَّقْطَةُ لِلإِشْمَامِ، فَلَأَنَّ الإِشْمَامَ أَسْعَفَ مِنَ الرَّوْمِ**
فجعل للإشمام نقطة؛ لأن النقطة أنقص من الخط⁽⁷⁾.

(1) محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، ص: 76، والسيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، 40/5.

(2) الداني، جامع البيان في القراءات السبع، 2/ 24.

(3) ابن الطحان، شرح كتاب الإناء في تجويد القرآن، ص: 103.

(4) سيبويه، الكتاب، 4/ 282.

(5) ابن جنني، الخصائص، ص: 300.

(6) سيبويه، الكتاب، 4/ 282.

(7) السيرافي (ت 368هـ)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2008، 41/5.

ما مخلص إلية، هو أن الفرق بين المصوتات الطويلة والقصيرة هو فرق في الكمية فقط، مع أن النحاة القدماء لم يحددوا مقدار هذا الكم؛ لأن حكمهم على المشافهة والسماع، كما أنه مختلف من متكلم إلى آخر، خاصة وأن النحاة اعتمدوا في ملاحظاتهم وتقديراتهم على اللهجات العربية.

ونحن إن استقرأنا ما خلفه فلا سفتنا المسلمين وجذبناهم مدركون للعلاقة الصوتية بين المصوتات القصيرة والطويلة، يقول جابر بن حيان (ت 815هـ) الفتحة الف صغيرة، والألف نفسها ألف كبيرة، والضميمة وأو صغيرة، والواو نفسها وأو كبيرة، والكسرة ياء صغيرة، والياء نفسها ياء كبيرة⁽¹⁾. يقصد جابر بن حيان بالكبيرة: المصوتات الطويلة، وبصغرها: المصوتات القصيرة، وهذه إلتفاتة مهمة منه توافق ما أنتهى إليه الدرس الصوتي الحديث.

كما تحدث الخوارزمي (ت 387هـ) أيضاً عن العلاقة بين مختلف المصوتات بما في ذلك مصوت الإشمام ومصوت الرؤم، يقول: الرفع عند أصحاب المنطق من اليونانيين وأو ناقصة، وكذلك الضم وأخواته المذكورة، والكسر وأخواته عندهم ياء ناقصة، والفتح وأخواته عندهم ألف ناقصة، وإن شئت قلت: الواو المدودة اللينة ضمة مشبعة، والياء المدودة اللينة كسرة مشبعة، والألف المدودة فتحة مشبعة، وعلى هذا القياس الروم والإشمام؛ نسبتهما إلى هذه الحركات كنسبة الحركات إلى حروف المد واللتين، أعني ألف الواو والياء⁽²⁾.

(1) ابن عربى، الرسائل، وضع حواشى: محمد عبد الكريم الشمرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 297.

(2) الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمى، الطبعة الأولى، 1930م، ص: 30 / 31.

ما تقدم يبين لنا أنَّ الخوارزمي كان مدركاً أنَّ المصوّتات الطويلة تقع في أضعاف المصوّتات القصيرة، وكذلك القصيرة بالنسبة للإشمام وللرُّوم.

والإشمام كما عرَّفه البطليوسى (ت 521هـ): أن تشير إلى حركة الحرف لخرجها، ولا يمكن ذلك إلا في الضمة⁽¹⁾، وعرفه الجرجانى (ت 816هـ) بقوله: تهيئة الشفتين للتلفظ بالضم، ولكن لا يُتلفظ به تبيها على ضم ما قبلها، أو على ضمة الحرف الموقوف عليه، ولا يشعر به الأعمى⁽²⁾.

معنى هذا أنَّ الإشمام هو الإشارة إلى مصوّت الضمَّ المراد التلفظ به من غير تصوّت، وهو يختصُّ بمصوّت الضمة فقط؛ لأنَّ خرجها من الشفتين، فيتمكن الناطق أن يضم شفتيه؛ فيرى المخاطب ذلك، وأما الكسرة والفتحة فإنَّ خرجهما لا يراه المخاطب؛ لأنَّ خرج الكسرة من وسط الفم، وخرج الفتحة من الحلق⁽³⁾.

عللُ البطليوسى اختصاص الضمة بالإشمام دون بقية المصوّتات؛ كون المستمع يمكنه رؤية وتبين العضو المسؤول عن النطق بها، فيعرف أنَّ مراد المتكلِّم من هذا الإيماء هو مصوّت الضمة، وفي مقابل ذلك لا يمكن إشمام مصوّت الفتحة ولا الكسرة؛ كون العضو المسؤول عن النطق بكل واحد منها غير بارز أو ظاهر للسامع، ويتبين ذلك من خلال قوله: إنَّ خرج الفتحة من الحلق صحيحاً؛ لأنَّه لا يحدث إخباراً للصوت معها، فالهواء مذ يندفع من التجويف الحلقى يستمر دونما انقطاع.

(1) البطليوسى، أبو محمد عبد الله بن السيد، الخلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، دون طبعة، دت، ص: 334.

(2) الجرجانى، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبيارى، دار الريان للتراث، دون طبعة، دت، ص: 31.

(3) البطليوسى، الخلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334.

ويكون الرَّوْم في المضموم والمجرور والمتصوب غير المُنَوَّن على خلاف، لأنَّه إضعاف الحركة لا سلبها بالجملة، ويمكن للأعمى أن يسمعه⁽¹⁾، يُعنى أنَّ الرَّوْم هو إضعاف المصوَّت، وهذا الإضعاف يكون بالإيقاص من مذاته الزَّمنية.

فيما يرى بن رشد (ت 595هـ) أنَّ المصوَّتات الطويلة متولدة عن القصيرة، فمتى زدنا في كميَّتها بـأَنْ مذنَّتها حدثت المصوَّتات الطويلة، يقول: فـالـمـذـنـةـ الـحـادـثـةـ عنـ الـضـمـةـ سـمـيـتـ وـاـواـ، وـجـعـلـ شـكـلـهـاـ شـكـلـ الـوـاـوـ فـيـ الـخـطـ؛ـ لأنـهـاـ وـاـوـ مـنـطـوـقـ بـهـاـ،ـ وـكـذـلـكـ الـأـمـرـ فـيـ الـمـذـنـةـ الـحـادـثـةـ عـنـ الـفـتـحـةـ،ـ جـعـلـ شـكـلـهـاـ فـيـ الـخـطـ شـكـلـ الـأـلـفـ،ـ وـلـيـسـ الـأـلـفـ مـنـطـوـقـ بـهـاـ يـاءـ؛ـ وـلـكـونـهـاـ مـذـنـاتـ سـمـوـهـاـ:ـ حـرـوـفـ مـذـ وـلـيـنـ⁽²⁾ـ.ـ وـهـذـاـ الـمـذـ وـالـزـيـادـةـ جـعـلـهـمـاـ السـكـاكـيـ (ت 626هـ)ـ دـلـيـلاـ عـلـىـ أـنـ الـمـصـوـتـاتـ الطـوـلـيـةـ مـنـ جـنـسـ الـقـصـيـرـةـ،ـ يـقـولـ:ـ الـحـرـكـاتـ أـبـعـاـضـ حـرـوـفـ الـمـدـ وـالـلـيـنـ،ـ بـدـلـيـلـ أـنـ حـرـوـفـ الـمـدـ قـابـلـةـ لـلـزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ فـيـ بـابـ الـامـتـادـ⁽³⁾ـ.

لم يختلف كلام فخر الدين الرازي (ت 604هـ) عن سابقيه، بل نجده يردد الفكرة ذاتها، من ذلك قوله: الـحـرـكـاتـ أـبـعـاـضـ الـمـصـوـتـاتـ،ـ وـالـدـلـيـلـ عـلـيـهـ أـنـ هـذـهـ الـمـصـوـتـاتـ قـابـلـةـ لـلـزـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ،ـ وـلـاـ طـرـفـ فـيـ جـانـبـ الـنـقـصـانـ إـلـاـ هـذـهـ الـحـرـكـاتـ،ـ وـلـأـنـ هـذـهـ الـحـرـكـاتـ إـذـاـ مـذـتـ حـدـثـتـ الـمـصـوـتـاتـ،ـ وـذـلـكـ يـدـلـ عـلـىـ قـوـلـنـاـ⁽⁴⁾ـ.

(1)البطليوسى، الخلل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، ص: 334..

(2)ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميم، تقديم: محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008م، ص: 56.

(3)السکاکي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت 626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون طبعة، دت، ص: 61.

(4)الرازي، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن ابن علي التميمي البكري، التفسير الكبير، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، مصر دون طبعة، دت، 1/41.

وعبر ابن عربي (ت 638هـ) أيضاً عن التفاوت في كمية المسوّنات بـ: الصغر والكبر، يقول: إنّ المراد بالحروف الصغار: الحركات الثلاثة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة، وهذه الحروف حالان: حال إشباع، وحال غير إشباع⁽¹⁾. وذكر في موضع سابق: الحروف الصغار باشباعها تكون الحروف الثلاثة، التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين⁽²⁾.

إنّ تسمية ابن عربي المسوّنات القصيرة بالحروف دليلاً على أنها لا تقل أهمية عن الصوامت، أو المسوّنات الطويلة؛ التي هي بمثابة الحروف، والتي نجت في الأصل من إشباع هذه القصيرة.

وفيما يخص قضية الأصل والفرع في المسوّنات العربية، فإننا نجد بن عربي يذكر كلاماً مفاده أن المسوّنات القصيرة هي الأصل والطويلة فرع لها، يظهر هذا من قوله: فلننرين أولاً ما المراد بالحروف الصغار، وما مراتب أولادها، وهي حروف العلل⁽³⁾. فابن عربي شبه المسوّنات الطويلة بأبناء المسوّنات القصيرة، وهذا دليل على أنها نشأت منها، وأنّها هي الأصل.

(1) ابن عربي، *الفتوحات المكية*، تحقيق: عثمان بخي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوربون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، 13/313.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، 13/310.

فضلاً عما تقدم أشار محبي الدين بن عربي إلى أن المصنفات الطويلة تكون أكثر مما إذا ولها صوت المهمزة، نحو: آمن، وكداء، أو ولها مشدد، مثل: الطامة، والصاخة، والدابة⁽¹⁾.

وعلى إبراهيم أنيس² إطالة المصنفات في مثل هذه الحالات بالحرص على إبقاء طولها؛ لئلا يتآثر بمحاجرة المهمزة والإدغام؛ لأن المصنف يستلزم أن يكون جرى الماء معه حراً، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انتظام فتحة المزمار انتظاماً محكماً، فإذا طالة المصنف مع المهمزة يعطي الناطق فرصة للاستعداد للنطق بالهمزة التي تكلف جهداً عضوياً مقارنة بالمصنف⁽²⁾. فهي عبارة عن وقفة حنجرية ناتجة عن إقفال الورترين الصوتيين إقفالاً تاماً.

أما بالنسبة للمدغم، فإن المصنف الطويل يقصر إذا ولها صوتان ساكنان، فحرضاً على إبقاء ما فيه من الطول يعمد المتكلم إلى المبالغة في طوله⁽³⁾.

وبياً أن ابن تيمية (ت 728هـ) أظهر عنابة بالقرآن الكريم وقراءاته، فقد أشار إلى أن مقدار المدّات غير منضبطة⁽⁴⁾.

من النصوص التي تقدمت نلحظ أن الفلاسفة المسلمين وظفوا الفاظاً عدّة للتعبير عن الفارق في كمية المصنفات، من ذلك: الصغار مقابل الكبار، وبالزيادة مقابل النقصان، وبالإشباع مقابل غير الإشباع، فضلاً عن أبعاض وأولاد ومع كل هذه الإفادات والمعلومات المتعلقة بكمية المصنفات؛ إلّا أنهم لم يحدّدوا بدقة المقدار

(1) ابن عربي، *الفتوحات المكية* ، 11/ 211، 212.

(2) إبراهيم أنيس، *الأصوات اللغوية*، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 4، 1971م، ص: 159.

(3) المرجع نفسه، ص: 160.

(4) ابن تيمية، *مجموع الفتاوى*، جمع عبد الرحمن بن محمد قاسم، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، دون طبعة، دت، 13/ 412.

الذى تتفاوت به فيما بينها. فقد ذكر النحاة القدماء أن كمية المصوّتات الطويلة بالنسبة للقصيرة تقدر بـ مصوّتين إثنين، وذهب آخرون إلى أنها بـ مقدار ثلاثة مصوّتات، في حين ترك بعضهم المجال مفتوحا، وأشار إلى هذا المقدار بكلمة بعض وبـ ضعف أو أضعاف.

بعد أن فرغنا من الحديث عن تقدير كل من النحاة وال فلاسفة المسلمين لكمية المصوّتات سنحاول أن نقارب ما توصلوا إليه بما استقر عليه الدرس الصوتي للحديث.

تقسم المصوّتات في الدراسات الصوتية المعاصرة بحسب الطول إلى قصيرة، وهي: الفتحة والضمّة والكسرة، وإلى متوسطة، وتكون أطول من القصيرة وأقصر من الطويلة، وإلى طويلة، وهي: الألف والباء والواو⁽¹⁾. وغير عن الفرق في كميّتها بـ مصطلحات عدّة، منها: الطول والكميّة والإستمرارية والمدى، وكلها مترادفات تفيد الوقت الذي يستغرقه نطق الأصوات بما في ذلك المصوّتات⁽²⁾.

وقد حاول علماء الأصوات حديثا تقدير هذه الكميّة بالاستعانة بالأجهزة الحديثة التي تمكنهم من هذا، وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة، يقول سعد العزيز مصلوح: **أَمَّا الْكَمْ** فلدينا أكثر من دليل على أنه كان ولا يزال مقوله فاعلة في

(1) شريف استبيه، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2005م، ص: 128.

(2) أحد ختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط. 3، 1985م، ص: 197 وسلامن حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مترجمة: محمد عمود غاني، النادي الأدبي الشفاف، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1983م، ص: 115.

النظام الصوتي العربي، وأول هذه الأدلة التقرير الذي صاغ به بن جنى العلاقة بين طوال الحركات وقصارها صياغة علمية دقيقة من الوجهة النظامية⁽¹⁾.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أن كمية المصوتات الطويلة تساوي ضعف القصيرة، يقول: «اللغويون عادة يقسمون أصوات اللين إلى نوعين فقط، قصير وطويل، فالفتحة مطلقة صوت لين قصير، فإذا أصبحت ما يسمى بالألف الممددة فهي صوت لين طويل، والفرق عادة بين الفتحة الطويلة والقصيرة هو أن الزمن الذي تستغرقه الأولى ضعف الذي تستغرقه الثانية»⁽²⁾. وهذا ما ذهب إليه معظم الدارسين المحدثين⁽³⁾.

وعبر بعضهم الآخر، عن كمية المصوت الطويل بمصوتين، وهذا ما نلحظه عند ثامن حسان؛ الذي عبر عن المقطع المشكّل من صامت ومصوت طويل بالرمز الآتي: صع⁽⁴⁾ أي إن المصوت الطويل مكون من مصوتين قصيرين كذلك فعل محمود السعراي عبر في التمثيل المقطعي عن الفتحة الطويلة بمصوتين قصيرين، aa،

(1) سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني دراسات ومقابلات في مسائل الخلاف عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 126.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 155.

(3) جان كاتيني، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ص: 151، والطيب بکوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم: صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس، ص: 51، وعبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، مكتبة الأداب، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 142، وينظر: منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبية، ط1991، ص: 126.

(4) ثامن حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م، ص: 1170.

وعن الضمة الطويلة بـ *للا*، وعن الكسرة الطويلة بـ *نن*⁽¹⁾ وفي هذا التعبير إشارة واضحة منهم إلى أن المصوت الطويل يمقدار مصوتين قصرين.

ويرى شريف استيبي أن المصوتات الطويلة يمقدار مصوتين قصرين، فالفتحة الطويلة يمقدار فتحتين قصرين، والكسرة الطويلة يمقدار كسرتين قصرين، والضمة الطويلة يمقدار ضممتين قصرين⁽²⁾. أي إن الطويلة ضعف القصيرة.

مما نلحظ مما نقدم، أنَّ كلام بن جني وبين سينا كان أكثر دقة مما قدمه بعض الدارسين المحدثين؛ ذلك أنَّ بن جني وبين سينا لم يجزما باستقرار كمية المصوتات الطويلة؛ فقد رأعوا في تحديدهم الطول الفونولوجي؛ إذ يزيد مقدار هذه الأخيرة عندما يليها همزة أو ساكن وهذا ما أشار إليه بعض الدارسين المحدثين، يقول سلمان حسن العاني: العامل الزمني لدى أي صوت ليس مطلقاً بل إنه نسي، والمدى النسي لصوت ما يعتمد على الوسط الذي يكون فيه الصوت، كالسرعة التي يتكلّم بها الفرد وعوامل أخرى⁽³⁾. كذلك ذكر كانتنوا أنَّ كمية المصوتات غير ثابتة، وتتوقف على جملة من العوامل يحدّدها المتكلّم وطبيعة تركيب الكلمة، يقول: ولقد أبان الاختبار الآلي لتنوعات مدة الوحدات الأصواتية عن فروق مثيرة، فعليّنا أولاً ملاحظة أنَّ كمية كل وحدة إنما توقف على سرعة المعدل، فكلّما كان الكلام أسرع أختزل كل صوت، والعكس أيضاً صحيح، ثم إنَّ مدة الوحدات

(1) يراجع: محمود السعراي، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت - لبنان، دط، دت، ص: 124.

(2) شريف استيبي، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، دط، 2005 م، ص: 191.

(3) سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مراجعة: محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1983 م، ص: 115.

الأصواتية تتوقف على طول المجموعة المنطقية، فكلما كانت هذه المجموعة طويلة اختزلت كل وحدة، غير أن هذه الوحدات تتوقف أيضاً على صفاتها الأصواتية الخاصة⁽¹⁾.

معنى ذلك أنه لا يمكن تحديد كمية المصوات، أو القول بثباتها، فامرها محكوم إلى المتكلم والسياق، فكلما كانت السلسلة الكلامية طويلة عمل المتكلم على الاختزال منها، ويكون في المصواتات بالانتقاد من طولها وزمنها، فكمية المصواتات مسألة سمعية ذوقية، تتجدد وتستقيم بكثره السمع وجودة التلقي من القراء الم gio دين، والنطق والرياضة والتمرين⁽²⁾.

كما أنَّ الذي يحدد الطول والقصر في المصواتات - كما يقول عبد الكريم الرديني - هو العرف عند أصحاب اللغة⁽³⁾.

إنَّ طول المصوات أو قصره ليس محدداً بزمن معين في أيَّ لغة، وإنما يتعلَّق بسرعة الأداء وبطئه، فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره؛ ولو كان هذا الصوت الطويل يُنطق أقصر منه أحياناً⁽⁴⁾.

وقد سُجِّلت بعض الدراسات القياسات الحاسوبية لكمية المصوات، وقدرت بـ: 0,102 ثانية بالنسبة للفتحة، وذلك في الكلمة مثل: كتب، وبما أنه يتعذر نطق المصوات منعزلاً فقد قام الباحث بعزل المقطع الصوتي من التسجيلات، ومن

(1) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص: 176.

(2) خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تبانية، دار الكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، 2007م، ص: 240، نقل عن حسني شيخ عثمان، حق التلاوة، ص: 156.

(3) محمد علي عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار المدى، عين ميلة، الجزائر، دون طبعه، دت، ص: 196.

(4) رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2006م، ص: 56.

ثم عزل المصوت، وقدرت كمية مصوت الضمة بـ: 0,07 ثانية، وهي قيمة أقل مقارنة بزمن نطق الفتحة القصيرة، أما الكسرة، فقدرت كميتهما بـ: 0,05 ثانية، وهي تمثل نصف زمن النطق بالفتحة القصيرة⁽¹⁾.

أما قياس الفتحة الطويلة في مثل قال، فقدر بـ: 0,314 ثانية، وقدر مع الضمة الطويلة في كلمة مثل: خور بـ: 0,227 ثانية، وفي الكسرة الطويلة قدر بـ: 0,118 ثانية⁽²⁾، أي إن مقدار المصوتات الطويلة هو ثلاثة أضعاف المصوتات القصيرة، وقياس المصوتات في المذا زائد مثل: شابة، فهو: 0,358 ثانية⁽³⁾. وذلك باعتماد متوسط حساب مجموعة من القراء.

واعتمد خليل الفرالة — فضلاً عن التجارب الخبرية — التجاور بين الأصوات في تحديد كمية المصوتات الطويلة، وأجرى تجاربه على عينة تتكون من عشرة أشخاص من طلاب الجامعة الأردنية، وخلص إلى نتائج، أهمها:

1 - لا تنحصر كمية المصوتات الطويلة في ضعف كمية القصيرة، بل تقع في ضعفها في مواطن، وتجاوز ضعفها في مواطن آخر، ونسبة زيادة كمية المصوتات الطويلة عن ضعف كمية المصوتات القصيرة أغلب وأشمل من نسبة حصرها في الضعف.

(1) ينظر: بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة تقدم بها الطالب نبيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانيا، 2006 / 2007م، ص: 103، 105، 108، 111.

(2) المرجع نفسه، ص: 122 / 123.

(3) المرجع نفسه، ص: 114، 116.

اللاحقة، وذلك من حيث الجهر والهمس، والاستمرار والوقف.

2 - تفاوت المصوات تبعاً للامتحان المصوات المعايرة، وخاصة الصوات والتضييف وعدمه (1).

وقد رأى الباحث في تقدير الكمية، المتوسط الحسابي لعينة الدراسة بوصفه الزمن الذي يمثل كمية المصوت المراد تحديد كميته (2)، وقد ثبتت الدراسة أنَّ المصوت المتبوع بصامت مجهور أطول منه عندما يكون متبوعاً بصامت مهموس؛ لأنَّه في الحالة الأولى تتدخل عملية الجهر؛ فيحصل إمتداد لنطق الجهور الأول؛ الذي هو المصوت الطويل، فالانتقال من مجهور إلى مجهور لا يستدعي تغيير وضعيَّة الأوتار الصوتية، فيبقى الجهر مستمراً. أما الانتقال من مصوت إلى صامت مهموس؛ ففيه تحول للأوتار الصوتية من وضعيَّة إلى أخرى، مما يؤدي إلى وجود زمن مفقود تستغرقه الأوتار في عملية التحول (3)، إضافة إلى أنَّ المصوت المتبوع بصامت رخو مجهول أطول من المصوت المتبوع بصامت شديد مجهور (4)، وهذا قريب مما يحصل في الجزم؛ إذ يؤدي هذا الأخير إلى سرعة في أداء نطق الكلمة كاملة، وهذه السرعة تؤثر في زمن أصوات الكلمة كلها. 5 وهذه النتيجة توافق ما توصل إليه كانتن.

(1) سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحدثين، مكتبة الوراق، الطبعة الثانية، دت، ص: 47، والحركات في اللغة العربية، ص: 41.

(2) زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دون طبعة 2004، ص: 41.

(3) المرجع نفسه، ص: 42، 43.

(4) المرجع نفسه، ص: 44-43.

(5) المرجع نفسه، ص: 46.

خلاصة القول: إن متوسط مقدار المصوت الطويل هو ثلاثة أضعاف المصوت القصير، وهذا ما قال به بعض العلماء العرب القدماء وأقرته التجارب الخبرية الحديثة، ومع ذلك تبقى مقادير المصوتات غير ثابتة، ومحكومة إلى المتكلم وإلى السمعاء، فلا القدماء ولا المحدثون تمكنوا من تحديد مقدارها تحديداً دقيقاً، وهذا أمر مقبول ما دامت اللغة نفسها خاضعة للاستعمال اللغوي.

قائمة المصادر والراجع:

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 4، 1971 م.
- ابن الجوزي، أبوالخير محمد بن محمد (ت 833 هـ):
 - شرح طيبة النشر في القراءات العشر، شرح: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2000 م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: عبد الحليم بن محمد الهادي قابة، دار البلاغ، الجزائر، ط 1، 2003 م.
- النشر في القراءات العشر، تقديم وتعليق: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط 1، 2002 م.
- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد قاسم، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، دط، دت.
- ابن جنبي، أبوالفتح عثمان (392 هـ):
 - الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان، 2006 م.
- سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحد رشدي شحاته عامر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 2007 م.
- المنصف، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999 م.
- ابن الذهان، أبومحمد سعيد بن المبارك (ت 569 هـ)، الفصول في القوافي، تحقيق: محمد عبد الجيد الطويل، دار غريب، القاهرة، ط 1، 2005 م.
- ابن رشد، الضروري في صناعة النحو، تحقيق: منصور علي عبد السميع، تقديم: محمد إبراهيم عبادة، دار الفكر العربي، 2008 م.

- ابن الطحان، عبد العزيز الإشبيلي السماتي المقرئ، شرح كتاب الإناء في تجويد القرآن، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2009 م.

- ابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد الأندلسبي، العقد الفريد في فن التجويد، شرح: أحمد أمين وأحمد الزين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط.

ابن عربي:

- الرسائل، وضع حواشيه: محمد عبد الكريم الثمرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م.

- الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأداب والعلوم الاجتماعية بالتعاون مع معهد الدراسات العليا في السوريون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994 م.

- أبوالعباس المبرد، المقتضب، تحقيق: حسن حمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999 م.

- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985 م.

- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهمروي، تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد عبد الرحمن نحيمير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2004 م.

- البطليوسى، أبو محمد عبد الله بن السيد، الحل في إصلاح الخلل الواقع من كتاب الجمل، تحقيق: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الطليعة، بيروت - لبنان، د ط، دت.

ـ بوداود إبراهيمي، القياسات الحاسوبية للكميات الصوتية في التراث، رسالة تقدم بها الطالب لنيل شهادة الماجستير في اللغة، جامعة وهران، السانيا، 2006 / 2007 م.

ـ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986 م.

ـ جان كانتينو، دروس في علم أصوات العربية، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس.

ـ الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دط، دت.

ـ الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، مفاتيح العلوم، مراجعة وتعليق: محمد كمال الدين الأدهمي، ط 1، 1930 م.

ـ خير الدين سيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية دراسة صوتية تبانية، دار الكلم الطيب، دمشق، ط 1، 2007 م.

ـ الداني، أبو عمرو غثمان بن سعيد بن عثمان (ت 444هـ) التحديد في صنعة الإتقان والتجويد، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط 1، 2003 م.

ـ جامع البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني ويجي مراد، دار الحديث، مصر، دط، 2006 م.

ـ الرازى، فخر الدين محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسن ابن علي التميمي البكري، التفسير الكبير، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، مصر دط، دت.

ـ رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، ط 1، 2006 م.

- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: زكي المبارك، دار النفائس، بيروت - لبنان، ط6، 1996م.
- زيد خليل الفرالة، الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، عالم الكتب الحديث، دط، 2004م.
- سعد عبد العزيز مصلوح، في النقد اللساني دراسات ومثقفات في مسائل الخلاف عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2004م.
- سعيد محمد شواهنة، القواعد الصرف الصوتية بين القدماء والمحديثين، مكتبة الوراق، ط2، دت.
- دو الحركات في اللغة العربية.
- السكاكي، أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، ترجمة: ياسر الملاح، مترجمة: محمد محمود غاني، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1983م.
- سميرة رفاس، نظرية الأصالة والتفرع الصوتية في الآثار العربية، رسالة تقدمت بها الطالبة لنيل شهادة الدكتوراه في الصوتيات، جامعة سيدى بلعباس، 2007 / 2008م.
- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تعليق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1999م.
- السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدي وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

الصوتيات فضلياً ودراسات
ـ شريف استيبيه، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب
الحديث، الأردن، 2005م.

ـ صيري المتولي، دراسات في علم الأصوات، دار الثقافة، الفجالة، القاهرة،
2004م.

ـ الطيب بکوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم:
صالح القرمادي، المطبعة العربية، تونس.

ـ عبد الغفار حامد هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات
الحديث، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007م.

ـ عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، دار سعد الدين للطباعة والنشر،
القاهرة، دت.

ـ العيني، بدر الدين محمود أحمد، شرح المراح في التصريف، تحقيق: عبد الستار
جواد، مؤسسة المختار، القاهرة، 2007م.

ـ فرغلي سيد عرباوي، تجويد الحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمة،
مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط1، 2008م.

ـ القرطبي، أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد الأنصاري المغربي، الموضع في
التجويد، ضبط: أحمد فريد المزیدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
2006م.

ـ القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 624هـ)، إناء الرواة على
أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المطبعة العصرية، صيدا -
بيروت، دط، دت.

ـ كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.

- محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م.
- محمد علي عبد الكري姆 الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، دط، دت.
- محمود السعراان، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة، بيروت، لبنان، دط، دت.
- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، دار الحديث، القاهرة، 2007م.
- مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوات العربية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، السانيا، جامعة وهران، 2002 / 2003 م.
- منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، ط 2001.
- الواسطي، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجي، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1998م.

الأنظار الصوتية

عند إخوان الصفا وخلان الوفا



مكتبة وملتقى علم الأصوات
phonetics-acoustics.blogspot.com

الأنظار الصوتية

عند إخوان الصفا وخلان الوفا

دكتور: خالد حسين أبو عمسة

المدير الأكاديمي / معهد قاصد

المستشار الأكاديمي لبرامج اللغة العربية لـ Amideast

إخوان الصفا وفلسفتهم:

ساهم تطور الفلسفة والعلوم في الدولة الإسلامية إثر الانفتاح الفكري في إبراز مفكرين مسلمين عملوا على الاستفادة من الفلسفة اليونانية وإدماجها في الفكر الإسلامي، ومنهم بن سينا والكندي والفارابي، وتطورت هذه الجهود مع نشوء جماعة (إخوان الصفا وخلان الوفاء)، التي اشتهرت بوضعها مجموعة من الرسائل في فروع الفلسفة المختلفة والعلوم الإنسانية المتعددة وقد لاقت هذه الرسائل انتشاراً واسعاً في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. يقول الطيب العربي المسلم مسلم بن محمد الأندلسي الذي عاش في القرن الرابع الهجري: لقد كان لرسائل إخوان الصفا في الأندلس صدى ثقافي كبير خاصة في الأوساط العلمية، فقد أثرت يومذاك على المدرسة التعليمية لعارف القرون الوسطى في أوروبا تأثيراً إيجابياً فكانت باعثة لنشر الثقافة العربية في ربوع تلك البلاد، فمنذ القرن الرابع الهجري كانت الصلات الثقافية بين بغداد مقر الخلافة العباسية والمازنوي التعليمية في

اسبانيا العربية متواصلة سرا حيناً وعلانية أحياناً آخر، ولاسيماً أنَّ معظم الخلفاء كانوا من المشجعين للعلوم والأداب غير مبالين بمصادرها⁽¹⁾.

يروم إخوان الصفا وخلان الوفا جمع حكمة كلِّ الأمم والأديان في مذهبهم بحسب تعبيرهم في الرسالة الخامسة والأربعين من العلوم النموذجية والشرعية⁽²⁾. يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك أنَّ النظر في جميع الموجودات بأسرها، الحسية والعقلية، من أولاًها إلى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليها وخفيها، بعين الحقيقة، من ناحية هي كلها من مبدأ واحد، وعلة واحدة، وعالم واحد⁽³⁾. وتبرز هذه النظرة الانتقائية التوفيقية بشكل خاص في تحديد الإخوان لمزايا الإنسان الكامل، وقد وجدوه في العالم الخير الفاضل، الذكي المستبصر، الفارسي النسبة، العربي الدين، الحنفي المذهب، العراقي الأداب، العبراني المخبر، المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصوفي السيرة كما في الرسالة⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من اختلاف العلماء والمؤرخين في إخوان الصفا وطبقاتهم، إلا أنهم أنفسهم قسموا العضوية في حركتهم إلى أربع مراتب⁽⁵⁾:

1 جبور عبد النور، 1961 إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، و محمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، مصر.

2 إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم: بطرس البسانى، طبعة، دار صادر، بيروت، 1969م. الرسائل ، ص: 41.

3 إخوان الصفا ،الرسائل: ج4، ص: 42.

4 المرجع نفسه، ج4، ص: 42.

5 انظر لمزيد من التفاصيل: جبور عبد النور، 1961 إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، و محمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى.

• من يملكون صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور. ولا يقل عمر العضو فيها عن خمسة عشر عاماً؛ ويُسمون بالأبرار والرحاء، ويتسمون إلى طبقة أرباب الصنائع.

• من يملكون الشفقة والرحمة على الإخوان. وأعضاوها من عمر ثلاثين فما فوق؛ ويُسمون بالأخيار الفضلاء، وطبقتهم ذوو السياسات.

• من يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللطف المؤدي إلى إصلاحه. ويتمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر، ويُسمون بالفضلاء الكرام، وهم الملوك والسلطين.

• المرتبة الأعلى هي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عيائاً. وهي قوة الملكية الواردة بعد بلوغ الخمسين من العمر، وهي المهددة للصعود إلى ملوك السماء؛ وإليها يتتمي الأنبياء.

أهداف إخوان الصفا من خلال رسائلهم:

يهدف إخوان الصفا إلى التقرير بين الدين والفلسفة، في عصر ساد فيه القول (من تمنطق فقد تزندق)، والفيلسوف عندهم حكيم، وأن الفلسفة هي التشبيه بالإله على قدر الطاقة البشرية، وبالاستشهاد بأقوال الفلاسفة، كسocrates وأرسطو وطاليس وأفلاطون وفيشاغوراس وغيرهم، التي تصب في نهر الحكمة الواحد الدافق، بما يتواافق مع أقوال الأنبياء كافة، التي استهانت بأمر الجسد ودَعَت إلى خلاص النفس من أسر الطبيعة ومحر الهيولي بالعلوم وأولها علم الإنسان بنفسه، ثم علمه بحقائق الأشياء. وقد أكروا أن علومهم التي طرحوها في الرسائل هي مفاتيح

للمعرفه، لا ينبغي التوقف عندها، بل الترقي في سلم الصعود إلى الحالة الأخيرة
الملوكية⁽¹⁾.

رسائل إخوان الصفا:

صدرت رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء عبر مراحل تاريخية مختلفة،

وطبعات متعددة، أبرزها:

- في العام 1812 في كلاكوتا الهندية.
- ثم نشرها المستشرق فريدرick ديتيريشي في الفترة المتقدة بين 1861 و1872.

- وفي 1887 إلى 1889 في بومباي الهند صدرت النسخة المُحققة والكاملة الأولى من رسائل إخوان الصفا في أربعة مجلدات (مطبعة نخبة الأخبار)، تحقيق ولاية حسين.

- بعد ذلك نشرت طبعة القاهرة في العام 1928 عن طريق المطبعة العربية بمصر، وقد حققها خير الدين الزركلي وقدمها عميد الأدب العربي: طه حسين، بالإضافة لreamble من تأليف أحمد زكي باشا.

- أما الطبعة الأكثر تداولاً بين أصحاب الاختصاص في دراسة إرث إخوان الصفا تعود إلى نصوص الرسائل التي حققها بطرس بستانى ونشرتها دار صادر في بيروت في العام 1957.

- وفي بيروت هنالك أيضاً طبعة حققها عارف تامر وأصدرتها منشورات عويدات في العام 1995.

(1) جبور عبد النور، 1961 إخوان الصفا. دار المعارف، مصر، ومحمد مهدي، 2002. إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى.

- ويعمل الباحث نادر البزري على بلورة مشروع أكاديمي يضم فريق عمل من أساتذة متخصصين بالبحث في شؤون تاريخ العلوم والفلسفة عند العرب، وذلك لإصدار رسائل إخوان الصفاء في طبعة محققة نقدية وعلمية، و تستند إلى مجموعة من المخطوطات القديمة ومعظمها محفوظ في مكتبات ومتاحف إسطنبول، وتضاف إليها الترجمة الإنجليزية التامة والأولى لهذا الإرث العلمي. هذا المشروع تبنته دار النشر العريقة التابعة لجامعة أكسفورد (Oxford University Press) في بريطانيا بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن من خلال سلسلة علمية عنوانها Epistles of the Brethren of Purity، وقد صدر المجلد الأول من هذه السلسلة في العام 2008م من تحقيق بعنوانه:

The Ikhwan al-Safa' and their Rasa'il
- تنظيم رسائل إخوان الصفاء:

صنف إخوان الصفاء العلوم إلى ثلاثة أنواع: العلوم الرياضية والعلوم الشرعية والوضعية والعلوم الفلسفية الحقانية. وقُسمت هذه الأنواع بدورها إلى:

أ. العلوم الأساسية: القراءة والكتابة والنحو والمعجمات والمحاسبة والمعاملات التجارية والعروض والقياس وعقائد طالع الخير وطالع الشر وعقائد السحر والتنجيم والتمائم والخيل وما شابهها والأعمال والحرف والتجارة والزراعة وما شاكلها والقصص والسير الذاتية.

ب. العلوم الدينية: علم التنزيل وعلم التفسير والحديث والقانون والتشريع والزهد والتصوف وتفسير الأحلام.

ج. العلوم الفلسفية: الرياضيات المكونة من الرباعيات أو المربعات والمنطق والعلوم الطبيعية؛ وهذه تُقسم إلى سبعة أجزاء هي:

أ. علم المبادئ الجسمانية: ويهتم بالمبادئ التي تحكم الأجسام، ويكون من معرفة الهيولى والصورة والزمان والمكان والحركة.

ب. علم السماء: ويكون من علوم النجوم وحركة الكواكب وأسباب صفة استقرار الأرض وغيرها.

ج. علم الكون والفساد: ويكون من معرفة الأركان الأربع وتعديلها، والمعادن والنبات والحيوان التي منها تأتي إلى الوجود.

د. علم الحوادث الجوية: ويكون من معرفة تغيرات الطقس بتأثير النجوم والرياح والرعد والبرق وغيرها.

هـ. علم المعادن

حـ. علم النبات

طـ. علم الحيوان

دـ. العلوم الإلهية: علم الروحانيات وعلم النفسانيات ومعرفة الله وصفاته وعلم السياسة: ويكون من علم النبوة، والسياسة العامة والخاصة، والإنسان نفسه.

واعتماداً على هذا التصنيف، نظم إخوان الصفاء رسائلهم تنظيماً يضمن شمولها لجميع حقول المعرفة، بدءاً من العلوم الرياضية والمنطق، مروراً بالعلوم الطبيعية والجسمانية، ومنها إلى العلوم النفسانية، وانتهاءً بالعلوم اللاهوتية. ومن خلال المحافظة على هذا الهدف في أذهانهم، فإنهم قسموا الرسائل الائتين والخمسين، ما عدا الرسالة الجامعية، التي تأتي في النهاية كتلخيص عام، إلى كتب أربعة، وفق ما يلي:

أولاً: الرسائل الرياضية التعليمية:

الرسائل الرياضية التعليمية

وتشمل 14 رسالة، وهي على التوالي: خواص الأعداد؛ والهندسة؛ والنجوم؛ والجغرافية؛ والموسيقى؛ والقيمة التعليمية لهذه الموضوعات؛ والصناعة العلمية النظرية والعلمية والمهنية؛ وأفعال وأقوال الأنبياء والحكماء وأقوالهم؛ والمنطق (ويتضمن الإيساغوجي، الأقوال العشر، الباريمانياس، والأنالوطقيا الأولى والثانية).

ثانياً: العلوم الجسمانية الطبيعية:

وتشمل 17 رسالة، وهي على التوالي: الهيولى والصورة وماهيتها وما الزمان والمكان والحركة وغيرها والسماء والعالم؛ والكون والفساد؛ والأثار العلوية؛ وتكوين المعادن؛ وماهية الطبيعة؛ وأجناس النبات؛ وأجناس الحيوان وغرائب تكوينها؛ وتركيب الجسد؛ والخاص والمحسوس والغرض منها؛ ومسقط النطفة؛ والإنسان عالم صغير؛ وكيفية نشر الأنفس الجزئية في الأجساد البشرية؛ وبيان طاقة الإنسان في المعرف؛ وماهية الموت والحياة؛ وماهية اللذات والألام الجسمانية والروحانية؛ وعلل اختلاف اللغات ورسوم الخطوط.

ثالثاً: العلوم النفسانية العقلية:

وتشمل على 10 رسائل، وهي على التوالي: المبادئ العقلية على رأي الفياغوريين والمبادئ العقلية على رأي إخوان الصفاء وأن العالم إنسان كبير والعقل والمعقول والأكوار والأدوار وماهية العشق وماهية البعث والنشور وكمية أجناس الحركات والعلل والمعلومات والحدود والرسوم.

رابعاً: العلوم الناموسية والإلهية:

وتتضمن 11 رسالة هي على التوالي: الآراء والمذاهب وماهية الطريق للله عز وجل وبيان اعتقاد إخوان الصفاء وكيفية عشرة إخوان الصفاء وماهية الإيمان وحصل المؤمنين وماهية الناموس الإلهي وشرائط النبوة وكمية خصم وكيفية الدعوة إلى الله عز وجل وكيفية أفعال الروحانيين وكمية أنواع السياسات وكيفية نضد العالم وماهية السحر والطسمات.

- الأنظار الصوتية عند إخوان الصفاء:

بحث إخوان الصفاء الأصوات على مستويين، الصوت العام، والصوت اللغوي، وقد بحثوا هذا الموضوع بجهاً عميقاً فرأيناهم ييدُون بالحديث عن ماهية الصوت ونشأته وانتقاله وعملية إنتاجه وسماعه وإدراكه، ولعل هذه الخطوات لطال متبعة إلى الآن في دراسة الصوت اللغوي، وفي الحقيقة لا أكاد أمس فرقاً في مناقشة إخوان الصفاء في التفريق بين دراسة الصوت العام ودراسة الصوت اللغوي وبين المناقشات والثقافات الحديثة حول علمي الفوناتيك والفنولوجيا واختلاف المذاهب والآراء حولهما، فال الأول بحسب كمال بشر¹ يوجه اهتمامه للقضايا الصوتية في عمومها، أما الفنولوجيا فهي بحث الأصوات من حيث وظائفها في اللغة، وهذا ما لمسناه تماماً في رسائل إخوان الصفاء، وتجدر الإشارة بأننا سنعرض أولاً دراسات إخوان الصفاء في الصوت العام ومن ثم إدراج ما أضافوه في علم وظائف الأصوات أي الفنولوجيا.

(1) كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000 م، ص: 67 وما بعدها.

- الصوت عند إخوان الصفا:

تشير الدراسات الصوتية الحديثة إلى أن إنتاج الصوت يمر بمراحل أربع،

وهي⁽¹⁾:

- مرحلة إحداث الصوت أو إصداره.
- مرحلة انتقال الصوت.
- مرحلة سمع الصوت.
- مرحلة إدراك الصوت وفهمه.

وتقوم هذه الدراسات والكتب عادة قبل معالجة الصوت اللغوي، وتفصيل القول فيه بتعريفه تعريفاً عاماً ومن ثمًّا خاصاً، وهذا ما قام به إخوان الصفا، تماماً، من ناحية التعريف ومن ناحية التقسيم، وسأحاول في معالجتي الصوتية أن أوازن بين ما أكّلت إليه الدراسات الصوتية وما قدمه إخوان الصفا من أنظار صوتية مذ مئات السنين، فقد قسموا الصوت على نوعين، صوت عام وصوت لغوي، وبدؤوا ببحث الصوت العام، الذي قسموه على نوعين: حيواني وغير حيواني، وقسموا الحيواني على ضربين: منطقي وغير منطقي. فغير المنطقي أصوات الحيوانات غير الناطقة، وهي نغمات تسمى أصواتاً ولا تسمى منطقاً لأنَّ النطق لا يكون إلا في صوت يخرج من مخرج يمكن تقطيعه بالحروف التي إذا خرجت عن صفة الحروف، تُمكّن اللسان الصحيح نظمها وترتيبها وزنها، فتخرج مفهومه باللغة المتعارفة بين أهلها، فيكون بذلك النطق الأمر والنهي والأخذ والإعطاء والبيع والشراء والتوكيل وما شاكل ذلك من الأمور المخصوصة بالإنسان دون الحيوان، فيما

(1) عمر، أهـدـ مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1997م، ص: 19 وما بعدها. وكمال بشر في علم الأصوات، ص: 67 وما بعدها، النوري، محمد جواد. علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م.

قسموا الأصوات غير الحيوانية إلى نوعين أيضاً طبيعية وآلية. فالطبيعية هي كصوت الحجر والخديد والخشب والرعد والريح وسائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات، والآلية كصوت الطبل والبوق والزمر والأوتار وما شاكلها¹. هذا وقد جمع إخوان الصفا معاً لمعالجة إنتاج الصوت اللغوي وتحديد ماهيته وتعريفه معاً، لذلك فإننا سنجمع ما أسمهم به إخوان الصفا في تعريفات الصوت العام واللغوي وكيفية إنتاجه معاً لارتباطها الشديد معاً.

- مرحلة إحداث الصوت العام أو إصداره:

لقد قدم إخوان الصفا تعريفات عدّة لكنها تقوم على فكرة واحدة، ومنها: يقول إخوان الصفا: كل هذه الأصوات مفهومها وغير مفهومها، حيوانها وغير حيوانها، إنما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجرام وعصر حلقوم الحيوان⁽²⁾. كما يقولون: أعلم أن أصل الأصوات هو ما حدث من تصادم الأجرام وحركات الأجسام، والصوت قرع يحدث من الهواء إذا صدمت الأجسام بعضها ببعض، فتحدثت بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتاً، بأي حركة تحركت، ولأي جسم صدمت، ومن أي شيء كانت³. ويقولون أيضاً: إن كل جسمين تصادماً برفق ولن لا تسمع لهما صوتاً، لأن الهواء ينسّل من بينهما قليلاً فلا يحدث صوتاً، وإنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام، متى كان صدمها بشدة وسرعة، لأن الهواء عند ذلك يندفع مفاجأة، ويتموج بحركته إلى الجهات

(1) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم بطرس البصاني، طبعة دار صادر، بيروت، 1969: 95/3.

(2) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 3/98.

(3) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 3/95.

الست بسرعة، فيحدث الصوت ويسمع¹. وهو أيضاً عندهم: هواء ينقلب بين جسمين متصادمين بعنف فيصكّ الهواء الراكد في آلة السمع⁽²⁾.

ولعل موازنة سريعة بين هذه التعريفات والتعريفات الحديثة للصوت اللغوي تبين وتظهر أصالة الأنظار الصوتية لإخوان الصفا. يعرف كمال بشر الصوت بأنه أثر سمعي يصدر طواعية واختباراً عن أعضاء النطق، ويظهر في صورة ذبذبات تتواءم وما يصاحبها من حركات أعضاء الفم وعضلاته، ويتطلب إنتاج الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة أو تحريك هذه الأعضاء بطرق معينة محددة أيضاً⁽³⁾. أما أحمد مختار عمر فيعرف الصوت العام مهماً كان مصدره أو أصله بأنه اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج، ثم ضعف تدريجي يتهدى إلى نقطة الزوال النهائي، وتعقد عادة مقارنة هذا بما يحدث من توجّات نتيجة إلقاء حجر على سطح ماء أملس⁽⁴⁾. ويسرع بعد ذلك بتصنيفه إلى صوت لغوي وأخر غير لغوي.

أما الأجسام التي تحدث الصوت، فقد تحدث عنها أيضاً إخوان الصفا، فقد نسموها إلى ثلاثة أقسام: حية ومتّة ولا حية ولا متّة، يقولون: وكلام الإنسان وصوت الحيوان حي، ذو حركات نفسانية، وصوت الحجر والخشب والحديد والنحاس وما شاكلها ميت، والقسم الثالث: لا حي ولا ميت مثل صوت الهواء إذا تدافع وصدم بعضه ببعضه وحدث منه الصفير والزفير، وصوت تدافع الماء في

(1) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا: 3/132

(2) إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، 2/407

(3) كمال بشر، علم الأصوات: 117.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 21.
(117)

التاليل، وأمواج البحار وجريان الأنهر، وصوت زفير النار، فإن هذه لا يقال لها حية كما يقال للإنسان والحيوان أنه حي ذو حركة يقصد لغرض يناله بحركته، ولا يقال إنها ميتة كموت الحجر والخشب، لأنها متحركة بالاتفاق لا بالقصد، ولأنها تقوى مرة حركة الهواء، ومرة تسكتها وكذلك الماء والنار¹ أما أصوات الأجسام الحية: إن الصوت الحادث بحركة نفسانية حيوانية فهو مخصوص به الحيوان. أما أصوات الأجسام غير الحية: هذه الأصوات مخصوصة بما يحدث من حركة الأجسام الصامتة التي لا يحدث صوت وحسن عنها إلا بمحرك من غير جنسها يرفعها ويضعها وينقرها ويقرع بعضها ببعض، فالمحرك لها إنما بعمد وقصد كالإنسان فيما يتخذه من هذه الآلات للتصوير بالحركة، أو كحيوان يحدث ذلك بغير قصد كاحتكاك الدابة بالباب ودفعها للإناء وغيره، فيحدث من تلك الحركة وذلك الدفع صوت، أو من حركة الرياح والهواء للأجسام والنبات، والأشجار وحفييف أوراقها، واحتكاك قضبانها، وسلوك الهواء بينها، وسريانه بين الحيطان والبنيان، وخرقه منافذ الجبال والغدران والكهوف، فيحدث منه أنواع الصفير والتصوير، وما يحدث من أصوات حوادث الجو مثل ما يحدث من حركات المياه إذا انحدرت وتداولت من أعلى الجبال إلى بطون الأودية، مثل أصوات الدواليب والأرجحة والطواحين والمجاديف وجريان السفن في البحر وجري العجل في البر وكل ماء إذا تحرك أو تصرف فيه المحرك ظهر منه الصوت وقرع الهواء². و قريب من هذا ما ناقشه أحمد مختار عمر في عملية إنتاج الصوت حين تحدث عن إنتاج الصوت اللغوي وإنتاج الصوت غير الإنساني⁽³⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/127.

2 إخوان الصفا، الرسائل: 3/116 وما بعدها.

3 أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 30.

بل لقد حاول إخوان الصفا تصنيف هذه الأصوات الناجمة عن الأجسام الحية وغير الحية: قالوا: فما كان منها من أجسام الحيوان قيل: أصوات ونغمات، وما كان منها عن حركة الهواء قيل: صفير وزفير،... وما كان من المعدنيات والأحجار والخشب قيل: وقع وطنين ونقرة، وما شاكل ذلك، وما كان من جهة الإنسان قيل: كلام ولفظ ومنطق بالجملة⁽¹⁾. حتى الصدى عالجه إخوان الصفا: يقولون: فالصوت الذي يسمعه إنما هو صوته، والحركة التي بدت منه في الهواء، وذلك أنه صاح في سفح جبل وقعر بئر إلى جانب الحائط فخرج من جوف المتكلّم شكل كروي ونقش عرضي يأخذ الهواء إلى أن يؤديه إلى ذلك الموضع، فيصادفهما يمنعه من النفوذ والانتشار فيتردد راجعاً فيسمع منه ذلك الصوت وهو الصدى⁽²⁾.

ولإخوان الصفا كلام جليل حول حركة مصدر الصوت، وعملية اهتزاز الأعضاء لإنتاجه، قالوا: اعلم أنه لا توجد الأصوات إلا في الأجسام ولا تصور الأجسام إلا بحركات، ثم إن الأصوات أعراض حادثة والجواهر أجسام حاملة لها⁽³⁾. وكأنهم يتحدثون عن اهتزاز أعضاء النطق لإنتاج الأصوات، ومن ثم ينبغي التساؤل كيف تهتز وكيف تتنقل؟

ويعلق العلامة كمال بشر على أعمال عمالقة المسلمين⁽⁴⁾ في المجال الصوتي قائلاً: وفي آخر المطاف كان القدماء العظماء على خبرة ودرأية بالجوانب الثلاثة لتشكيل أصوات اللغة، وإن بدرجات متفاوتة، حسب درجات الاهتمام وحسب آليات الدرس والتحليل المتاحة لهم آنذاك، فكان اهتمامهم الأكبر بالجانب

1 إخوان الصفا، الرسائل: 3/127.

2 إخوان الصفا، الرسائل: 3/98.

3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/98.

4) حديث عن جهود العلماء القدامى كلهم؛ لغوين كالخليل وعبد القاهر، وابن جنبي... وغير اللغويين كالفرابي والكتندي وأخوان الصفا... وغيرهم.

النطقي لأن آلة ومصدر إصداره هما وجود حقيقي ملموس عند كل الناس بلا فرق، وهو جهاز النطق، يليه في الاهتمام والوقوف على أبعاد الجانب السمعي لأن آلة وجهازه المستقبل له يتمثل في الأذن بأعضائها الفاعلة، وأخيراً الجانب الأكoustيكي وهو غير مذكور عندهم لحرمانهم من آلة وأجهزتها الكاشفة في ذلك الوقت السحيق⁽¹⁾.

هذا بالنسبة للصوت العام أو ما يطلق عليه بحسب الدراسات الصوتية الحديثة بالفونيتكس، أما دراسة الصوت اللغوي ووظائفه أو ما يطلق عليه في الدراسات الصوتية الحديثة بالفنولوجيا، فقد جاء عند إخوان الصفا ما يلي:

مفهوم الصوت اللغوي عند إخوان الصفا:

الأصوات المنطقية هي أصوات الناس، وهي نوعان، دالة وغير دالة، وعرفوا الصوت غير الدال بأنه صوت لا هجاء له ولا يتقطع بمحروف متميزة يفهم منها شيء مثل البكاء والضحك والسعال والأنين وما أشبه ذلك وأما الصوت الدال فهو كالكلام والأقاويل التي لها هجاء في أي لغة كانت وبأي لفظ قيلت⁽²⁾. والنطق اللفظي إنما هو أصوات مسموعة لها هجاء، وهي تظهر من اللسان الذي هو عضو الجسد، وتتر إلى المسامع من الأذان التي هي أعضاء من أجساد أخرى⁽³⁾. وإن الحروف اللفظية وضعت سمات ليستدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل. والدالة هي التي تلفظ بالحروف المعجمة وهي التي تدل على المعاني في أفكار النفوس⁽⁴⁾.

(1) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 129.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/133.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 1/392.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 2/469.

ويذكر الدكتور أحمد مختار عمر في معرض حديثه عن تصنیف الأصوات: ومن الممكن تصنیف المادة الصوتية للغة إلى: أصوات موسيقية، وأصوات ضوضائية أو غير موسيقية⁽¹⁾، وهذا لا ريب يتطابق مع ما جاء به إخوان الصفا في حديثهم السابق.

إنتاج الصوت اللغوي:

عالج إخوان الصفا إنتاج الصوت اللغوي على مستويين، المستوى الأول: مقطعاً على مستوى الإفراد، والمستوى الثاني: منتجاً على مستوى التأليف والتركيب. يقول إخوان الصفا عن المستوى الأول: وهي تقطيع الصياح بانضمام أجزاء الفم فتحدث منه حروف، كما تضم الشفتين بنوع ما فتحدث الباء، وتضم بنوع آخر فتحدث الميم. أما إنتاج الصوت اللغوي على مستوى التأليف والتركيب، قال إخوان الصفا: النطق اللفظي هو ألفاظ مؤلفة من الحروف المعجمة. ويضيفون: إن الحروف إذا ألفت صارت ألفاظاً، والألفاظ إذا ضمت المعاني صارت أسماء، والأسماء إذا ترددت صارت كلاماً، والكلمات إذا اتسقت صارت أقاويل، والأقاويل نوعان: موزون ونشر، فالموزون كالشعر والرجز والقوافي، والنشر نوعان: منه فصاحة وبلاغة، ومنه مخاطبات ومحاورات⁽²⁾. لذلك يعرف إخوان الصفا الكلام بقولهم: صوت بحروف مقطعة دالة على معانٍ مفهومة من خارج مختلفة⁽³⁾. وهذا كلام مبكر جداً في الفوئيمات والمقاطع الصوتية والكلمات والجمل.

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 38.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 1/393.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/114.

عملية إصدار الصوت اللغوي:

تحدث إخوان الصفا عن إنتاج الصوت اللغوي والأعضاء التي تشارك في إنتاجه، يقولون: والحرف اللفظية إنما هي أصوات تحدث في الحلق، والحنك، وبين اللسان والشفتين، عند خروج النفس من الرئة، بعد ترويجهما الحرارة الريزية التي في القلب. والرئة هي مستودع النفس أو الهواء الذي ينطلق منها إحداث الصوت⁽¹⁾.

والرئة بيت الريح يخدمها ويعينها في أفعالها أربعة أعضاء أخرى، وهي الصدر والحجاب والحلقوم والمنخران، وذلك أن المنخرين الهواء المستنشق إلى الحلق ويعتدل فيه مزاجه، ويصل إلى الرئتين ويتصفى فيها، ثم يدخل إلى القلب ويروح الحرارة الغريزية هناك، وينفذ من القلب إلى العروق الضوارب، ويبلغ سائر أطراف البدن الذي يسمى النبض، وينخر من القلب الهواء المحترق إلى الرئة، ومن الرئة إلى الحلق، ومن الحلق إلى المنخرين أو إلى الفم، والصدر يخدم الرئة في فتحة لها عند استنشاق الهواء وضمه إليها عند خروج النفس، والحجب تحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات واضطراب أحوال البدن⁽²⁾.

ويقول الإخوان: أعلم أن هذه الأحرف لا تحدث إلا بإرسال النفس المستنشق من الهواء، وإرساله وقطع اللسان لها في مخارجها ومجاريها⁽³⁾. وهذه مرحلة متقدمة في ذلك الوقت، حيث أثبتت العلم مؤخراً أن إنتاج الأصوات لا يكون إلا من خلال عملية الزفير. ولا يعلم المتخصصون إلى الآن لغة واحدة تعتمد على الشهيق في عملية إنتاج الأصوات اللغوية. يقول إخوان الصفا عن مخرج

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/330.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 2/190.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/330.

المحروف: أعلم يا أخي أن الكلام هو صوت محروف مقطعة، دالة على معانٍ مفهومة من مخارج مختلفة، وأبعد هذه مخارج هذه الحروف أقصى الحلق، وهو ما يلي أعلى الصدر⁽¹⁾. وتحدد الدراسات الحديثة موقع الرتتين بالنسبة لجهاز النطق بقولهم: يبدأ جهاز النطق بالرتتين وينتهي بالشفتين، والرتسان هما مخزن الهواء، والهواء المنبعث من الرتتين هو مصدر الصوت الذي تتعاون الأعضاء الأخرى على تشكيله وتلوينه وفق عمليات متعددة⁽²⁾.

ومن خلال موازنة بسيطة بين ما قدمه إخوان الصفا منذ ألف ونيف من السنين فقد أجلوا القول في آلة النطق الرئيسية، التي تضم الرئة والصدر والحجاب والحلقوم والمنخار والفم واللسان والشفتين، وبين ما قدمه علم الأصوات النطقيي الفسيولوجي يظهر لنا أهمية إسهامات إخوان الصفا في الدرس اللغوي يقول النوري: تنقسم أعضاء النطق التي يتتألف من مجموعها الممر الصوتي من: جهاز آلة التنفس أي الرتتين التي يعتمد عليها في تدفق الهواء اللازم لإنتاج الأصوات الكلامية، والحنجرة بوصفها صماماً ينظم تدفق الهواء، والممر بعدها المكون من المزمار والشفتين واللسان والأسنان⁽³⁾.

وقد ربط إخوان الصفا بين مخارج الحروف وأهميتها في نطق الحروف والأصوات نظراً صحيحاً، يقول إخوان الصفا: وأصل الأصوات في الرئة هواء يصعد إلى أن يصير إلى الحلق، فيديره اللسان على حسب مخارجـه، فإن خرج على

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/114.

(2) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: لبنان، الطبعة الأولى،

1996م، ص: 47.

(3) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، مطبعة النصر التجارية، نابلس، فلسطين، (د. ت)، ص: 59.

حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعلم خبره، وإن خرج على غير حروف لم يفهم
كان كالنهاق والرغاء والسعال وما أشبه ذلك فإن رده اللسان إلى مخرجه المعلوم في
حروف مفهومة يسمى كلاماً ونطقاً بأي لفظة كانت على حسب الموافقة ومساعدة
الطبيعة، لكل قوم في اتساع حروفهم وسهولة تصرفهم في خارج كلامهم ونحوه
لغاتهم بحسب مزاج طبائعهم وأهوية بلدانهم وأغذيتهم، وما أوجبت لهم دلائل
موالدهم وما تولاهم من الكواكب في وضع أصل تلك اللغة في الابتداء الوضعي
والمنهاج الشرعي، وما تفرع من ذلك الأصل وما ينقسم من ذلك النوع⁽¹⁾.

وهذه ملاحظة متقدمة من إخوان الصفا في دور البيئة وخصائص الأقاليم
الطبيعية على إنتاج الأصوات اللغوية، وقام على أساس هذه الفكرة نظريات لغوية
ولسانية تدفع بهذا الاتجاه. فضلاً عن اختلاف أناس البشر في إنتاج الأصوات
اللغوية في خواصهم اللغوية، وتؤدي الوراثة دوراً كبيراً في هذا الاتجاه.

يقول إخوان الصفا: أعلم أن اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على
حسب اختلافهم في أجسامهم وتركيباتهم، وأصل الاختلاف في اللغات هو
اختلاف خارج الحرف ونقصها عن تأدية ما يؤديه البلع منها⁽²⁾.

ولقد تطرق إخوان الصفا إلى أثر العمليات النفسية في إنتاج الأصوات
اللغوية، والسلوك الإنساني يقولون: أعلم أن مزاجة الأبدان كثيرة الفنون، وطبع
الحيوانات كثيرة الأنواع، ولكل مزاج وطبيعة نغمة مشاكلاً، ولحن ملائم لها، لا
يخصي عددها إلا الله تعالى، والدليل على ذلك أنك إذا تأملت وجدت لكل أمة من
الناس أحاناً ونغمات وأصواتاً يستلذون ويفرحن بها لا يستلذها غيرهم ولا يسر

(1) إخوان الصفا الرسائل: 3/114.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/118.

الصوتيات فضلياً وبراسات
بها سواهم، وذلك لاختلاف لغاتهم وتبادرن أمرزجتهم وطبعاتهم، وما جرت به العادات والأخلاق. وهكذا يجري في أصحاب لغة واحدة، أقوام يستلذون الحان ونغمات وأصواتا لا يستلذها غيرهم من لغتهم، وهكذا ربما تجد إنسانا واحدا يستلذ وقتاً لحنا ما، ويعافه آخر، وهكذا تجد حكمهم في ما كولاتهم ومشروباتهم وسمو عاتهم وسائر الأنواع من الملاد والزينة، كل ذلك حسب تغير أمرزجتهم واختلاف طبائعهم وما جرت به عاداتهم وما تولاهم من الأسباب الفلكية، والأحكام السماوية في أوقات مواليدهم ومساقط نطقهم⁽¹⁾.

وقد تنبه إخوان الصفا إلى اضطرابات الكلام، والعيوب النطقية على الرغم من سلامة الجهاز النطقي، يقولون: وقد زعم بعضهم أن فساد الكلام من فساد التركيب وفساد المزاج، وليس هو كما زعم، وإنما هو من اختلاف مخارج الحروف في قوتها وضعفها، وهو فساد في اللسان يقلب ويعدل الحروف عن مخارجها، ولو كان من فساد المزاج ل كانت اللغة كلها في حرف واحد من مخرج واحد، ول كانت ترجع إلى الاستواء، عند صلاح المزاج، كما يحدث بالفصيح الكلام، وضعف الصوت من فساد المزاج وغلبة بعض الطبائع، وإذا عاد الأمر السالم عاد إلى كلامه إلى المعهود منه أولاً، ولللغة ليست كذلك، والناس فيها مختلفون وغير متفقين في الحروف التي يقع فيها الخطأ والعدول بها عن استواها إلى خلافها، وهي أغراض كثيرة تختص باللسان،... وتعرض فتفسد الكلام، وهي مثل الخلة، والفأفة... والتممة والعقلة، والحكمة والرته، واللغة وما أشبه ذلك...⁽²⁾ يقول أحمد مختار

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/139.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/118.

عمر: يتدخل علم الأصوات في علاج عيوب النطق والكلام بالنسبة لمن يتمتعون بأذن صحيحة وإدراك سليم للأصوات⁽¹⁾.

مرحلة انتقال الصوت العام:

لقد أدرك إخوان الصفا تمام الإدراك دور الهواء في حمل الصوت ونقله إلى آذان المستمعين، فالهواء هو الواسطة بين مصدر الصوت وأذن السامع، وهو يحمل الصوت ويحركه، متنقلًا به من خطوة إلى أخرى حتى النهاية، ويعني هذا أن الصوت عند إصداره ينتقل إلى الهواء فيحدث فيه ذبذبات متصلات تنقله وتدفع به إلى السمع⁽²⁾. إنها أنظار فيزيائية لدراسة الصوت اللغوي. ويضيف إخوان الصفا قولهم إنّ: الهواء جسم لطيف شريف، وهو متوسط بين الطرفين، فما هو فوقه ألطاف منه، وهو النور والضياء وما دونه أكثف منه وهو الماء والتربا⁽³⁾. ويذكرون في موضع ثالث حول مرحلة نقل الصوت بين الإصدار والإدراك بأنّ الهواء: الحركة الواعية إلى حاسة السمع⁽⁴⁾. بل أكدوا ذلك لأكثر من مرة، قالوا في تعليم دور الهواء في نقل الصوت: لما كان الهواء ألطاف جوهرا من الماء، وأشد سيلانا، صار قبوله للأصوات والروائح أسرع انفعالا وأسرع قبولا⁽⁵⁾.

أما عن كيفية نقل الهواء للصوت: يقول إخوان الصفا: إنّ الهواء لشدة طاقته وصفاء جوهره وسرعة حركة أجزائه يتخلل الأجسام كلها ويسري فيها ويصل إليها ويحرك بعضها إلى بعض، فإذا صدم جسم جسماً انسلَ ذلك الهواء من

(1) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 408.

(2) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 123.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/125.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 3/103.

(5) إخوان الصفا، الرسائل: 3/417.

بينهما، وتتدافع وتتوج إلى جميع الجهات، وحدث من حركته شكل كروي يتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج، وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت قوة ذلك الصوت إلى أن يسكن، ومثال ذلك إذا رميت في الماء الهايدي الواقف في مكان واسع حجراً فيحدث في ذلك الماء دائرة من موضع وقع الحجر، فلا تزال تتسع فوق سطح الماء وتتوج إلى سائر الجهات، وكلما اتسعت ضعفت حركتها حتى تلاشى ⁽¹⁾. إنهم هنا يصرحون بدور الموجات والذبذبات في نقل الأصوات، إن هذه المقطوعة أو الفقرة لستحق أعظم تقدير وإعجاب. فقد سبقت اكتشافات المناهج الحديثة والآلات الدقيقة.

وقدمنا بالإشارة بأن هذا التشبيه السابق الذي استخدمه إخوان الصفا أضحت مثلاً عالمياً في شرح دور الهواء في إنتاج الصوت اللغوي، وما يُؤسف له أن نسب هذا المثال إلى بعض الأجانب الذي ما استخدموه إلا من عشرات السنين فقط، فيما استخدمه إخوان الصفا من مئات السنين ⁽²⁾.

وما يُؤسف له أن نسب هذا المثال إلى بعض الأجانب الذين ما استخدموه إلا من عشرات السنين فقط، فيما استخدمه إخوان الصفا من مئات السنين حيث قالوا: إنما يحدث الصوت من تصادم الأجسام، إذا كانت صدمتها بسرعة فينضغط الهواء عند ذلك وتتدافع أمواجه، وتتوج حركته إلى الجهات الست بسرعة؛ فيحدث الصوت ويُسمع ⁽³⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/102.

(2) نسب أحد مختار عمر هذا التشبيه في كتابه دراسة الصوت اللغوي إلى روينز في كتابه: General

Linguistics

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/132.

ويقول إخوان الصفا عن ما اصطلح عليه مؤخراً بالذبذبات: ومن فضائل الهواء وخصائصه العجيبة أنه يمنع الأصوات بسيلانه أن يثبت زماناً طويلاً فقبل الانتفاع بها ويكثر الضرر منها، وذلك أن الأصوات ليست تمكث في الهواء إلا ريثما تأخذ المسامح حظها ثم تض محل، ولو ثبتت الأصوات في الهواء زماناً لاميلاً الهواء من الأصوات ولعظم الضرر منها حتى لا يمكن أن يسمع ما يحتاج إليه من الكلام والأقاويل⁽¹⁾.

وحول سعة الذبذبات يقول إخوان الصفا: والأجسام العظيمة إذا تصادمت كان صوتها أعظم، لأنها تموج هواء أكثر، وكل جسمين من جوهر واحد، مقدارهما واحد، وشكلهما واحد نقرأ نقرة واحدة معاً فإن صوتيهما يكونان متساوين، فإن كان أحدهما أجوف كان صوته أعظم، لأنه يصد هواء كثيراً داخلاً وخارجها، والأجسام الملساء أصواتها ملساء، لأن السطوح المشتركة التي بينها وبين الهواء ملساء، والأجسام الخشنة تكون أصواتها خشنة، لأن السطوح المشتركة بينها وبين الهواء خشنة، والأجسام الصلبة الم gioفة كالأواني والطروحات والجرار إذا نقرت نطنت زماناً طويلاً لأن الهواء في جوفها يتربّد ويصدّها مرة بعد مرّة، وتارة بعد أخرى، إلى أن يسكن، فما كان منها أوسع كان صوتها أعظم، لأنه يصد هواء كثيراً داخلاً وخارجها، والبوقات الطوال كان صوتها أعظم لأن الهواء المتموج فيها يصدّها في مروره مسافة بعيدة، والحيوانات الكبيرة الرئات الطويلة الخالقين الواسعة المنابر والأشداق تكون جهيره الأصوات لأنها تستنشق هواء كثيراً وترسله بشدة، فقد تبيّن بما ذكرنا علة عظم الصوت إنما هي بحسب عظم الأجسام

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 2/53.

الصوتة وشدة صدمها وكثرة تمواج الهواء في الجهات عنها¹. تقول الدراسات الحديثة وسعة الذبذبة هي المسؤولة عن التوتر، فكلما زاد الاتساع زاد التوتر⁽²⁾.

وعن مفهوم التردد أشار إخوان الصفا إلى أن الحركة نوعان: سريعة وبطيئة والحركة السريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة بعيدة في زمان قصير، والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة أقل منها في ذلك الزمن بعینه⁽³⁾. وقد أكد إخوان الصفا هذه الظاهرة في موضع آخر بقولهم: الحركة تكون سريعة وبطيئة، فالسريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة طويلة في زمان قصير، والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة قصيرة في زمان طويل، وعلى هذا المثال تعتبر الحركات المتحركات⁽⁴⁾. وتشير الدراسات الصوتية الحديثة أن التردد عبارة عن تكرار كامل لنمط موجة، أو؟+عبارة أخرى هي ذلك الجزء من الموجة بين أي نقطة والنقطة التالية⁽⁵⁾.

كما قارن إخوان الصفا سرعة الضوء بسرعة الصوت، وتوصلوا إلى أن: البروق والرعد يحدثان في وقت واحد ولكن البرق يسبق إلى الأ بصار قبل الصوت إلى المسامع، لأن أحدهما روحاني الصورة، والأخر جسماني وهو الصوت⁽⁶⁾. وهذا ما أكدته الدراسات الحديثة.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 190/1.

(2) عمر، أحمد خنار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 25.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 193/1.

(4) إخوان الصفا، الرسائل: 136/3.

(5) عمر، أحمد خنار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 25.

(6) إخوان الصفا، الرسائل: 75/2.

انتقال الصوت اللغوي:

تعد دراسة انتقال الصوت اللغوي وتحليله وتركيبه من مهام علم الأصوات الفيزيائي أو الأكoustيكي، وقد كان إخوان الصفا قدما في هذا الميدان منذ مئات السنين، لقد عرف إخوان الصفا الصوت اللغوي بأنه: أصوات محمولة في الهواء فمدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة¹. وهو تعريف راق على بساطة كلماته وكلي يقين لو أننا قدمنا هذا التعريف على أنه لدى سوسير أو فيرث أو تشومسكي بعض الباحثون عليه بالتواجذ، وقد ربط علماء الأصوات حديثا بين المرحلة الفسيولوجية والأكoustيكية كما فعل إخوان الصفا تماما، وذلك في ربطهم بين مدى الصوت وانتشاره وبين قوة رئة الإنسان وأعضائه. كما طبقوا ذلك على الحيوانات أيضا.

يقول الإخوان: وأما مخارج الأصوات من سائر الحيوان فإنها من الرئة إلى الصدر ثم إلى الحلق ثم الفم، ثم يخرج من الفم شكل على قدر عظم الحيوان وقوته رئته وسعة شدقه، وكلما اتسع الحلق وانفreg المكان وعظمت الرئة زاد صوت الحيوان على قدر قوته وضعيته². وأضافوا قائلين: من أراد أن يكون له صوت طويل يمكث في الهواء فليعتمد ذلك، ويجهد في جمع الهواء حتى يكون إرساله بحسب ما اجتمع فيه، فيدرك ما يريد وإن تأذى وتألم³. وحول دور الرئة في إنتاج الأصوات يقول النوري: وتكون الأصوات العربية بأنواعها المختلفة مجموعة صوتية واحدة يتم إنتاجها عن طريق الآلية الرئوية⁴.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/392.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/102.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/104.

(4) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، ص: 223.

تشير الدراسات الصوتية الحديثة أن علم الأصوات السمعي لم يحقق تقدماً كبيراً إلى الآن، وذلك لتشككهم في قيمة ما يمكن أن يقدمه ذلك العلم، وذلك لصعوبة إدراك أو تصور ما يجري في الأذن من عمليات ذهنية، فعلى الرغم من هذه الصعوبة فقد ولج إخوان الصفا ودلفوا إلى هذا الميدان وأدلووا بدلولهم، وكان لهم فيه إسهامات واضحة وبضمات ملاحظة، يقول إخوان الصفا متحدثين عن سماع الصوت: من كان حاضراً من الناس وسائر الحيوانات الذي له أذن بالقرب من ذلك المكان فيتموج الهواء بحركته يدخل في أذنيه إلى صماميه في مؤخر الدماغ ويتموج أيضاً ذلك الهواء الذي هناك فتحسَ عند ذلك القوة السامعة بتلك الحركة وذلك التغيير.¹ تقول الدراسات الحديثة: تبدأ العملية السمعية من اللحظة حين تدخل موجة صوتية صمام الأذن وتصل إلى طبلة الأذن فتحرکها، وبعد انتقالها عن طريق سلسلة العظام تؤثر في السائل الموجود في الأذن الداخلية بطريقة تحرك أعصاب السمع وتنقل هذه الأعصاب صورة هذا الاضطراب إلى المخ². وفي في أثناء سماع الصوت يستطيع الإنسان التمييز بين أنواع الأصوات المختلفة باختلاف مصدرها.

كما تعرض إخوان الصفا إلى عوائق الصوت، وأهمها اثنان: الأول: يقولون: وأما حاسة السمع فإنها لا تكذب، وقلما تخطئ، وذلك لأن ليس بينها وبين محسوساتها إلا واسطة واحدة وهي الهواء، وإنما يكون خطؤها بحسب غلظ الهواء ورقته، وذلك أنه ربما كانت الريح عاصفة والهواء متحركاً حركة شديدة، فيصوت المصوت في مكان قريب من المسامع، فلا يسمع من شدة حركة الهواء

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/121.

(2) عمر، أحمد خنثار، دراسة الصوت اللغوي، ص: 48.
(131)

وهيجانه، فتكون حركة ذلك الصوت يسيرة في شدة حركة الهواء وهيجانه فيضعف عن الوصول إلى الحركة السامة، وإذا كان الهواء ساكنا وصل ذلك الصوت إلى الحاسة إذا كان في مكان يمكن أن يتصل به ذلك التموج والحركة الحادثة في الهواء، فاما إذا كانت المسافة بعيدة فإنها لا تدركه وتتلاشى تلك الحركة وتندفع قبل وصلوها إليها⁽¹⁾. والعائق الثاني: متى كانت أدوات القوة السامة التي هي ضماداً الأذن مفتوحتين فتقتين من الأوساخ سليمتين من الآفات العارضة طفت فيهما الأصوات بهيئتها فأدركتها القوة السامة بحقائقها، وإذا كانت على غير ما ذكرنا لعارض من الآفات عاقت عن إدراكتها المسموعات⁽²⁾.

وفوق ذلك عقد إخوان الصفا موازنة بين السمع والبصر، من حيث قوة التمييز، قالوا حول قوة التمييز بين حاسة السمع وحاسة البصر: اختلف العلماء في حاسة النظر وحاسة السمع، أيهما أطف وأشرف، فقال بعضهم: حاسة السمع أشرف، وكان برهان من قال ذلك أن محسوسات السمع كلها روحانية، وأن النفس بطريق السمع تحرك من هو غائب بالمكان والزمان، وأن محسوسات البصر كلها جسمانية لأنها لا تدرك إلا من كان حاضراً في ذلك الوقت، وقال: إن السمع أدق تمييزاً من البصر، إذ يعرف جودة الذوق وجودة الحس، والكلام الموزون، والنغمات المختلفة والفرق بين السقيم والصحيح والمستوي والمتزاحف، وصوت الطير من صوت الكلب وصوت الحمار من صوت الجمل، وأصوات الأصدقاء من أصوات الأعداء، وما يحدث من أصوات الأجسام التي لا روح فيها، وأصوات الناس على اختلاف وأشكال كلامهم، لتخبر عن كل صوت بما هو دأبه وتبه إلى الذي بدا منه، ولا يحتاج إلى البصر في ذلك وفي إدراكته، والبصر يخطئ في أكثر

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/107.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/406.

الصوتيات لفسيانيا وبراسات
مدركاته، فإنه ربما يرى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا ولقريب بعيدا
والمتحرك ساكنا والساكن متحركا فصح بهذا القول أن السمع الطف واشرف من
البصر ⁽¹⁾.

مرحلة سماع الصوت اللغوي:

يُعني علم الأصوات السمعي بدراسة كيفية التقاط الأذن للصوت وفهمه وإدراكه. تحدث الإخوان عن ثمانية أنواع من الأصوات على شكل ثانيات أو متقابلات: يقولون: تقسم الأصوات إلى ثمانية أنواع، كل نوعين منها متقابلان من جنس المضاف وهم العظيم والصغير والسرير والبطيء والحاد والغليظ والجهير والخفيف. فأما العظيم والصغير من الأصوات فبإضافة بعضها إلى بعض، والمثال في ذلك أصوات طبول، وذلك أن أصوات طبول المراكب، إذا أضيفت إلى أصوات طبول المخانيث، كانت عظيمة، وإذا أضيفت إلى أصوات الرعد والصواعق كانت صغيرة والكوس هو الطبل العظيم يضرب في ثغور خراسان عند النغير يسمع صوته من فراسخ. فعلى هذا المثال يعتبر عظم الأصوات وصغرها بإضافة بعضها إلى بعض. وأما السرير والبطيء من الأصوات بإضافة بعضها إلى غيرها، والمثال في ذلك أصوات كودينات القصارين ومطارق الحدادين فإنها سريعة بالإضافة إليها، وأما بالإضافة إلى أصوات مجاديف الملحنين فهي سريعة بالإضافة إلى دق الرزازين والخاصفين، وهي بطيئة بالإضافة إليها، وأما بالإضافة إلى أصوات مجاديف الملحنين فهي سريعة. وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الأصوات وبطئها بإضافة بعضها إلى بعض، وأما الحاد والغليظ من الأصوات بإضافة بعضها إلى بعض فهي كأصوات نقرات الزيز وحده، بالإضافة إلى نقرات المثنى، والمثنى إلى المثلث، والمثلث إلى اليم، فإنها تكون حادة. فأما بالعكس فإن صوت اليم بالإضافة إلى

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/123.

المثلث، والمثلث إلى الثنائي، والثنائي إلى الـزير فغلقية. ومن وجه آخر أيضاً فإن صور كل وتر مطلقاً غليظ بالإضافة إلى مزمونه أي مزموم كان. فعلى هذا القياس تعتبر حدة الأصوات وغلوظها بالإضافة بعضها إلى بعض⁽¹⁾. ويتبين ما سبق عدداً من الحقائق الصوتية الحديثة في ربط الجانبين الفسيولوجي والفيزيائي في إنتاج الأصوات⁽²⁾:

- عظم الصوت وصغره.
- سرعة الصوت وبطيئه.
- حدة الصوت وغلوظته.
- جهارة الصوت وخفته.

مرحلة إدراك الصوت العام وفهمه:

سبق القول بأن علم الأصوات السمعي ما زال عصياً على الباحثين والعلماء لصعوبية تعرف عمل المخ وأليته، فالحصول على نتائج معملية لا تزال بعيدة المنال؛ لأن الفحص المباشر للعقل معوق بانفراد الإنسان بخاصة الكلام. مما دامت الحيوانات لا تتكلّم فإن التجارب على عقولها لا تعطينا شيئاً، والفحص المباشر للعقل البشري محكوم بقيم أخلاقية، لذلك فمعلماتنا في هذا الميدان تخمينية حتى الآن⁽³⁾. وعلى الرغم من ذلك فقد حاول إخوان الصفا دراسة هذا الجانب

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/136.

(2) انظر: حول هذه الصفات في الصوتيات الحديثة: سمير استيّة، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن 2005م: 29 وما بعدها، الفارع، شحادة وأخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل: الأردن، الطبعة الرابعة، 2008م. ص: 59 وما بعدها. العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1983م. ، ص: 113 وما بعدها.

(3) محمد جواد النوري وعلي خليل حمد، فصول في علم الأصوات، ص: 48 النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م، ص: 55 وما بعدها.

تحدث إخوان الصفا عن مواطن إدراك الأصوات في الدماغ الإنساني، يقولون: طنين الأصوات لا يمكث في المسامع زمنا إلا ريشما تأخذ القوة التخيلية رسومها، ثم تضمحل من المسامع تلك الطنينات⁽¹⁾. وهذه من الحقائق الثابتة علميا في الوقت الراهن، كما تعرض إخوان الصفا لموقع إدراك الأصوات في دماغ الإنسان وقلبه، ولعل هذه الفكرة تقترب كثيرا من النظرية التي يتبعها شيخنا الدكتور عودة أبو عودة والتي أطلق عليها اللوحة الدلالية التي ترجع عمليات اكتساب المعرفة والإدراك اللغوي إلى حاستي السمع والبصر والفؤاد.

يقولون: أعلم أن كل صوت له نغمة وصيغة وهيئة روحانية خلاف صوت آخر، وأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل كل الصوت بهيئاته وصيغته ويحفظها لثلا يختلط بعضها ببعض، فيفسد هيئتها إلى أن يبلغها إلى أقصى مدى غاياتها عند القوة السامعة لتدليها إلى القوة التخيلية التي سكنها مقدم الدماغ، وذلك تقدير العزيز الحكيم الذي جعل لكم السمع والأبصار والأفؤدة قليلا ما تشكرون⁽²⁾.

ومن لطائف إخوان الصفا تفريقيهم وتمييزهم بين سماع الصوت وبين عملية إدراكه. فهناك علم اللغة السمعي، وعلم اللغة الإدراكي في اللسانيات الصوتية الحديثة.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 1/200.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 1/189.

إدراك الصوت اللغوي:

إن دراسة الأصوات التي تصل الأذن على شكل ذبذبات وإشارات كهربائية هي عملية نفسية إدراكية بجانب كونها عملية عضوية فسيولوجية، وعليه فقد أطلق العلماء على العلم الذي يدرس تينك المرحلتين بعلم الأصوات النفسي / الإدراكي. ولا يزال هذا العلم موضع دراسة وبحث، ويعد أقل العلوم إنتاجاً لنظريات وتفسيرات لعملية إدراك الكلام وذلك لتدخل العلوم التي تبحث فيه، وعدم مساعدة الآلات في الوصول إلى نتائج كما في العلوم الأخرى. وعلى الرغم من ذلك فقد حاول إخوان الصفا أن يدلوا بدهم في هذا المجال، وقد تحدثوا أولاً عن:

أولاً: وسائل الإدراك بصفة عامة

وأوجزوها في الحواس الخمس والدماغ ومكوناته والقلب. وقد قصدوا بالحواس الخمس الأولى: العين والأذن واللسان الأنف واليد، وتحتضم كل واحدة منها بإدراك جنس من المحسوسات ولا تشارك غيرها في محسوساتها، فالقوة السادسة تولت إدراك المسموعات، وهي الأصوات على اختلاف أنواعها، والباصرة تولت إدراك المبصرات على اختلاف أنواعها، إلخ. أما قوى الدماغ أو التي أسموها بالقوى الخمس الثانية وتعمل على تحقيق الإدراك الكلي: مقدم الدماغ، والمفكرة أو العاقلة التي مجرها وسطه، والذاكرة التي مجرها مؤخرة، والناطقة المخبرة و مجرها من الحلقوم إلى اللسان، وقوة إظهار الكتابة والصنائع و مجرها اليدين والأصابع، وأخيراً القلب الذي أعطوه دوراً عظيماً في عملية التمييز والفهم فمرة جعلوا مرتبته قبل الدماغ ومرة أخرى وراءه عليه، يقولون في دور القلب في عملية الإدراك: أعلم أن القلب في الجسد مصور على صورة الإنسان، ولذا صار أفضل الأعضاء التي في أجسام الحيوان، وذلك أن له بصيرة يبصر بها ما غاب عن حاسة النظر من

خارج، وله مسامع يدرك بها الأصوات، ويؤدي إلى حاسة السمع ما يدركه بها،
وله حاسة اللمس فهو يتשוק إلى محسوساتها إذا فقدها مثل ما يشتق العاشق عنق
مشوقته⁽¹⁾.

تاليًا: الإدراك اللغوي:

نظر إخوان الصفا إلى عملية الإدراك اللغوي بوصفها حلقة من حلقات التواصل بين المتكلم والمخاطب أو المستمع. يصف إخوان الصفا عملية الإدراك اللغوي هذه بقولهم: عندما يصدر المخ أوامره لجهاز النطق بعملية تقطيع الأصوات في حالي الإفراد والتركيب، تنتقل هذه الأصوات عبر الهواء إلى أذن المستمع أو قوته السامعة لتؤديه إلى القوة المتخيلة في مقدم الدماغ التي تنقله بدورها إلى القوة المفكرة في وسط الدماغ لتنظر فيه وترى في معانيه وتعرف حقائقه ومضاره ومنافعه ثم تؤديه إلى القوة الحافظة في مقدم الدماغ لتحفظه إلى وقت الحاجة والتذكرة، ثم إن من شأن القوة الناطقة إذا استعانت بها القوة المفكرة في النية عنها في الجواب والخطاب أن تؤلف ألفاظاً من حروف المعجم بنفحات مختلفة السمات التي هي الكلام فتدفعها عند ذلك إلى القوة المعبرة لترجحها إلى الهواء بالأصوات المختلفة في اللغات لتحملها إلى مسامع الحاضرين بالقرب، فتكون تلك الألفاظ المؤلفة من الحروف المختلفة الأشكال والسمات كالأجسام المركبة من الأعضاء المختلفة، وتكون تلك المعاني المضمنة في تلك الألفاظ للأرواح لها، لأن كل لفظة لا معنى لها فهي بمنزلة جسد لا روح فيه، ثم إن من شأن القوة الصانعة أن تصوغ لتلك الألفاظ من الخطوط والأشكال بالأقلام وتودعها وجوه الألواح ليقى المعلم مفيها فائدة من الماضين الغابرين وخطاباً من الغائبين الحاضرين⁽²⁾.

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/105.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/243.

وقد اهتم إخوان الصفا باللغة المنطقية واللغة المكتوبة، وقد رفعوا اللغة المنطقية درجات فوق اللغة المكتوبة، يقول إخوان الصفا: السمع الطريق الذي تقبل به النفس معاني اللغات، وما تدل عليه الأصوات من الأخبار لغائية⁽¹⁾. كما نطرق إخوان الصفا إلى اختلاف الناس في مراتب السمع ودرجات الإدراك، يقولون: وذلك أنَّ منهم من يكون جيد السمع، يسمع **الأصوات الخفية**، ويفصل بين النغمات الموزونة والترنح، ومنهم من يحتاج من ذلك إلى مفاعيل العروض، ومنهم من لا يحس بشيء من ذلك⁽²⁾، وعلى الرغم من ذلك فإنَّهم لم يهملوا اللغة المكتوبة وأهميتها، يقولون: أعلم أنَّ الإنسان مع الاستماع إلى **الأصوات** و**تمييزه** بالنغمات يفهم معاني اللغات والأقوال والكلمات، كما أنه عند نظره إلى الخطوط والكتاب يفهم ما يتضمنها من معاني الكلم والعبارات ما لا يفهم عليها غيره من الحيوانات، ثم أعلم أنَّ هاتين الطريقتين أكثر معلومات الإنسان التي ينفرد بها دون سائر الحيوانات⁽³⁾. وهذا ما تؤكده الدراسات اللغوية الحديثة، يذكر الدكتور تمام حسان بأنَّ اللغة المنطقية مقدمة على اللغة المكتوبة لاعتبارات كثيرة منها قدم المنطق وحداثة الكتابة، والمنطق أصل الصق بحياة الإنسان من الكتابة، واتساع المنطق بسمات تفتقرها لغة الكتابة كالنبر والتنغيم إلخ⁽⁴⁾.

وقد أشار إخوان الصفا إلى أنَّ الدماغ هو المسؤول عن التمييز بين **الأصوات المفيدة** وغير المفيدة، يقولون: ولكل صوت عند الحاسة السامعة **كيفية** و**ماهية**، فماهية صوت الإنسان أنه غرض مفهوم دال على معنى، فتحتاج القوة

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/131.

(2) إخوان الصفا، الرسائل: 3/405.

(3) إخوان الصفا، الرسائل: 3/130.

(4) تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، دار الثقافة: الدار البيضاء، 1994م، ص: 46.
(138)

المفكرة إلى أن تفكر فيه وتفتش عن معناه، وأصوات الحيوانات غير مفهومة، لكن القوة المفكرة تبقى عليها لأنها ما صوتت إلا لحاجة، وما أرادت به إلا لسبب أكل وشرب ونكاح، فهذه الأقسام من الصوت مخصصة بالأجسام الحية، فأما صوت الحجارة والخشب فإن القوة المفكرة لا تقضي عليها بأنها ما بدت لغرض ولا لقصد إلا أن تكون آلية لحركة الإنسان مثل البوّق والزمر والعود وما شاكل ذلك، وأنها تنسبها إلى الحركة التي كانت هي السبب في تصوّيتها مثل بوّق ومزمار وعود وصفارة، وما شاكل ذلك، وكل هذه الأصوات إنسانية أو دتها النفس الجزئية هذه الأشكال النباتية بالصناعة التي اخترتها حيلة للمعاش والكسب، وأما صوت هبوب الرياح والرعد وخرير الماء إذا انحدر من علو إلى أسفل، واضطراب موج البحر واهتزاز الأشجار فإن القوة المفكرة لا تعبأ بذلك ولا تفكر فيه، وإنما تمر على الحاسة السامعة شبه الخوار ولا حاجة إليه، وربما ضجر الإنسان منه وتأدي من مداومة سماعه⁽¹⁾.

الأنظار الصوتية عند إخوان الصفا في ضوء الأنظار الصوتية الحديثة:

يعتقد بوعناني بأن الدراسات الصوتية العربية القدية عانت من غياب المنطلقات النظرية وتوحيد المنهجية بفعل تأسيسها على مركبات معرفية تتعدد فيها مضامين البحث ووقائعه وأنماط التفكير ومرجعياته... يقول: لقد غابت عن الدراسات الصوتية العربية القدية ثوابت إنشاء العلم المستقل بمرتكبات نظرية محددة وموحدة خلافاً لذلك استطاعت الدراسات الصوتية في الغرب أن تحدد

(1) إخوان الصفا، الرسائل: 3/93.

موضوعها المعرف الموحد والمتألف، الشيء الذي مكناها من صياغة النظرية
(النظريات) المتماسكة والمنسجمة مع خصوصيات موضوعاتها⁽¹⁾.

إنه من الحيف أن نقارن بين الدراسات الصوتية العربية قبل ألف وستمائة سنة بما توصلت إليه العلوم في القرن الحادي والعشرين لنحكم على أن الدراسات الصوتية العربية بعدم النضوج في حين النظرية الغربية استطاعت أن تفرض نفسها معرفياً ومنهجياً. ولا أدرى كيف استطاع الباحث أن يعقد هذه المقارنة بهذا الفارق الزمني، ولم يعقداها بين بداية الدراسات الصوتية العربية والغربية، فيما ترى هل يسوغ لنا أن نقارن التقدم التقني الآن وبين مئة سنة مضت؟ كيف يمكن أن تكون هذه المقارنة؟ وفي المقابل يقول الدكتور كمال بشر واصفاً جهود إخوان الصفا وبين جنī والفارابي وبين سينا الصوتية: إنهم كانوا سباقين ورواداً في تشكيل منهج علمي مقبول؛ بل على درجة عالية من الجودة إذا قيس بزمانهم السحيق الذي لم يحظوا في بادوات البحث الصوتية الدقيق وأجهزته الفاعلة، ربما كان عملهم في هذا الميدان قليلاً في كمّه ولكنه عميق في كيده، إذ نجحوا في تفسير مادته وتحليلها وتعييدها نجاحاً يفوق ما سلكوه في معالجة المستويات اللغوية الأخرى، من صرف ونحو⁽²⁾.

نعم لقد استطاع إخوان الصفا أن يفرضوا أنفسهم على الدرس الصوتي اللغوي الحديث، فمن النتائج التي يمكن أن نسجلها لإخوان الصفا على الرغم من تقدم عهدهم ما يأتي:

(1) مصطفى بوعناني، في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2010م، ص: 12.

(2) كمال بشر، علم الأصوات، ص: 241.

- يعتقد إخوان الصفا بأن الدماغ هو المسؤول عن عملية التواصل اللغوية بداية من إنتاج الصوت اللغوي إلى فهمه وإدراكه، وعلى الرغم من نتائج الدراسات الحديثة في الصوتيات عموماً في تحديد مسؤولية الشق الأيسر من الدماغ للإدراك اللغوي بفضل التقنية العالية والأجهزة المتطورة، لذلك فاعتبار الدماغ عموماً هو المسؤول عن إنتاج الأصوات وإدراكتها قبل ألف سنة يعد إنجازاً علمياً يقدر لهم، على الرغم من أن بعض الدراسات الحديثة - مثل ما نجد عند جيرلوفيكتابه: *اللغة والدماغ* - تؤمن أن الدماغ جمیعه مسؤول عن عملية إنتاج الكلام وإدراكه، وليس الشق الأيسر منه فقط.

- يرى إخوان الصفا بأن كل حاسة من حواس الإنسان الخمس تتصل ببعضها من أعضاء الجسم، وهي منوطه بهمة وهي إدراك نوع أو جنس واحد من المحسوسات، وإدراك هذه المحسوسات يتم عبر أوامر من الدماغ، وهي ترتبط وتنتهي بمركز القوة المتخيلة. وهذا ليس بعيداً عما يدور في الصوتيات الحديثة.

- قسم إخوان الصفا الدماغ إلى ثلاثة أقسام، مقدمة ووسط ومؤخرة، ولكل جزء من هذه الأجزاء وظيفة، فالجزء الأمامي يتخيل، والأوسط يفكر، والمؤخر يحفظ وينزن، وسمى كل مكان بحسب وظيفته، فال الأول هو القوة المتخيلة، والثاني القوة المفكرة، والثالث القوة الحافظة، وعلى الرغم من الاختلاف البسيط في تقسيمات الدماغ ووظائفه الحديثة من حيث تكون الدماغ من شقين، كل شق يتكون من أربعة فصوص، إلا أن هذه الرؤية تعد متقدمة جداً في ضوء اعتمادها على الحدس والتفكير والتجربة الشخصية دون الاستناد إلى التشريح الحديث بالتقنية المتقدمة جداً في العصر الراهن.

- الربط بين اللغة المنطقية واللغة المكتوبة في التواصل اللغوي، من خلال الحديث عن قوتين آخرين لم يحددوا مركزيهما في الدماغ، ولكنهما يساندانه في وظائفه وعمله التواصلي، وهما القوة الناطقة، والقدرة الصانعة/ الكاتبة، حيث تتولى الأولى مهام القوة المفكرة بالتعبير وإصدار الكلام والأخرى بتسجيل اللغة وكتابتها. وهما في الدراسات الصوتية الحديثة يقعان في الفص الأمامي من الشق الأيسر من المخ.

- فرق إخوان الصفا بين نوعين من الحركات الإنسانية، وهي الحركات الإرادية والحركات غير الإرادية، واعتقدوا بأن الحركات المتطلبة لانتاج الصوت اللغوي أو الكلام من تلك الإرادية. وحصروا الحركات غير الإرادية في مائة ونيف وعشرين حركة. وهذا يتفق تماما مع نتائج الدراسات الصوتية الحديثة.

- ربط إخوان الصفا بين وظيفة مركز الإدراك في الدماغ وسلامة الحواس الخمس من الآفات، وخصوصا حاسة السمع والبصر. فالعملية الكلامية تحتاج إلى تواافق بين مراكز الإحساس والإدراك في الدماغ وبين الحاسة التي تنقل الذبذبات إلى تلك المراكز سواء كانت السمعية أم البصرية.

- لدى إخوان الصفا نظرية في اكتساب المعرفة عموما واللغة خصوصا، إذ تلعب حاستا السمع والبصر والقلب الدور الأكبر في إدراك واكتساب المعرف عموما وأصوات اللغة وألفاظها خصوصا. لا عمل للحواس جميعها بدون القلب.

- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، تقديم: بطرس البسانى، طبعة، دار صادر، بيروت، 1969م.

- استيبة، سمير، اللسانيات، عالم الكتب الحديث، الطبعة الأولى، الأردن، 2005م.

- كمال، بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000م.

- بوعنانى، مصطفى، في الصوتيات العربية والغربية، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، الطبعة الأولى، 2010م.

- حسان، تمام، اللغة العربية معناها وبناؤها، دار الثقافة: الدار البيضاء، 1994م.

- الفارع، شحدة وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة، دار وائل: الأردن، الطبعة الرابعة، 2008م.

- العاني، سلمان، التشكيل الصوتي في اللغة العربية، الطبعة الأولى، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1983م.

- عبد النور، جبور، إخوان الصفا، دار المعارف، مصر، 1961م.

- عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب الحديث، القاهرة، 1997م.

- قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دار الفكر: دمشق، ودار الفكر المعاصر: لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.

- مهدي، محمد، إخوان الصفا وفلسفتهم الدينية. الطبعة العربية الحديثة، مصر: الطبعة الأولى، 2002م.

- النوري، محمد جواد، وحمد، علي خليل فصول في علم الأصوات. مطبعة النصر التجارية، نابلس، فلسطين، (د. ت).
- النوري، محمد جواد، علم أصوات العربية. منشورات جامعة القدس المفتوحة، الأردن، 1997م.
- العصيلي، عبد العزيز، علم اللغة النفسي، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2006م.

أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي

العربي الحديث

مكتبة وملتقى علم الأصوات
phonetics-acoustics.blogspot.com

أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث

كate - المذكورة: نصيرة غفاقلية
جامعة نصيرة غفاقلية، المركز الجامعي الشهيد سعيد المواس بربكة، باتنة، الجزائر

مقدمة:

المجذب الاستشراف الفرنسي صوب الدرس الصوتي العربي إعجاباً به وانبهاراً بما يميزه من خصائص عبر عنها رجال الاستشراف في رحلتهم البحثية في القضايا الصوتية العربية، وقد تنوّعت جهود هؤلاء المستشرفين بين البحث في الدرس الصوتي العربي والكتابة عنه وبين الكتابة فيه. ومقال هنري فليش الذي بين أيدينا نموذج من بين هذه الجهود الاستشرافية، عكس في مضمونه رؤية مستشرق فرنسي للغة العربية، وخلاصة بحث معمق آتى ثمارها مترجمة في نتائج قد توصل إليها هنري فليش، واطلع عليها من بعده اللسانين العرب المحدثين فكان لهم فيها آراء.

مقال هنري فليش⁽¹⁾ التفكير الصوتي عند العرب في

ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنی⁽²⁾

(1) الأب فليش P. H. Fleisch، (المولود عام 1904م)، ولد في جونفل ونال الدكتوراه في الأدب من السوربون، وسمى أستاذا لفقه اللغات الشرقية، ولا سيما العربية، في معهد الآداب الشرقية ببيروت، وانتخب عضوا في عدّة جمعيات علمية. من آثاره: دراسات وفيرة عن آثار رأس بيروت، الأفعال المدودة ضمنا في اللغات السامية...، انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط 3، 1964م، ج 1، ص: 1078-1079، وبحبى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ص 800، وهنري فليش، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، تعریب وتحقيق عبد الصبور شاهين، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م، ص: 25-27.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنی، تعریب وتحقيق عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع 3، 1968م، ص: 57.

1- موضوع الدراسة :

قام صاحب المقال برصد الظواهر الصوتية التي وردت في كتب التراث العربي، ولأنه لا يوجد مؤلف خصص لمجال البحث الصوتي العربي خصيصاً -إلا كتاب بن سينا أسباب حدوث الحروف- فإنَّ صاحب المقال قام بالبحث في هذه المؤلفات في دراسة صوتية من شأنها أن تبيّن اهتمام العرب بدراسة أصوات لغتهم، وقد بدأ مقاله باستنتاج عقد فيه مقارنة بين الدراسين لفقه اللغة الأوروبي والنحوة العرب القدامى ليبرز الفارق بين كلاً الطرفين في بداية البحث الصوتي لكليهما؛ فالدارسون لفقة اللغة الأوروبي بدءوا دراسة النحو بعلم الأصوات كي يحددوا الأصوات التي هي حوامل اللغة تحديداً تماماً، وهي الأصوات التي تؤدي بها اللغة المدرسة.

أما النحوة العرب الأقدمون فإنهم لم يعالجوا في مؤلفاتهم التحويلية علم الأصوات لذاته، بل ليستطيعوا تفسير ظاهرة الإدغام. وانطلاقاً من الاستنتاج السابق، شرع فليش⁽¹⁾ في وضع بيليوغرافيا للمؤلفات العربية التي عالجت ظاهرة الإدغام بدءاً بسيبويه في الكتاب. غير أنه اختار مؤلف بن جني ليكون نموذجاً ثالثاً به معالم التفكير الصوتي العربي لأسباب عدة سنعرضها خلال مسارنا البحثي.

2- النحوة العرب الذين عالجوا ظاهرة الإدغام في مؤلفاتهم⁽²⁾ :

- عالج سيبويه الإدغام في نهاية مؤلفه الكتاب⁽²⁾، وعلم الأصوات موجود في الفصل الأول من هذا القسم، وهو الفصل الذي يعدّ ذا أهمية رئيسية.

(1) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 53-54.

(2) سيبويه (أبي بشر عمرو بن عثمان بن قبر ت 180هـ)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1982م، ج 4، ص: 431-460.

ـ انهى الزخيري أيضا كتابه المفصل⁽¹⁾ بالإدغام، وعلم الأصوات⁽²⁾ في هذا القسم موجود في أوائله.

ـ وقد اتبع بن يعيش شارح نص المفصل⁽³⁾ نفس النظام إتباعاً دقيقاً.

ـ كذلك ينتهي الجمل للزجاجي⁽⁴⁾ بالإدغام مع ذكر الأفكار الصوتية في مستهل الحديث.

ـ أما بن الحاجب فقد قسم مؤلفه قسمين: الشافية والكافية وقد عالج الإدغام في الشافية⁽⁵⁾.

ـ تبع رضي الدين الاسترابادي النظام نفسه في شرحه والإدغام موجود في شرح الشافية⁽⁶⁾ والأفكار الصوتية⁽⁷⁾ موجودة في هذه المباحث.

(1) الزخيري (أبي القاسم محمود بن عمر الزخيري-ت538)، المفصل في علم العربية، دراسة وتحقيق: فخر صالح قدارة، دار عمار، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 418-434.

(2) المرجع نفسه، ص: 418-422.

(3) ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت634هـ)، شرح المفصل للزمخري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ج5، ص: 512-559.

(4) الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت340هـ)، الجمل في النحو، حققه وقدم له:

علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، الطبعة الأولى، 1984م، ص: 409-418.

(5) ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، ت646هـ)، الكافية والشافية، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الأداب، القاهرة، 2010م، ص: 95.

(6) رضي الدين الاسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي، ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، حققها وضبط غريبيها وشرح مبهمها محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج3، ص: 243-291.

(7) المرجع نفسه، ص: 250-254.

- أما بن سينا فقد خصص رسالة لعلم الأصوات هي **أسباب حدوث الحروف**⁽¹⁾ من عشرين صفحة.

3- حكم عام على الجهود الصوتية العربية (2) :

يصدر فليش حكما على هذه الجهود، ويرى أن هؤلاء المؤلفين السابق ذكرهم جيئا لا يعطون بحكم العادة مفاهيم علم الأصوات العام حول الأفكار الأساسية التي تتضمنها كلمات، مثل: حرف حروف المد... وغيرها. فهم إما أن يفترضوا وجود هذه المفاهيم، وإما أن يشيروا إلى موضوعها إشارة مقتضبة.

4- سبب اختياره "ابن جني" ليكون أنموذجا تحدده به معالم التفكير الصوتي العربي:

تبين لصاحب المقال أن النحاة الذين سبق وذكرهم قد اهتموا بدراسة الأصوات العربية ابتعادا تفسير ظاهرة الإدغام، إلا أنه وجد في كتاب **سر صناعة الإعراب** اهتماما مغايرا تماما لما ذهب إليه النحاة العرب؛ ذلك أنَّ بن جني لم يعالج ظاهرة الإدغام، كما أنه لم يتناول الأفكار الصوتية التي تقرن به، وإنما كان نظره صوب البحث في الموضوعات الخاصة بالبدل والمحذف والأصل أو الزيادة، كما عالج قضايا صوتية متنوعة، وما جذب صاحب المقال أيضا ليتخذ من مؤلف بن جني مدونة تسمح له بأن يكتب عرضا يتجلى فيه تفكير العرب الصوتي في الجوانب التي تصورها. هو ما لم يكتف به صاحب الكتاب من إعطاء وصف للحروف العربية وحسب، وإنما قدم أفكارا اتخذها فليش معالم أساسية وأصولا لعلم الأصوات العام على الطريقة العربية.

(1) ابن سينا (أبي الحسن بن عبد الله بن سينا، ت 428هـ)، **أسباب حدوث الحروف**، تحقيق محمد حسان الطياني، بحث مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دون طبعة، 1982م.

(2) ينظر: هنري فليش، **التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب** لابن جني، ص: 54.

5- النقاط الأساسية التي حدد وفقها التفكير الصوتي العربي:

إن المدونة التي اختارها فليش كانت كتاب *سر صناعة الإعراب* لابن جني لأسباب كان قد ذكرها في بداية مهنته وقد ركز على نقاط رسم وفقها معالم البحث الصوتي، فعمل على تبيان المعنى العربي الحقيقي للمصطلحات التي مازالت مستعملة حتى اليوم، مثل: حروف المد- الحركة والإسكان، أي أن مجال دراسته جاء خاصاً بالمصطلح والمعنى الخاصان بـمجال الفكر الصوتي العربي.

وقد أشار في حديث مختصر بعدها، إلى موقفين شائين، على حد تعبيره، يسعى وهو باحث علمي لا يقع في إحداهما، أو لهما: محاولة الازدراء بجهود القدماء، والأخر: محاولة الإطراء على جهودهم أما هو فيسعى جاهداً إلى أن يكون موضوعياً، أملاً أن يصل إلى تحديد مكانة النحاة الأقدمين والكشف عن الجانب الصوتي في دراسته للغة العربية، التي تعدُّ اللغة الوحيدة السامية التي عرفت علم الأصوات ودرسته.

6- أهم القضايا الصوتية التي عالجها النحاة العرب:

6-1- النظرية العامة لإحداث الحروف⁽¹⁾:

ـ مصطلح الحرف: بحث فليش عن المراد بمصطلح *الحرف*، وبالضبط عند بن جني. ويرى أنه يجب أولاً أن يبحث في كيفية إحداث الحروف، حيث بدأ صاحب الكتاب بـمسألة وجود (صوت) يطلق عليه (الصدى) الذي يصدر من (الصدر)، ومنه يستتتج جهل ابن جني لدور أحوال الصوتية، وليس هو لوحده، وإنما جميع النحاة العرب، إلا أنه يرى أن جهلهم هذا آنذاك بدور أحوال الصوتية لم يمنعهم من إدراك الأثر؛ فهم إذن لاحظوا (صوتاً) كان

⁵⁸ (1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص:

نحوه من الصدر: وهو صوت الصدر وهذه معلومة ذكرها خليل إبراهيم العطية^١ ويؤكد في سياقها ما ذكره قبله فليش موضحا وشارحا للنصر المنشول على لسان المشرق الفرنسي.

ويعدها بـأ شرح كيفية حدوث الصوت وتفصيلها وفق ما جاء عند بن جني، الذي قدم لنا وسيلة إدراك هذا الصوت الخاص بالحرف ويعبّر عنه بالندوق، فبح أن تتحقق ساكتا دون حركة بعده؛ لأنّ الحركة تقلّق الحرف عن موضعه الصحيح، وذهب أحد ختار عمر^٢ إلى الرأي ذاته؛ فالحرف الساكن له غرّج، فإذا حركه أفلّت الحركة وأزالته عن محله في حال سكونه، وقد استخلص هذه التبيّنة من مقال هنري فليش.

وتقدم همزة الوصل على الحرف مصحوبة بكسرة، لأنّه لا يمكن البدء بحرف ساكن - أما هذا الشرط الأخير فكان تصورا خاصاً بابن جني والنحاة القدماء، غير أنه تغيّر في الدراسات الحديثة التي أكدت إمكانية إحداث الصوت مجرداً من كل حركة قبله أو بعده حتى نستطيع معرفة خصائصه.

2-6 - عدد الحروف وترتيبها^٣:

ذكر هنا عدد حروف الهجاء وفقاً لما ورد عند بن جني وهي تسعة وعشرون حرفاً أصلية. وقد تبع صاحب الكتاب في ترتيبه لهذه الحروف ما جاء في كتاب سيبويه وهي كالآتي: الهمزة والألف والهاء والعين والخاء والغين والقاف

(1) ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، دون طبعة، 1983م، ص: 42.

(2) أحمد ختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتاثير، عالم الكتب، القاهرة،

الطبعة السادسة، 1988م، ص: 101.

(3) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 59-80.

والكاف والجيم والياء والضاد واللام والراء والنون والطاء والذال والدال والباء
والصاد والزاي والسين والظاء والذال والباء والفاء والباء والميم والواو.
يبدي صاحب المقال تعليقاً على ترتيب ابن جنی لحروف المجاء، وقد خصه

بحرف (الضاد) الذي يرى أنه من الأفضل لو وضعها ابن جنی في الترتيب قبل
الجيم لا قبل (اللام)، على اعتبار أنها أكثر تراجعاً، فهي تأتي عنده بعد خرج
(الكاف)، في حين يضعها ابن جنی قبل (اللام) مباشرةً حتى يؤكد صفة الجانبية
فيها، اتخاذ كل من المؤلف وصاحب المقال رأياً مخالفاً باختلاف الأساس الذي تم
الحكم فيه على الترتيب، ونرى أن كليهما صحيح لأنهما يقدمان حكماء منطقياً.
6-3- الحروف المعتلة الثلاثة⁽¹⁾:

وهذه الحروف هي (الألف، الواو، الياء) وتسمى حروف العلة ومقابلها
الحروف السليمة والصحيحة. وهذه الحروف الثلاثة يمكن أن نعدّها ذات وضع
خاص: فهي ساكنة ولا يمكن أن تكون إلا مدا، إضافة إلى نوع مخرجها حيث لا
يتعرض إصدارها لأدنى انقطاع إلا إذا أنهاها ناطقها. ويرى فليش أن الحرفين الواو
والياء لم يتصورهما العرب بصورة: ياء ساكنة وباء متحركة، وواو ساكنة وواو
متحركة، وإنما تصوروهما بصورة هذا الحرف الوحيد، فقد اشتمل الحرف
الإمكانتين: المضمة وهو "الكسرة" أو "الضمة" والصادت وهو "الياء" أو "الواو"⁽²⁾.

ولكن اللساني العربي كمال بشر ينقل ما جاء في مقال فليش، ويصححه
وفق وجهة نظره، إذ يقول: "وكان الأولى أن يقول: الكسرة الطويلة" أو "الضمة"

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنی، ص: 60-64.

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص: 64.

الطويلة إذ الياء والواو بوصفهما مصوتين حركتان طويلتان⁽¹⁾، ونخن نرجح كفة ما جاء ذكره عند كمال بشر؛ لأنه الصحيح من وجهة نظر علم الأصوات.

ويقدم بعد هذا العرض الخاص بالحروف المعتلة استنتاجاً يؤكد فيه الدور الأساس الذي يقوم به المقطع في النظرية العامة لإنتاج الحروف عند بن جني، والمقطع هنا قصد به استمرار إصدار صوت لغوي ما حتى يتنهي أي أن نصدر صوت لغوي فعندما توقف تكون بذلك شكلنا مقطعاً.

يُبرز فليش الجانب الذي لم يظهر إلى الوجود رغم إشارة ابن جني له عند وصفه لطريقة إحداث حروف المد: الألف والياء والواو، فيوضح لنا أنَّ فيها عنصراً مصوتاً حقيقياً غير أنَّ فكرة المصوت التي كان يجب أن توضع مقابل فكرة أخرى هي فكرة الصامت لم تكن قد بُرِزَتْ، لذلك بقي الأمر في حدود التسمية العامة: الحرف.

وفي نقطة أخيرة ذكرها بن جني التي وصفها فليش بالحالة الجديدة، وقد اكتنفها الغموض وهي الياء والواو المتحركة فهما لا يشتملان على مقطع، لذلك لم يكن العنصر الصامت ظاهراً فيهما، وهنا تنبه فليش إلى أنَّ بن جني قد وجد نفسه أمام ظاهرة جديدة تولدت نتيجة عامل زاد من بروزها وهي الحركة.

(1) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص: 47.
(154)

6-4-1-4-6 التسمية⁽²⁾:
6-4-4-4-4 حالة الحركات⁽¹⁾:

يرجع فليش أن مصطلح (الحركة) من خلق العرب وحدهم، لأنها تعبر عن الفكرة الأولى التي بدأ فيها العرب يفكرون في لغتهم، كما جاء في نص أبي الأسود الدؤلي حين أمر كاتبه أن يلاحظ حركة فمه لينقط الحروف وهي بداية أولى الاهتمام بشكل الحرف، غير أنه لا يجد تعريفاً خاصاً بالحركة عند سيبويه مثلاً، ويبعد ذلك بقوله أنَّ العرب اعتمت الحركة لتعيين على نطق الصوت الصامت. فأعضاء النطق على حد قوله لا يمكن أن تتحرك إلا بفضل هذا الصوت (الحركة) الذي يصاحبها، وهذا ما نقله عن سيبويه. وأطلق على الحركة المصوت القصير وقد ورد هذا عند اللسانى العربى حسام سعيد النعيمي⁽³⁾، رغم الدور الهام والبارز الذي تقوم به الحركة إلا أنَّ النحاة العرب لم يفردوا لها تعريفاً خاصاً بها وهذا نظراً لاعتبارهم أنَّ الحركة أمرها مبني على الملاحظة فهي بسيطة يدركها الفرد بسهولة.

وبالمقابل يحتفي فليش بما جاء عند بن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، حيث لم يتبع المعنى التلقائي الأول للحركة على حد قوله والذي يعتبر الحركة أصوات ناقصة تقلق الحرف الذي تقتربن به؛ أي الفتحة تجذبه نحو الألف والكسرة تجذبه نحو الياء والضمة تجذبه نحو الواو. وذكر صاحب المقال في هذا السياق: ونحن نعلم أنَّ هذه الحركات ليست سوى تكيف في خرج الصامت مع المصوت التالي له

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 65.

(2) المصدر نفسه، ص: 65-66.

(3) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، دون طبعة،

والذي سوف ينطلق معه⁽¹⁾. وقد استوقف هذا القول اللساني العربي حسام سعيد النعيمي؛ لأنَّه لم يستطع على حد تعبيره أن يدرك ماذا أراد فليش بهذه العبارة على وجه الدقة، مما دعاه إلى افتراض احتمالات يرجع أحدها في النهاية على اعتبار أنَّ قائلها على دراية بعلم الأصوات، إذ يقول: أَيْمَكْنُ أَنْ يَرِيدَ بِكَلْمَةِ سُوفَ يَنْطَلِقُ مَعَهُ وَحْدَةُ الْأَنْطَلَاقِ فَيَكُونُ رَأِيهُ أَنَّ الْحَرْكَةَ تَحْدُثُ مَعَ الْحَرْفِ، أَمْ أَنَّا نَحْمَلُ كَلَامَهُ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الصَّائِتَ يَنْطَلِقُ بِصَحْبَةِ الصَّامِتِ الَّذِي قَبْلَهُ؟ أَحَسِبْ أَنَّ الرَّأْيَ الثَّانِي أَجْعَلَ بِرَجُلِ دَرْسِ عِلْمِ الصَّوْتِ الْمُعَاصِرِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَحَاوِلْ أَنْ يَنْقُضَ كَلَامَ بْنِ جَنِيِّ فِي تَرْجِيعِ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْحَرْكَةَ بَعْدَ الْحَرْفِ⁽²⁾. وَفِيمَا يَلِي ذَكْرُ لِمَا وَرَدَ عِنْدَ بْنِ جَنِيِّ فِي الْحَرْكَاتِ :

6-4-2- الحركات وأصلها⁽³⁾

6-4-2-1- هيكل النظرية⁽⁴⁾

يذكر فليش كيف تميَّز بن جنِي عن غيره من النحاة العرب في تحديد ماهية الحركة وأصلها ودورها في السلسلة الكلامية فالحركات بالنسبة له أبعاض حروف المد واللين التي هي الألف والياء والواو، والحركات بدورها ثلاثة وهي الفتحة والكسرة والضمة، ويضيف بن جنِي إلى ما قاله هذا النص وقد كان متقدمو النحوين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة⁽⁵⁾، وما لم يستسغه اللساني

(1) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنِي ، ص: 335.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنِي، ص: 78-66.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص: 335.

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص: 66-70.

(5) ابن جنِي (أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جنِي، ت 392هـ) سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، دون طبعة، 2001م، ص: 19.

العربي أحمد مختار عمر هو فكرة البعضية التي ذكرها ابن جني، لأنه اعتبرها غامضة موافقاً في هذا المستشرق الفرنسي فليش الذي نبهه إن صعوب التعبير بعبارة كان قد ذكرها معلقاً على ما جاء عند بن جني لم يقل لنا ما إذا كان الفرق بين حرف المد والحركة معتبراً بالثلث أو النصف أو بأي كسر آخر⁽¹⁾.

ولكن فليش يراه نصاً عاماً يدلنا على نقص جوهري في (الحركات)، فهي جزء من شيء آخر فالشيء الذي تشكل الحركة جزءاً منه هو سابق عليها ويمثل الحرف النام الكامل، ويميز بينها وبين سابقتها بأن يكون الحرف صحيحاً.

يبدو أن فليش يجهل أن القراء حددوا قيمة الحركة ونسبتها إلى حرف اللين، فهي نصفه في المد الطبيعي وربعه في المتوسط وسدسه في الطويل، ومقداره الزمني أن تفتح أصعبك المنعقد أو تعقده إذا كان منبسطاً، والمد الطبيعي قدر حدثنا بالثانية. فقد وجدنا محاولتين لا نظن أنه يوجد محاولة أقدم منها في هذا الشأن، إذ ورد عند طاش كبرى زاده بأنه: "يعرف مقدار المدات إما بقولك مرة أو مرتين إلى غير ذلك، أو تعدد عدداً أو تعدد صوتك بقدر ذلك، أو تعقد الأصابع وتتمدد بقدر ذلك لكن هذا كله تقرير ولا يضفيه إلا المشافهة من لفظ المشايخ والسماع من فم الأستاذ الراسخ ثم الإدمان على ذلك"⁽²⁾.

أما المحاولة الثانية فجاء بها ملأ على القاري إذ يرى أن "معرفة مقدار المدات المقدرة بالألفات فإن تقول مرة أو مرتين أو زيادة وتعدد صوتك بقدر قولك: ألف

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة قضية التأثير والتاثير، ص: 118. وهنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 60.

(2) طاش كبرى زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل، ت 968هـ)، شرح المقدمة الجزرية، تحقيق محمد سيدى محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، 1421هـ، ص: 219/218.

ألف، أو كتابتهما، أو مقدار عقد أصابعك في امتداد صوتها، وهذا كلّه تقرير أو تحديد للشأن؛ إذ لا يضيّقه إلّا المشافهة والإدمان⁽¹⁾.

أما الحركات فهي أصوات ناقصة ونقصها هذا يدل على عدم تحقّيقها لذاتها دون وجود الحرف فوجودها منعدم بدونه والعكس بالعكس، وما فسّره بن جنّي عن موضع الحركة من الحرف فقد استدل به اللسانوي العربي حسام سعيد النعيمي⁽²⁾ برجوعه إلى البحث الذي قام به فليش.

ويفرق فليش بين نوعين أو حالتين تتحقّق فيهما الحركة صفة التبعية للحرف، فإذا جاءت الحركة كما ذكر في النص المنقول آخراً، فإنّها تعدّ تبعية بالنسبة للحرف الذي استقيت منه، وهناك نوع آخر أو حالة أخرى تكون تبعية بالنسبة للحرف الحامل لها، وقد عبر فليش عن التشابه الحاصل بين الحركة والحرف الذي استقيت منه أو الحامل لها؛ فالحركة لها المعدن ذاته الذي يتّشكّل منه الحرف. وهذا التماّثل على حد قول فليش هو ما تصوره بن جنّي، قد أكّد برهانه هذا بظاهره الإشباع التي استقى منها أصلاً هذه الفكرة، وينخرج فليش بنتيجة مستقاة من خاصية التماّثل هي: أنّ الحركة لا تمتلك سمات مفهومية واضحة يامكّاننا أن نميّزها من هذا الشيء الآخر، ليتأكّد عنده أنه من الحال أن تصبح الحركة مستقلة بذاتها وقد أشار إلى أنّ هذه النتيجة كان قد أخذها من منطق الإثبات لدى بن جنّي والذي لم يستنتجه بنفسه وإنما أخذها عن الخليل.

(1) ملأ علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: أسامة عطايا ومراجعة: أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة الثانية، 2012م، ص: 233.

(2) ينظر: حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، ص: 333. وهنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنّي، ص: 81.

يستنتج فليش أيضاً من التمايل ويشير إلى إقرار مصطلحاته فيقول: وإنما نستطيع القول نتيجة هذا التمايل، وحين نقر مصطلحاته، وهو يقر أنَّ مصطلح التمايل من اختراعه ليواصل ما أمكنه الوصول إليه بفعل هذه الحالة أو الظاهرة أنَّ خاصية التصويت تشتراك فيها حروف المد والحركات أيضاً.

6-4-2-2- الجانب الكمي في علاقة الحركات⁽¹⁾:

يوجه فليش اهتمامه إلى ما ذكره بن جني عن علاقة الحركات بقوله: الحركات أبعاض حروف المد...⁽²⁾، فما بدأ لصاحب المقال هو أنَّ بن جني قد حدد الكم الخاص بهذه العلاقة بقوله أبعاض أي أنها جزء منه، فـ: بن جني في نظره كان مدركاً للجانب الكمي في علاقة الحركات بما هو من جنسها من حروف المد، ولكنه لم يتعقب في شرح أو توضيح التصور الكمي لهذه العلاقة وإنما يخرج فليش بنتيجة مفادها أنَّ حروف المد في الخط العربي لا يصح أن تسبق بحركة مثل: ضَارِبٌ-رَّحِيمٌ وإنما نضع فوقها سكوناً ويُقْرَأُ بأنَّ فكراً السكون فوق حروف المد من منطق النظام العربي، مثل: ضَارِبٌ وتلك في الواقع إرادة الخط العربي أن يكون دائماً كاملاً.

7- ما وافق ابن جني فيه القدماء:

ذكر فليش في غير مقام واحد أنَّ ما جاء به بن جني من أفكار قد اتَّخذ وجهة غير التي سبق ونهاها النحاة العرب ولكنه يوافقهم هنا في تسميتهم للفتحة بالألف الصغيرة وللكسرة بالياء الصغيرة وللضمة بالواو الصغيرة وقد عَبَرَ عن هذا في قوله الحركات أبعاض حروف المد واللين...

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 72.

(2) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص: 1359.

علق فليش على النص الذي جاء على لسان ابن جني في سر صناعة الإعراب أحركت أبعاض حروف المد واللين. فرغم ذكر صاحب النص لحروف المد واللين إلا أنه لم يتعرض لفكرة الم声 الطويل والمصوت القصير.

8- تصور ابن جني للقطع⁽¹⁾

بعد أن شرح فليش رتبة الحركة وحرف المد وأيهما أسبق وخروجه بنتيجة مفادها أن ابن جني جعل الحركة في المرتبة الأولى، يطرح إشكال يذكر أن له علاقة بالقضية التي طرحت قبله عن مكان الحركة ومرتبتها، وهي ما مستسمع له على حد قوله بالبحث في مسألة طال حولها الجدل وهي: هل كان التصور العربي الذي يمثله بن جني مقطعاً أو هو في الواقع هجائي؟

ويخرج بحكم أولي قبل أن يقدم أدلة له وهو أنَّ العرب لم يتحدثوا عن المقطع لكنه يتضح له أنهم تصوروا العلاقات بين العناصر التي تكون المقطع التي يبحث فيها العرب وعن العلاقات التي تربط كل عنصر ببقية العناصر هي حرف المد والحركة والحرف الصحيح، وهي عناصر بارزة وتؤدي دوراً هاماً في اللغة العربية؛ أي أنَّ المقطع أو البحث في المقطع عند العرب لم يطرح بشكل مباشر ولم يذكر هذا المصطلح وإنما بحث ضمنياً في العناصر المكونة له أي مما يتكون المقطع في اللغة العربية والعلاقات التي تربط عناصره، وحتى يوضح أكثر قدم أمثلة عن نوع هذه العلاقات التي بحث فيها وكيف شكلت دون قصد للبحث في المقطع شروطاً توجب صحة المقطع ومنها:

1- لا يأتي حرف المد من حيث كان بالضرورة ساكناً، إلاً بعد حرف آخر حرف صحيح تال له مباشرة، إذا ما كان نتيجة مطل للحركة التي يتحملها

(1) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 83

هذا الحرف الصحيح، وهو تال له بصورة غير مباشرة إذا كان متعارضاً مع حركة الحرف الصحيح، فحرف المد هو إذن بالضرورة مرتبط بالحرف الصحيح ولا يمكن أن يتصور بدونه.

2- لا تقوم الحركة بذاتها، فهي بحاجة إلى حرف حامل وارتباطها الضروري بالحرف أمر لازم مفروغ منه.

يستنتج فليش أنَّ تصور العرب لحرف المد والحركة جاء في صورة مقطعة، أما الحروف الصحيحة فقد توجد دون حركة أي أنها تكون ساكنة ولكنها تسبق بحرف يحمل حركة أي متحرك.

9- النتائج التي خرج بها فليش من بحثه:

أوجز فليش التفكير الصوتي العربي الذي قدمه بن جني، وحدد موقعه من التفكير الحديث في هذه النقاط:

1- رأى أنَّ الوحدات الصوتية بالمعنى الدقيق للكلمة ليست سوى مجموعة واحدة هي الحروف، فأحرف الهجاء العربية لا تحتوي سوى هذه الحروف.

2- وجد فليش ثلاثة أحرف أقصيت لأنها ساكنة بطبيعتها، وهي الحروف المعتلة الضعيفة: الألف التي لا تكون سوى حرف ممد، والياء حين تكون حرف ممد والواو، وبقية الحروف هن الحروف الصحيحة القوية التي تتحمل إحدى الحركات الثلاث.

3- قد تقع الياء والواو متحركتين وتبقى كليتاً هما بحسب أصلها حرفان معتلاً، غير أنها تقوى بالحركة فتشبه الحروف الصحيحة وتأخذ حكمها.

4- يقصد بحرف المد عنصراً مصوتاً حقيقياً، غير أنَّ ما عولج منها ليس هو الطول الكمي، وإنما كيفية إحداثها واستمرار هذا الإحداث.

5- تعد الحركة في جوهرها ناقصة، فهي لا تقوم بنفسها وهي بحاجة لكتير

توجد إلى حامل هو الحرف.

6- لم تكتمل فكرة الصوامت والمصوات الطويلة في الدرس الصوتي العربي القديم.

7- لقد استطاع البحث الصوتي العربي القديم أن يفهم، تحت اسم الحرف نطق الصوامت ونطق الأصوات المصوتة الحقيقي. فلم تحدّد فكرة الصامت، على حين حددت هذه الأصوات المصوتة بالرجوع إلى الحرف، تحت اسم حرف المد.

8- يمثل حرف المد صوتاً مصوتاً مستطيلاً، غير أنَّ مدة هذه الاستطالة لم تقس، إذ لم يصل البحث الصوتي القديم إلى تصور جانبها الكمي. غير أنَّ فليش لو عاد لكتب التجويد لخرج بنتيجة عكسية تبرز كيف حدَّد العلماء العرب الجانب الكمي للحركة.

9- إنَّ فكرة الحركة لدى القدماء بعيدة كلَّ البعد عن تفكيرنا الحديث، فالحركة نوع من العرض الذي يطأ على الحرف (الصامت)، فهي لا يمكن أن تستغني عن الحرف، والحرف من جانبه يحتاج أيضاً إلى حركة سواء أكانت بعده أم قبله، وليس من الممكن أن نتصور هذا الحرف مجرداً تجريداً كلياً من الحركة قبله أو بعده.

10- بالرَّغم من أنَّ العرب قد أدرکوا مفهوم المقطع وبالرَّغم من أنهم درسوا الحرف والحركة في إطار المقطع، فإنهم لم يضعوا مصطلحاً خاصاً لهذا المفهوم.

11- ركب التفكير الصوتي العربي من وجهة نظر واحدة هي فكرة الحرف.

13- لم يستطع النحاة العرب أن يدركوا أية فكرة عن الاستقلال الوظيفي للمصوت في السلسلة المنطقية، إذ لم يتم ملاحظة المصوت الذي يكون بذاته مقطعاً لأنه غير موجود في اللغة الفرنسية.

10- أثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث:

عبر إطلاع بعض اللسانين العرب المحدثين على مقال هنري فليش عن وجود أثر له في الدرس الصوتي العربي الحديث، وأين كان نوع هذا الأثر فإنه قد وجه بشكل أو باخر الرؤية الصوتية العربية الحديثة نحو وجهته الخاصة أحياناً، وفتحت أفكاره باباً للنقاش في أوساط اللسانين العرب أحياناً أخرى.

وقد نبه هذا الجهد الاستشرافي للسانين العرب المحدثين لسائل صوتية كان قد طرحتها أسلافهم من قبل، ليكون جهده بمثابة دعوة منه إليهم إلى إعادة قراءة تراثهم الصوتي. وسنعرض هنا صوراً لأثر دراسة هنري فليش في الدرس الصوتي العربي الحديث على اختلافها، وهي كالتالي:

1- المادة العلمية:

مثلت النتائج التي توصل إليها هنري فليش في مقاله مادة جاهزة عند بعض اللسانين العرب، فبناوا عليها آراءهم، وقد مثل هذا الاتجاه أحمد مختار عمر حين أخذ بما قاله فليش عن كيفية حدوث الصوت اللغوي، بالرغم من أن المستشرق الفرنسي قد استنتاج ذلك من كتاب بن جني سر صناعة الإعراب، حيث يقول: "وأذكر أيضاً ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج فإذا حرّك أفلقته الحركة وأزالته عن محله في حال سكونه" ⁽¹⁾.

(1) أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثير، ص: 101. نقل هذا النص من مقال هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص:

وغير بعيد عن النتائج التي توصل إليها فليش في مقاله، نجد البصمة الاستشرافية قد ارتسنت في كتاب خليل إبراهيم العطية في حديثه عن جهل النعاء العرب القدامى باللوترتين الصوتين، حيث يقول: **«الحق أنَّ العلماء العرب مع ما بدا من جهلهم لللوترتين الصوتين ودورهما المعروف في تحديد صفتى الجهر والهمس، لم يكونوا على جهل بأهم ظاهرة في الصوت المجهور، وهي صفة (التمكن والقوة) التي تتأثر من (توترهما) عند التقائهما، واستشعارهم هذا دليل واضح على معرفتهم بالظاهرة»**⁽¹⁾. ونصه هذا كان عبارة عن نقل وشرح لنص جاء على لسان المستشرق الفرنسي فليش، وقد أضاف بعدها نصاً حرفيًا له ليؤكد أنه على وفاق معه، وهو: **«جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقاً أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر»**⁽²⁾.

فتحت المادة العلمية التي وردت في مقال فليش مجالاً للنقاش عند بعض اللسانين العرب، وقد فسر ذلك اطلاعهم على هذا الجهد مهما كانت أسبابه. وهذه صورة أخرى من صور الأثر الاستشرافي الفرنسي في الدرس الصوتي العربي الحديث التي لا يتم فيها نقل النصوص حرفيًا والتسليم بالنتائج والأراء الاستشرافية، وإنما هي صورة تبرز فيها محاولة اللساني العربي قراءة أفكار هنري فليش، وقد وجدنا هذا النموذج حاضراً عند اللساني العربي حسام سعيد النعيمي، حين نقل نص فليش الذي يقول فيه: **«ونحن نعلم أنَّ هذه الحركات ليست سوى تكيف في المخرج الصامت مع المصوت التالي له والذي سوف ينطلق معه»**⁽³⁾. ولم يستطع حسام سعيد النعيمي على حد تعبيره أن يدرك ماذا أراد فليش بهذه العبارة

(1) خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، ص: 42. هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

(2) هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 58.

(3) المصدر نفسه، ص: 66.

على وجه التحديد، مما جعله يقترح احتمالاً يرجع أحدهما في النهاية، إذ يقول: يمكن أن يزيد بكلمة سوف ينطلق معه وحدة الانطلاق فيكون زائداً الحرية تحدث مع الحرف، أم أن كلامه على أنه أراد أن الصاتات ينطلق بصحبة الصات الذي قبله؟ أحسب أن الرأي الثاني أجمل برأي درس علم الصوت المعاصر، كما لم يحاول أن ينقض كلام بن جني في ترجيح القول بأنَّ الحركة بعد الحرف⁽¹⁾.

إنَّ اطلاع اللسانيين العرب المحدثين على مقال فليش لم يكن دائم الدعم ما ذهب إليه من آراء، وإنما دُققَ بعضهم فيما ذكره فليش بل وأعاد البحث فيه حتى خرج بنتيجة مغايرة لما توصل إليه فليش، فصحح ما أخطأ فيه المستشرق الفرنسي، وقد مثل هذا الموقف كمال بشر عند حديثه عن الحروف المعتلة، حيث وجد فليش يذهب إلى أنَّ الحرفان الواو والياء لم يتصورهما العرب بصورة ياء ساكنة وباء منحركة، وواوا ساكنة وواوا متحركة وإنما تصوروهما بصورة هذا الحرف الوحيد، فقد اشتمل الحرف الإمكانين: المضمة أو الكسرة أو الضمة والصاتات وهو الياء أو الواو⁽²⁾.

وقد نقل كمال بشر نص فليش فصححه وفق وجهة نظره إذ يقول: وكان الأولى أن يقول: الكسرة الطويلة أو الضمة الطويلة إذ الياء والواو بوصفهما صوتين حركتان طويلتان⁽³⁾.

2- الموضوع:

عالج فليش في مقاله كما سبق ورأينا مواضيع صوتية عدَّة كان قد طرحها بن جني في كتابه سر صناعة الإعراب، وقد وجدنا أنَّ أثراً مقال هنري فليش لم

(1) حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص: 335.

(2) ينظر: هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني، ص: 64.

(3) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 47.

يقتصر فقط على المادة العلمية، بل شمل أيضاً المواقف التي طرحتها وناقشها فيه، فأعاد بذلك للسانين العرب إلى قراءة تراثهم الصوتي حتى يجدوا فيه إجابات لتساؤلاتهم الصوتية.

فموضع تحديد ماهية الحركات وأصلها عند بن جني ورأي فليش فيما جاء به بن جني، نقله أحمد مختار عمر فلم يكتف بالاهتمام بالموضوع الذي أشاره فليش بل ذهب إلى الرأي ذاته، فقد عدَّ بن جني الحركات أبعاض حروف المد واللين التي هي الألف والياء والواو، وبئه فليش لعبارة "أبعاض" التي ذكرها بن جني وعلق على ذلك بقوله: "لم يقل لنا ما إذا كان الفرق بين حرف المد والحركة معتبراً بالثلث أو النصف أو بأي كسر آخر"⁽¹⁾. وقد نقل أحد مختار عمر نص فليش بعد أن تنبأ إلى فكرة البعضية التي طرحتها بن جني معتبراً إياها غامضة لم يوضحها صاحب النص⁽²⁾.

اهتم أحمد مختار عمر بالموضوع الذي عالجه فليش في مقاله، ومنه يمكن أن نعدُّ هذا الموقف أثراً استشرافيَا خاصاً بالموضوع.

(1) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص: 60.

(2) ينظر: أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتاثير، ص: 118.

حقّ مقال هنري فليش نتائج خلص إليها في نهاية بحثه، أجملها في فكرة مفادها أنَّ التفكير الصوتي العربي القديم كان قائماً على أساس الحرف المفرد، ولم يُعِزَّ أيُّ اهتمام للقطع بالرغم من إدراكه لمفهومه.

أما عن أثره في الدرس اللساني العربي الحديث، فإننا نجد بعض اللسانين العرب قد اطلعوا على هذا الجهد الاستشرافي واعتمدوه مرجعاً في مؤلفاتهم ولسنا نبالغ إذا قلنا إنَّ هنري فليش قد حدد مسار البحث الصوتي العربي الحديث حين اهتم بدراسة ما كتب ابن جني في الصوتيات العربية، ليُبيّن أنَّ الرجل له اجتهادات من شأنها أن تضيف الكثير للتفكير الصوتي العربي، ليأتي هؤلاء اللسانين العرب بعد فليش أو بالأحرى بعد تسلط المستشرق الفرنسي الضوء على هذا الجانب والشخصية في حد ذاتها، ليألفوا كتاباً تخصص للبحث فيما كتب ابن جني في اللهجات والبحث الصوتي أو تخصص للبحث الصوتي عامّة. وفي كلتا الحالتين نجد جهود ابن جني حاضرة بالرجوع إلى ما كتب مباشرةً والعودة أيضاً إلى مقال هنري فليش. ويتنوع حضور هذا المرجع الاستشرافي في مؤلفاتهم بين مؤيد لما ذكره صاحب المقال أو الإحالة إلى معلومة كان فليش السباق في الوصول إليها. وقد يستوقف ما ورد عند فليش اللسانين العرب ليفتح أمامهم باب الاجتهد في محاولة منهم للوصول إلى المقصود. ومنه يمكن أن نعتبر أنَّ هنري فليش يملك بصمة في الدرس الصوتي العربي الحديث.

- ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر، ت 646هـ)، الكافية والشافية، تحقيق صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010م.

- ابن جني (أبو الفتح عثمان بن عبد الله بن جني، ت 392هـ) سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، د ط، 2001م.

- ابن سينا (أبي الحسن بن عبد الله بن سينا، ت 428هـ)، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان، يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، دون طبعة، 1982م.

- ابن يعيش (موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، ت 634هـ)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م، ج 5.

- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثير، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة السادسة، 1988م.

- الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، ت 340هـ)، الجمل في النحو، حققه وقدم له علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، الأردن، الطبعة الأولى، 1984م.

- حسام سعيد النعيمي، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الرشيد، العراق، دون طبعة، 1980م.

- خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد،
دون طبعة، 1983.

- رضي الدين الاستربادي (رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي
ت 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، حققها وضبط غريها وشرح
مبهما: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م،

ج 3.

- طاش كبرى زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى بن خليل ت 968هـ)، شرح
المقدمة الجزرية، تحقيق محمد سيد محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد
لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، دون طبعة، 1421هـ.
- كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،
القاهرة، 1998م.

- ملأ علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق أسامة عطابا
ومراجعة أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، الطبعة
الثانية، 2012م.

- هنري فليش، التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب
لابن جني. تعریف وتحقيق: عبد الصبور شاهین، مجلة مجمع اللغة العربية،
القاهرة، ع 03، 1968م.

التماثل والتناقض الصوتي في اللغة العربية

التماثل والخالف الصوتي في اللغة العربية.

دكتور: لمى س. هل

جامعة محمد خضر (سكرة) الجزائر.

تمهيد:

غيل في حياتنا العملية إلى مبدأ السهولة والتيسير للوصول إلى مقاصدنا الغرضية سعيا وراء تحقيق أفضل النتائج، فجاءت هذه الدراسة لتوضح تجليات ظاهري التماثل والخالف الصوتي في اللغة العربية ودورهما في تحقيق سهولة النطق واقتصاد الجهد. لهذا نلاحظ أن الكثير من الممارسات اللغوية تتجه إلى تحقيق الحدود العليا من الأثر عن طريق اختزال بعض الجهود المبذولة.

فلقد اعنى العرب باللغة العربية منذ فجر الإسلام، وكان الباعث الأول على هذا الاهتمام الذي يعد منقطع النظير هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن والتحريف. وعلى الرغم من صفاء سليقتهم العربية وبعدهم عن اللحن، إلا أنه بعد أن انتشر الإسلام في بلاد كثيرة مجاورة لجزيرة العرب، حيث احتللت الدعاة العرب بغيرهم من دخل في الإسلام وتعلم مع الدين لغته، سمع بعض مظاهر اللحن في القرآن، مما دعا أولئك الغيورين إلى المسرعة إلى وضع السياج والحيلولة بين القرآن وهذه المظاهر، فاهتموا باللغة مبتدئين بال نحو منها. وليس المقام وضع علم النحو، ولكن المهم قوله هو أن النشأة كانت لغاية دينية من قراء القرآن الكريم كأبي الأسود الدؤلي ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمان ويجيبي بن يعمر وعنترة بن معدان وعبد الله بن أبي إسحاق وأبو عمر وبين العلاء

وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب، حتى انتهت السلسلة إلى الخليل بن احمد الفراهيدي الواضح الحقيقى لأكثر من علم من علوم اللغة⁽¹⁾.

ومن المعلوم أن اللغة تتالف من عناصر صوتية متنوعة، ومن المعلوم أيضاً أن الموسيقى تصدر عن أصوات ذات نغمات متنوعة. وبهذا فإن اللغة تشارك في الموسيقى في الوحدات الجزئية المكونة لكل منها، وهذه الوحدات المشتركة هي الأصوات، لذلك يمكننا القول إن كل لغة تحمل صفة تنغيمية أو موسيقية خاصة بها، وربما تتفوق لغة من اللغات في هذه الصفة التنغيمية، كما هو الحال في اللغة العربية عندما تنتظم كلماتها بطريقة خاصة يقصد منها التأثير في السامعين وليس الإفهام فحسب.

فيذهب كثير من المعينين بالبحث اللغوي إلى أن الجانب المنطوق في اللغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسياحية أكثر مما عليه جانبه المكتوب، فضلاً عن طبيعة اللغة في تركيبها الصوتي وبنيتها التي تمر بمسارب سياقية واسعة، لا تظهر في سلسلة الجوانب المكتوبة فيها. ولعل مرد ذلك أن اللغة بطبيعة أصواتها المنطقية تخضع لكثير من النمو والاتساع.

فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه، نلاحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، كما نلاحظ أن اتصال الكلمات في النطق المتواصل قد يخضع أيضاً لهذا التأثير. على أن نسبة التأثير تختلف من صوت إلى آخر فمن الأصوات ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من

(1) ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، 1428هـ، ص: 2.
(174)

الأصوات. ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثير⁽¹⁾.

والدراسة الصوتية تبحث في النطق البشري من زاويتين مختلفتين في أساس التركيز، ولكن إحداهما تعد أساساً للأخرى أو مقدمة لها، والزاويتان هما⁽²⁾:

1- دراسة الأصوات مفردة دون النظر إلى موقعها ووظيفتها في الكلام، وتبدأ عادة بالحديث عن أعضاء النطق عند الإنسان، ثم بيان من أين تخرج الأصوات اللغوية، وكيف تخرج. وبعبارة أخرى هي وصف للحركات العضوية التي يقوم بها الجهاز الصوتي أثناء النطق، وكذلك الآثار السمعية المعاقبة لهذه الحركات. وتدرك تلك باللحظة الذاتية أو الخارجية -وهكذا أدركها متقدمو العرب- وقد تستعمل الأجهزة والآلات لمزيد من الدقة في إدراك ذلك في معامل الأصوات اللغوية.

وهذه الدراسة تعم اللغات في غالبيها، ولا تختص في جملها لغة معينة ويحلو للبعض تسميتها بـ"علم الأصوات".

2- دراسة للظواهر الصوتية: وهي دراسة لما يحدث للأصوات من أثر بسبب مجاورة بعضها لبعض في الكلام، ولكل لغة ظواهرها المناسبة لظامها الصوتي، فهي دراسة للغة معينة ويحلو للبعض تسميتها بـ"علم الصوتيات" أو "وظائف الأصوات". وتعد دراسة الأصوات مقدمة لدراسة اللغة، وتعد دراسة النظام الصوتي للغة معينة مقدمة لدراسة النظام الصرفي لتلك اللغة.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر للطباعة، مصر، دون طبعة، دت، ص: 106.

(2) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، ص: 3.

و مجال الدراسة في هاتين الزاويتين يتناول أقساماً منها⁽¹⁾:

- 1- علم الأصوات النطقي: ويبحث في جهاز النطق البشري ومن أين تخرج الأصوات وكيف تخرج، وما هو أثر بعضها على بعض عند المجاورة.
- 2- علم الأصوات الوصفي: ويبحث في وصف أصوات لغة من اللغات في مرحلة من المراحل أو زمن من الأزمان.
- 3- علم الأصوات السمعي: ويبحث في العملية السمعية وماهية إدراك الأصوات.
- 4- علم الأصوات الفيزيائي: ويبحث في حركة الصوت وذبذبته ودرجتها.
- 5- علم الأصوات التجريبي أو الآلي: ويبحث في استخدام الأجهزة والآلات لرصد الصوت ودرجته ونطريجه.
- 6- علم الأصوات التاريخي: ويبحث في تطور الصوت عبر الأزمان. وهذا العلم ليس له أهمية كبيرة في دراسة الأصوات العربية الفصحى؛ لأنها تتصف بالثبات، ولم يطرأ عليها تغير يذكر؛ وذلك بسبب حفظ القرآن وتلاوته لها، وهذا مصدق لقوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: 9).

ويعتبر علم الأصوات النطقي أقدم فروع علم الأصوات وأكثرها انتشاراً وأهمها، ولا سيما للدارسي اللغات الأجنبية ولعلميها. ولأنَّ هذا الفرع يحقق أهم أهداف دراسة علم الأصوات وهي:

- 1- المساعدة على نطق الأصوات نطراً صحيحاً.
- 2- المساعدة في معرفة أسباب الظواهر الصوتية.

(1) عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، ص: 3.

3- المساعدة في المقارنة بين اللغات.

فلقد كان للعرب القدامى جهود مشكورة في الدرس الصوتي، تنبع عنهم مبكر دقيق لطبيعة الصوت اللغوي، كما تدل على معرفة تامة بالجهاز النطقي وأعضائه، فقد عكفوا على دراسة القواعد والقوانين لتلك الأصوات وخصائصها وعلاقتها مع بعضها، ويتبين هذا في تحديدتهم لمفهوم الصوت⁽¹⁾. فالصوت ظاهرة طبيعية ندرك أثرها، دون أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا ينطوي إليها الشك أن كل صوت يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب⁽²⁾، وهذه الاهتزازات أو الذبذبات تنقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان، وقد تكون ناتجة عن اصطدام جسم بأخر أو سقوط جسم أو انفجار أو غير ذلك⁽³⁾.

وترتبط التغيرات الصوتية بالسياق الصوتي، وتحددتها طبيعة الفونيمات المحبطة بالفونيم المتغير. وتظهر في صور عديدة منها ظاهرتي التماثل والمخالفة الصوتي أو المماثلة والمخالفة الصوتية.

أولا/ المماثلة الصوتية:

تأثير الأصوات بعضها بعض عند تجاوزها في السلسلة الكلامية، وتتنوع صور ذلك التأثير، إلا أن معظمها ينضوي تحت موضوع المماثلة، وهي أن ينحو صوتان متجاوران أو أكثر نحو التماثل أو التقارب في المخرج أو الصفات⁽⁴⁾.

(1) علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب -النشأة والتطور-، دون طبعة، دت، ص: 3.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 9.

(3) علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب -النشأة والتطور-، دار الكتب العلمية، بيروت، دون طبعة، دت، ص: 3.

(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دون طبعة، 1976م، ص: 324.

والأصوات في تأثيرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو الخارج ويمكن أن يسمى هذا التأثير بالانسجام الصوتي بين أصوات اللغة. وهذه ظاهرة شائعة في كل اللغات بصفة عامة، غير أن اللغات تختلف في نسبة التأثير وفي نوعه. ولللغة العربية في تطورها إلى لهجات الكلمات الحديثة، مالت ميلاً كبيراً إلى هذا التأثير، إذ نلحظ في اللهجات الحديثة ظواهر مختلفة لتأثير أصوات الكلام بعضها بعض في أثناء النطق. وقد تكون لهذا في هذه اللهجات قوانين خاصة بتأثير الأصوات ميلها إلى الانسجام مع ما يجاورها، مما أدى إلى تطور بعض أصوات اللغة الفصيحة⁽¹⁾.

فلحرصهم على الأصوات الشديدة المجهورة التي تعرضت للهمس في بعض اللهجات الكلامية، سموها أصوات القلقة وقلقلوها في نطقهم ليأمنوا بهذا من همسها. فالقلقلة ليست في الحقيقة إلا مبالغة في الجهر بالصوت، لثلاشية شائنة من همس كما شاع في لهجات الكلام، ولكن رغم هذا الحرص الشديد قد تطورت بعض أصوات القلقلة، فأصبحت لا تسمع في قراءتنا الآن إلا مهموسة ومثل هذه القاف والطاء⁽²⁾.

وميل الأصوات نحو التمايل لا يحدث على نحو شامل ومطرد، فلو أتيح لهذا الاتجاه أن يعمل بحرية، فإنه سيتنهي بالفروق بين الوحدات الصوتية إلى درجة الصفر، وهي فروق ضرورية للفهم، ومن ثم فإن اللغة غالباً ما تقاوم هذا التهديد بتثبيت الاختلافات الضرورية عن طريق المواءمة بين الميل إلى المماثلة وبين ضرورة

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 107.

(2) بنظر: المرجع نفسه، ص: 107.

تحقيق الفهم. وهناك دائماً تجاذب بين عامل الحد الأدنى من الجهد وعامل الحد الأعلى من التأثير⁽¹⁾.

وتتنوع صور التأثير بالأصوات تنوعاً كبيراً، وتعددت أشكال المماثلة بــ ذلك التنوع. وصنفها علماء الأصوات وفق اعتبارات متعددة، يمكن أن نلخصها في ما يأتي:

1/ بحسب اتجاه التأثير: إذا أثر الصوت الأول في الثاني كانت المماثلة مقبلة، ويسماها بعض الدارسين تقدمية، وإذا أثر الصوت الثاني في الأول كانت مدبرة وتسمى رجعية أيضاً، فإن كان التأثير مشتركاً بين الصوتين كانت متبادلة، وتسمى مزدوجة⁽²⁾.

والإبدال القياسي الذي يشير إليه النحاة دائماً في صيغة افتعل حين تكون فاؤها دالاً أو ذالاً أو زاياً أو أحد أصوات الإطباقي يتضمن نوع التأثير الرجعي والتقدمي. فصياغة افتعل من دعا، ذكر، زاده في الأصل أدعى، اذكر، ازداد، فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران: الأول منها مجهور والثاني مهموس، فتأثير الثاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضاً، ليجتمع صوتان مجهوران. ولأنَّ التاء المهموسة حين يجهر بها تصير دالاً أصبحت هذه المثل: أدعى، اذكر، ازداد.

وهذا تأثير تقدمي، لأنَّ الثاني تأثر بالأول، على أنه قد أصاب الكلمتين الأخيرتين تطور آخر، إذ صارت في بعض الأحيان (اذكر، ازداد) فتأثير الصوت الثاني في الأول ونطق بهما صوتاً واحداً كال الأول. وهذا التأثير تقدمي أيضاً، غير أنَّ الشائع

(1) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 331.

(2) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 325.

(179)

الكثير الاستعمال في ذكره هو ذكر، أي أن الصوت الأول قد فني في الصوت الثاني، وبذلك صار التأثر رجعياً⁽¹⁾.

وكذلك حين تكون فاء افتعل أحد أصوات الإطباقي لمجد التأثر في معظم الأحيان تقدماً، وقد يكون رجعياً أيضاً، فمثلاً حين نصوغ افتعل من ظلم لمجد الصيغة في الأصل أظلم. وقد اجتمع في هذا المثال صوتان متجاوران، الأول منها مجهور مطبق، وقد أثر في الثاني فجعله مجهوراً مطبقاً مثله. فوجب إذن أن تصبح مجهور مطبق، وقد أثر في الثاني فجعله مجهوراً مطبقاً مثله. فوجب إذن أن تصبح فاءً ضاداً كالتي نطق بها الآن. وهذه الضاد الحديثة هي التي سماها القدماء طاءً، لا غرابة أن روى لنا القدماء هذه الصيغة بعد تأثر أظلم، ولعلهم كانوا ينطقون بها أظلم وهذا مثل آخر للتأثر التقدمي. ثم زاد هذا التأثر حتى فني الصوت الثاني في الأول فصارت الكلمة أظلم، على أنه قد رويت الكلمة أظلم أيضاً، أي أن الصوت الأول فني في الصوت الثاني وهو تأثر رجعي. ولعل النطق الأصلي لهذه الكلمة في وضعها الأخير كان في الحقيقة أضالمًّا ومثل هذا يمكن أن يقال حين نصوغ افتعل من ضرب إذ تصير الكلمة أولاً أضتراب فيؤثر الصوت الأول في الثاني، ليصبح مجهوراً مطبقاً، وبهذا يجتمع في الكلمة نوعان من الضاد: أولاهما هي الضاد القديمة والثانية هي الضاد الحديثة التي كان يكتبها القدماء طاءً أي اضطراب. وقد يزداد تأثر الثاني بالأول فتصير الكلمة أضتراب، وهو تأثر تقدمي، ولا يجوز غيره في هذه الصيغة أولاً أضتراب، وقد اجتمع في هذه الكلمة صوتان مهمومسان، غير أن أحدهما مطبق والآخر مستفل، فقلبت ألتاءً إلى نظيرها المطبق

(1) إبراهيم أنس، الأصوات اللغوية، ص: 110.

وهو الطاء الحدية، كما نطق بها الآن، ومن أجل هذا صارت الكلمة أصطبر ثم زاد تأثر الثاني بالأول فأصبحت الكلمة أصبر ولا يجوز فيها غير هذا⁽¹⁾.

2/ بحسب درجة التأثير: إذا انقلب الصوت إلى مثل الصوت الآخر كانت المماثلة كلية أو كاملة، وإذا تأثر الصوت بالصوت الآخر تأثرا لا يصل إلى صيرورته مثل الآخر كانت المماثلة جزئية أو ناقصة، وأمثلة ذلك في العربية كثيرة مثل إدغام النون الساكنة إذا كان بغير غنة. فالمماثلة كلية وذلك في نحو من ربهم ومن لم يتبع، فإن كان الإدغام بغنة كانت المماثلة جزئية، وذلك نحو من يقول ومن ولا⁽²⁾.

3/ بحسب الاتصال والانفصال: إذا كان الصوت المؤثر متصلا بالصوت الآخر كانت المماثلة متصلة أو تجاورية، وإذا كان منفصلا كانت المماثلة منفصلة أو تباعدية، والمماثلة المتصلة أمثلتها في العربية كثيرة ومتعددة، لكن المنفصلة أمثلتها أقل، فمنها قلب السين صادا بتأثير الطاء في مثل: سراط صراط، ومسطر مصيطر⁽³⁾.

ثانيا/ المخالفة الصوتية:

من التطورات التي تعرض أحيانا للأصوات اللغوية ما يمكن أن يسمى بالمخالفة.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 110/111.

(2) غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، مكتبة وملتقى علم الأصوات، الطبعة الأولى، 2004م، ص: 207.

(3) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 325.
(181)

فجاء في لسان العرب: **الخلاف**: المضادة، وقد خالفه خالفة وخلافا. وفي المثل إنما أنت خلاف الضبع الراكب أي تخالف خلاف الضبع، لأن الضبع إذا ران **الراكب هربت**⁽¹⁾.

يعني المصطلح حدوث اختلاف بين صوتين متماثلين في الكلمات المشتملة على التضييف، وذلك بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى أحد أصوات المد: **الألف والواو والياء أو أحد الأصوات الشبيهة بها**، وهي الأصوات المتوسطة أو **المائعة اللام والراء والنون والميم**⁽²⁾.

والمخالفة تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين⁽³⁾. وهي عكس المماثلة، ولكنها تحدث بصورة أقل منها. وقد تحدث سيبويه عن هذه المخالفة في باب يتصل بالإبدال عنده سماه بـ **باب ما شَدَ فأبْدَلَ** مكان اللام الياء لكراءه **التضييف**، وليس بـ **طرد**⁽⁴⁾.

وهذا التطور هو أحد نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أنَّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس **الأصوات السهلة** التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام **بالأصوات الصعبة** في لغته نظائرها السهلة. وقد

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ): *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ج 1، ص: 886.

(2) ينظر: صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، صوت صرف نحو دلالة، دار مجلدوبي، عمان، الطبعة الأولى، 2003، ص: 176.

(3) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م، ص: 269.

(4) ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، دت، ص: 40.

اعترف القدماء بكراهية التضعيف، ولعلهم يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهد عضلي⁽¹⁾.

فجمعت عشرات الأمثلة ورد فيها معتل العين أو اللام يشترك في المعنى مع مضعف من نفس المادة، وظهر أن الأصل في كل هذه الأمثلة هو التضعيف، ثم سهل مع تطور الزمن بالاستعاضة عن أحد الصوتين المدغمين بالياء أو الواو لخلفهما، وفي بعض الأحيان استعيض عن الصوت بأحد أشباه أصوات اللين كاللام والنون، وإن كان هذا نادرا في اللغة العربية وهناك أمثلة لتأكيد ذلك⁽²⁾:

الطح: البسط طحا كسعى بسط

المح: صفة البيض، والماح صفة البيض

الجب و الجوب: القطع

عس: طاف بالليل والعوس: الطوفان بالليل

قيراط: أصلها قراط ودينار أصلها دنار

قصيit أظفاري: قصصت

حن عليه: حنا عليه

فقد قلب أحد الصوتين المدغمين في كل هذه الأمثلة إلى صوت لين طويل.

وهناك أمثلة يحتمل فيها أن أحد الصوتين المدغمين قد قلب إلى أحد أشباه

أصوات اللين⁽³⁾:

(تحدى) الأخبار أراد أن يعلمها من حيث لا يعلم به. (تحدى الليل):

أظلم فعلاقة الخفاء في الفعلين واضحة

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 140.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 140/141.

(3) المرجع نفسه، ص: 141.

الرس: دفن الميت والرمض: الدفن أيضا

العباس: الأسد والعنبس: الأسد أيضا

وقد فسرت المخالفة بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تمام المماثلة في كلمة، فإن أحدهم قد يتغير إلى صوت ثالث يغلب أن يكون من أصوات العلة أو من الأصوات المائعة، ولعل السر في ذلك أن الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهاً عضلياً زائداً عن الحاجة حين النطق بهما في الكلمة الواحدة، ومن أجل التقليل من هذا الجهد إلى الحد الأدنى، يخالف أحد الصوتين إلى مجموعة الأصوات التي سهلت في الكلام كأصوات اللين وأشباهها⁽¹⁾.

1- إن المخالفة بوصفها الوجه المقابل للمماثلة ومن الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها اللغويون والنحاة العرب القدامى، وعلماء الأصوات المحدثون، فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة وعالجوها بتسميات مختلفة.

فلم تفت سيبويه هذه الظاهرة، كما لم يفته غيرها، وعلل لها بكراهية التضييف: "هذا باب ما شد فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضييف". وذلك في سياق حديثه عن إحلال الياء مكان أحد المتماثلين: "وذلك قوله: تسرّيتُ وتنظّيتُ وتنقصّيتُ من القصة، وأمليتُ، كما أنَّ التاء في أستنت مبدلَة من الياء، أرادوا حرفاً أخف عليهم منها، وأجلد، كما فعلوا ذلك في "اتلّج" وبدلها "شاذ" هنا بمنزلته في سيت، وكل هذا التضييف فيه عربي كثير جيد"⁽²⁾.

ولقد فطن قدماء اللغويين العرب لهذه الظاهرة وكانتوا يعبرون عنها أحياناً بكراهية التضييف أو كراهية اجتماع الأمثال مكرروه وغير ذلك. وهذه الظاهرة

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 212.

(2) سيبويه، الكتاب، ج 4، ص: 424.

شائعة وردت كثيراً في الاستعمال، إلا أنها لم تذكر ضمن البحوث الصوتية، ولم يصطلح على تسمية لها. ولذلك فقد رأينا الأخذ بهذا المصطلح لшиوعه أيضاً في الدراسات العربية الحديثة⁽¹⁾.

ويضيّق «سيبوية» في تكرار هذا المصطلح في موانع متفرقة من كتابه من ذلك حديثه عن إحلال السين محل أحد المتماثلين، يقول «وَقَلْ بَعْضُهُمْ، اسْتَخَذَ فَلَانْ أَرْضًا يَرِيدُ اِتَّخِذَ أَرْضًا كَأَنَّهُمْ أَبْدَلُوا السِّينَ مَكَانَهُمْ، كَمَا أَبْدَلَتْ مَكَانَهُمْ فِي سِيَّتٍ وَإِنَّمَا فَعَلَ هَذَا كُرَاهِيَّةُ التَّضَعِيفِ». نستنتج من الأمثلة التي ساقها «سيبوية» أن الناطق صعب عليه التضييف، فوُجِدَ في تحقيقه عسراً ومشقة على اللسان في الارتفاع والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية، فأبدله بأحد الأصوات المتوسطة⁽²⁾.

ولقد نشأت هذه الظاهرة بسبب الثقل الناشئ عن تجاور صوتين من مخرج واحد، ولعل ذلك يبدو واضحاً من خلال قول بن جني: «وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِقْالُهُمْ الْمُثَلِّينَ حَتَّىٰ قَلَبُوا أَحَدَهُمَا»، ووصفه في موضع آخر بـ: (استقال تكريره)، وصرّح أيضاً بعبارة التخفيف إذ قال: «فَأَمَا أَمْلِيَتْ فَلَا إِنْكَارٌ لِتَخْفِيفِهِ بِإِبْدَالِهِ»⁽³⁾.

(1) عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص: 269/270.

(2) جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي المائلة والمائلة، دون طبعة، دت، ص: 157.

(3) ابن جني، أبوالفتح عثمان (392هـ)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، 1956م، ج²، ص: 231.

فإن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهود عضلية للنطق بهما في كلمة واحدة، ويتيسر هذا الجهد العضلي بقلب أحد الصوتين إلى تلك الأصوات التي لا تستلزم جهوداً عضلية⁽¹⁾.

فعلماء العربية قد فطنوا مبكراً إلى هذه الظاهرة وبالتحديد في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي⁽²⁾ (ت 175هـ)، فقد أدركها هذا الرجل وأطلق عليها المصطلح الشائع في عصرنا، غير أنه استعمل صيغة الفعل منه، فقد قال: وأما مهما فإن أصلها ماماً ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاءً ليختلف اللفظ⁽³⁾.
 فالخليل بن أحمد استعمل الصيغة الفعلية (يختلف) للمصطلح الذي أفرد جمع اللغة العربية في القاهرة وهو التخالف⁽⁴⁾. وتواتت ملاحظات علماء العربية بعد الخليل بن أحمد، من ذلك: قول أبي عبيدة أن العرب تقلب حروف المضاعف إلى ياء⁽⁵⁾، وقول المبرد في حديثه عن الياء (وتبدل مكان أحد الحرفين إذا ضوعها)⁽⁶⁾.

ومن الأقوال هذه يتبيّن لنا أنهم حددوا الظاهرة باجتماع حرفين متماثلين نطقاً بصوت واحد مشدد أبدل أحدهما ب (ياء) أو (واو).

(1) ابن جني، الخصائص، ص: 90.

(2) المصدر نفسه، ص: 232.

(3) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، بغداد، 1986م، ص: 358.

(4) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1998م، ص: 67.

(5) ابن السكيت، الإبدال، تحقيق: محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطبع الاميرية، القاهرة، دون طبعة، 1978م، ص: 133.

(6) المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1963م، ج 1، ص: 200.

وكما يعتبر أيضاً الدكتور إبراهيم أنيس خير من صور واقع ظاهرة التناقض بصورة عامة بقوله: (... إننا نلحظ أن كثيراً من الكلمات التي تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين في بعض الأحيان) ⁽¹⁾.

ثم عرض إلى الأصوات التي تبدل، فقال: (إذا علمنا أن أشقر الأصوات هي المطبقة والرخوة بوجه عام، أدركنا أن المخالفة لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة) ⁽²⁾.

وجاء في لسان العرب "وخببوا": أبَرَدوا، وأصله: خَبَبُوا، بثلاث باءات أبدلوا من الباء الوسطى خاء، لفارق بين فعل وفعل، وإنما زادوا الخاء من سائر الحروف، لأن في الكلمة خاء، وهذه علة جميع ما يشبهه من الكلمات ⁽³⁾.

وجاء فيه كذلك: "ومن العرب من يقلب أحد الحرفين المدغمين ياء، فيقول في مَرَّ: مِيرَ وفي زَرَّ: زِيرَ وفي رَرَّ: رِيزَ" ⁽⁴⁾، ومن العرب من يقول حنْظ وليس ذلك، بمفهود، إنما هو غنة تلحظهم في المشدد، بدليل أن هؤلاء إذا جمعوا قالوا حظوظ. قال الأزهري: "وناس من أهل حمص يقولون: حنْظ، فإذا جمعوا أرجعوا إلى الحظوظ وتلك النون عندهم غنة، ولكنهم يجعلونها أصلية وإنما يجيء هذا اللفظ على الستهم في المشدد نحو: الرَّرَّ يقولون رِنْز" ⁽⁵⁾.

(1) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م، ص: 214.

(2) المرجع نفسه، ص: 213.

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ب ب) ج 1، ص: 333.

(4) المصدر نفسه، مادة (زور)، ص: 425.

(5) المصدر نفسه، مادة (ح ظ ظ)، ج 9، ص: 319.
(187)

ويكون رصف الفاظ هذه الظاهرة في مجموعات:

- المجموعة الأولى: ما اجتمع في كل من الفاظها صوتان متماثلان لا يفصل بينهما فاصل من حركة أو حرف فابدل أحدهما بصوت آخر، فتحقق التخالف الصوتي بين المتماثلين من ذلك^(١): أترجَه واترنج، أما وإما، خرَوب وخرنوب، دبَاج ودبِاج، دمَاس ودبِاس، دئَار ودينار، دوَان ودبِوان، قرَاط وقيراط.

- المجموعة الثانية: ما اجتمع في كل ألفاظها ثلاثة أصوات متماثلة، أبدل الثالث منها بصوت جديد قد تحقق التخالف ⁽²⁾.

المجموعة الثالثة: ما اجتمع في كل من ألفاظها صوتان متماثلان يجز بینهما حاجز وعوملا معاملة المجاورين، فأبدل أحدهما وتحقق التخالف بين الصوتين المتماثلين على تباعدهما من ذلك: حداء وحداد، سادس وسادي، هذه وهدي، دهدت ودهديت، صهصت وصهصت.

المجموعة الرابعة: ما اجتمع في كل ألفاظهما أصوات متماثلة أبدلا
أواسطها من ذلك زلزل من زلزل -تجفجف من تجفف، صرصر من صرر،
كبكب من كبب، كركر من كرر، تلململ من تملل:

فأصل ألفاظ هذه المجموعة قد اجتمع فيها ثلاثة أصوات متماثلة مما أدى إلى نوع من ثقل النطق، لذا جنحوا إلى التخالف، وهذا لكراهية اجتماع ثلاثة أحرف من جنس واحد⁽³⁾.

(1) عبد القادر عبد الجليل، *الأصوات اللغوية*، ص: 69.

المرجع نفسه، ص: 70.

73) المرجع نفسه، ص:

ومثال المخالفة بين السامية الأم والعربية كلمة (شمس)، فهي السامية الأولى (شمس) كما في العربية والأرامية، المعروفة لدى علماء الساميات أن (الشين) في السامية الأم قلبت في العربية (سينا)، ومقتضى ذلك أن تصير الكلمة في العربية سمس غير أن المخالفة بين السينين أدت إلى قلب الأولى شيئاً⁽¹⁾.

ومثل ذلك في العربية (قيراط) و(دينار) بدلاً من (قراط) و(دينار) بدليل الجمع (قاريط) و(دنانير)، ويقول المبرد في هذا: "والدليل على أن هذا إنما أبدل لاستثناء التضعيف قوله دينار وقيراط والأصل: دينار وقراط، فأبدلت الياء للكسرة فلما فرقت بين المتضاعفين رجع الأصل، فقللت دنانير وقاريط وفريريط"⁽²⁾.

وكان الناس في القرن الثاني الهجري في العراق يقولون في إجاص إنجاص وفي أترج، أترنج، كما كان أهل الأندلس يقولون كرناسة في كراسة، كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة (عدَّنس) بدلاً من الكلمة القديمة (عدَّس) وكانت يقولون تقعور بدلاً من الفعل (تقعر)⁽³⁾.

ولعلنا بقانون المخالفة نستطيع أن نفسر ذلك الإبدال الظاهري في كلمتي (زحلوقة) و(زحلوقة)، فقول الأصمعي "الزحاليف والزحاليق: أثار تزلج الصبيان من فوق طين أو رمل، فأهل العالية يقولون زحلوقة وزحاليف، وينو تميم ومن بليهم من هوازن يقولون زحلوقة وزحاليق. فالظاهر أن الكلمة الأولى زحلوقة مأخوذة من الفعل "زحلف" الناتج بطريق المخالفة الصوتية من (زَحَف) كما أن

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانيه، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1989م، ص: 37.

(2) المبرد، المقتضب، ص: 24.

(3) أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، 1967م، ص: 35. (189)

الكلمة الثانية زحلقة مأخوذة من الفعل زحلق الناتج بطريق المخالفة الصوتية كذلك من الفعل زلت⁽¹⁾

ومن القواعد الصرفيين في العربية أن الواو تقلب همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقاً أو ساكنة متصلة الواوية نحو (أواصل) و(أواق)، فإن الأصل فيها (وواصل) وكذلك (وواق)؛ لأنهما جمعان لكلمتين (واصلة) و(واقية). ففاء كل منها واو، ويجري مثل ذلك في أنثى (الأول) وجمعها، فإن الأصل فيها أن يكونا (وولى) و(وول) ولكنهما في العربية: أولى وأول، وليس ذلك كله إلا آثراً من آثار المخالفة.

ومن المخالفة الصوتية كذلك ما يسمى بالمخالفة الكمية بين المقاطع الصوتية، ومن أمثلة ذلك ما يحدث لحركة ضمير المفرد الغائب في العربية الفصحى، فالالأصل في هذه الحركة هو الضمة الطويلة ويحدث له المائلة الصوتية مع الكسرات قبله مثل له: هو وبه: بهي. كما تقصير حركته في العربية عن طريق المخالفة الكمية بين المقاطع فيقال مثلاً: فيه بدلًا من فيه، ومنه بدلًا من منه⁽²⁾.
وهناك المخالفة المتباعدة وتقع في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر مثل⁽³⁾:

اخضوضر — أصلها اخضرضر
اعشوشب — أصلها اعششب
بغداد — أصلها بغداد

(1) رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره علله وقوانينه، ص: 40.

(2) المرجع نفسه، ص: 44.

(3) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 297.

ويعلل أحمد مختار عمر "حركة المخالفة على أنها تهدف إلى تيسير جانب الدلالة بين الأصوات، ولا تلقي بالا إلى العامل النطقي الذي قد يتأثر نتيجة تباعد أو تخالف الصوتين" ⁽¹⁾.

كما يسجل إبراهيم أنيس "أن المخالفة قد تكون في النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل" ⁽²⁾: إجاص — روی فيها إنجاص دبوس — روی فيها دبوس

لعل — روی فيها لعن

وكما تتأثر الصوامت بعامل المخالفة كذلك، هي الصوائب حيث تجري وفق قوانينها، ولعل الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي في أقصى درجته حين الابتعاد عن النطق المتوالي لحركات متحدة الصيغة البنائية. فجمع المؤنث السالم ياتلف بإضافة صائت طويل مع التاء الشديدة المهموسة (آت) وقد أثر عن العرب في تعقيدهم لهذا النوع من الجموع أنه ينصب بالكسرة نيابة بدلاً عن الفتحة، وإنه تساوى فيه حالاً النصب والجر. ولعل السر فيما يبدو هو تلك التوالية التركيبية من الفتحات التي غيرت متجهها من الاستعلاء إلى الاستفال ⁽³⁾.

فظاهرة التخالف الصوتي تتحقق للمتكلم سهولة النطق والاقتصاد في الجهد، لأن نطقه بالصوت المضاعف يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو قلب أحد الصوتين إلى صوت مد، أو صوت من الأصوات الشبيهة بها أو كما يقول

(1) ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، 1991م، ص: 384.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 214.

(3) عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 295.

فاندريس: أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة وكان من حقها أن تُعمل مرتين⁽¹⁾.

ويبدو هو ذا السبب في عزوف المتكلمين عن بعض الصور النطقية إلى أخرى سواها، سعياً وراء تحقيق مبدأ السهولة واليسير. فيُنظر إلى هذه الظاهرة على أنها الوضع الأمثل اللازم لإعادة الخلافات بين الأصوات، الأمر الذي لا يمكن الاستغناء عنه في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، وهو أمر ضروري لتحقيق حالة التوازن وتقليل المد التأثيري للمائلة.

وهذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، والتي تشير إلى أنَّ الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة.

(1) فاندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، دون طبعة، دت، ص: 40.

الصوتيات قضايا ودراسات

- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر للطباعة، مصر، دون طبعة، دت.
- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دون طبعة، 1976م.
- أبو بكر الزبيدي، لحن العوام، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، القاهرة، دون طبعة، 1967م.
- ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الطبعة الثانية، 1956م، ج2.
- جيلالي بن يشو، بحوث في اللسانيات الدرس الصوتي العربي المائلة والمختلفة، دون طبعة، دت.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق د مهدي المخزومي، بغداد، 1986م.
- رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره عللها وقوانينه، دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1989م.
- ابن السكيت، الإبدال، تحقيق: محمد محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطبع الأmirية، القاهرة، دون طبعة، 1978م.
- صبيح التميمي، دراسات لغوية في تراثنا القديم، صوت صرف نحو دلالة، دار مجلداوي، عمان، الطبعة الأولى، 2003م.
- عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس النظام الصوتي للغة العربية، 1428هـ.

- عبد العزيز الصيف، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 2000م.
- عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1998م.
- علاء محمد جبر، المدارس الصوتية عند العرب -النشأة والتطور-، دون طبعة، دت.
- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم الأصوات العربية، مكتبة وملتقى علم الأصوات، الطبعة الأولى، 2004م
- فاندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدوالي و محمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، دون طبعة، دت.
- المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1963م، ج.1.
- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، ج.1.

القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية في بنية الخطاب القرآني



القوانين المورفوفونيمية ووظيفتها الدلالية

في بنية الخطاب القرآني

كفر-الدكتور: إسماعيل حيمور

جامعة ابن خلدون (تيرات) - الجزائر

مقدمة:

إن النص القرآني - وإن كان يقوم على المادة اللغوية في إعجازياتها البينية والبلاغية - شبكة من العلاقات التي تمتاز بالألفاظ الشاهدة على الدلالات الصوتية، وهي أساسيات لا يمكن إغفالها في ميدان التحليل؛ لأن هذا الخطاب يمتاز في جوهره بجملة من الأساسيات، كالتعبير عن السنن الكونية، وتصوير الحقائق الإيمانية عبر نظم المعجز، بما يلزم المتلقى تدبراً وخشوعاً، فكلما تداخلت المستويات وترابكت، أمكن تأويله تأويلات متعددة، وتعددت معانيه بتنوع القراءات، عبر آلية التأويل؛ إذ هو الطريق المؤدية إلى معنى كلمة أو ملفوظ أو آية، وتفسير ظاهرة معينة فيه، وفيه تكون الانطلاقات من دلالة العلامات اللسانية المتاحة في النسق الخطابي الذي تشهده الآيات، للوصول إلى اكتشاف دلالاتها داخل النص القرآني، فيتم الانتقال من البنيات اللسانية المغلقة على فكر المتلقى، إلى بinas التفاسير التي تبقى الخطاب مفتوحاً على كل الوجهات.

ووفق هذه المعطيات، ستتناول هذه الدراسة مختلف القوانين الصوتية ومدى قدرتها التأويلية وطاقاتها الدلالية، وكذا اكتشاف مكامنها الإيحائية، والتي تك足 من أجل تغطية الإطار الجمالي والفنى لخطابات القرآن الكريم، حين يغدو

كلا متكاملا، يعانق فيه الشكل المضمون، والبني الدال على معناه الدقيق، وذلك عبر مختلف الوحدات الصوتية والصرفية والتركيبية والأسلوبية، وهو ما يعبر عن القوانين المورفوفونيمية.

1- القوانين المورفوفونيمية:

لم تحد الدراسة اللسانية عبر مختلف الحقب الزمنية عن منهج دراسة القوانين الصوتية، التي تمثل الجزء من الكل (اللغة)، ففيها «كان منطلق الدرس اللغوي العربي، صوتيا مع أبي الأسود وتلاميذه من بعده، حتى زمان الخليل بن أحمد الفراهيدي، ثم تلميذه سيبويه، وهذان العمالان الجليلان، أعطيا للصوت اللغوي حقه، وأحلاء حمله، فالخليل بنى عليه معجمه (العين)، (اما) سيبويه بنى عليه نظرية التبدلات التركيبية في اللغة العربية (في الكتاب)، منطلاقا من الإدغام في القسم الصرفي من آخر الكتاب، ومتحدنا من مجموع الظواهر اللغوية، والتبدلات الصوتية في ثناياه، من إيدال، وقلب، وتحجيف وإمالة، وإشمام، وروم، واحتلاس، وجميعها ظواهر صوتية أساسية، جديرة بالعناية والاهتمام والدراسة»⁽¹⁾، ولعل الخطاب القرآني ينم بتوافر هذه الظواهر الصوتية وتواترها.

وانطلاقا من هذه المبادئ الأساسية في التأليف الصوتية المتنوعة، فقد صر في العربية هذه التشكيلات الصوتية، وارتضتها بحسن واستحسان، وما جموع الدواوين والمؤلفات التي نشطت في هذا المجال، إلا دليلا على غاية هذا الأمر، في بيان حسن المقام وسلامة المقال، وخصوصا في مجال الدراسات القرآنية، وسنذكر أهم القوانين التي ارتضتها العربية وشرعتها، تيسيرا للنطق بها، سواء في القراءات القرآنية- وهو الأكثر استعمالا- أم في اللهجات العربية، هذه الظواهر الصوتية

(1) مكي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، الساتا، الجزائر، 2004م، ص: 13.

والصرفية، والتي لا مناص فيها من الاعتماد على الحرف أو الحركة، أو هما معاً، ولقد نعلم أن هذا خاص بالصوامت؛ وإنما أتى ذكره لتعلقه بالصائرات، ودوره فيه بما هو طارئ عليه وظيفة دلاله، عبر خاصية وسمة كل عنصر منها، ومن هنا تكون القوانيين الصوتية التالية نسقاً لغويّاً وظيفياً، يرمي إلى انسجام وتناسب الأبنية الصوتية والصرفية وال نحوية، ومن ثم الدلالية، ل مختلف الوحدات اللغوية النطريزية، التي أذكر منها:

١/ الاختلاس:

وهو مأخوذ من تعريفه اللغوي «اختلاس الشيء؛ استلبه في سرعة وخداعة، وهو في الاصطلاح عدم إعطاء الحركة أو الحرف اللذين حقهما من الصوت، نحو: أمّحت معالمه، إذا اختلست ألف أمّحت، ويقابلها الإشاع»^(١)، أما الناحية الوظيفية فهو يعبر عن انزياح صوتي بنوع من الخفة، فتكون كمية الصائرات المختلسة واضحة في درجة النطق، وهو أقل المظاهر الصوتية شيوعاً في القرآن، ومثال ذلك، الاختلاس الوحيد في قراءة حفص: «قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّ عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ»^(٢)، وذلك «بإشمام الضمة في النون الأولى المدغمة، وهو إشارة إلى الضمة، من غير إمحاض، ليعلم أن أصله: لَا تَأْمَنَّا بِنُونِنِ عَلَى تَفْعِلَنَا، فَأَدْعَمَتِ النونُ الْأُولَى فِي الْثَّانِيَةِ»^(٣)، وفيها إشارة إلى القوم الذين راودوا أباهم وأخواه عليه الطلب، مسترسلين في الطلب أن أرسل معنا أخاناً -مكراً وخداعاً- في حين أخفوا عليه أمرهم -والله أعلم بنوايهم- فكان اختلاس الحركة في حرف الميم «الذى يدل

(١) راجي الأسم، المعجم المفهرس في علم الصرف، دون طبعة، دت، ص: 48.

(٢) سورة يوسف، الآية رقم: 11.

(٣) ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معالم التنزيل، دار ابن حزم، بيروت،

لبنان، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص: 638.

على الانجماع⁽¹⁾ المتبر لل McKinsey، اختلاساً حقيقياً لهم من الناحية العاطفية والاجتماعية لأبيهم، من منطلق وجود العلاقة الوطيدة بين الصوت ودلالة، وأن مظاهر من مظاهر الانفعال النفسي، باستثناء الوجдан وإضعافه تدريجياً حتى غلبت وجره نحو الهدف المراد بلوغه، ويظهر ذلك جلياً في «الإنكار عليه» في ترك إرسال معهم كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا أتخافنا عليه؟⁽²⁾ وبالتالي ترابط ملامع الصوت وسماته الفيزيائية والنطقية والسمعية مع طبيعة الأحداث والمواضف المعبرة عن سياق الخطاب في الآية، لتصبح هذه الصفة في هذا الموضع علامة لغوية أو نسمة من سمات التعبير الدلالي الذي يعبر عن ما «يحدث في الإسرار أو الوشوه»⁽³⁾، والذي عبر عنه سياق الخطاب بامتياز، فكان من شأنه «أن يجعل الإيهاء اللفظي من القوة والسيطرة، وبعد المدى والحبوبة والدقة يمكن عظيم»⁽⁴⁾

ب/ الإخفاء:

وهو «نطق الحرف بين الإظهار والإدغام»⁽⁵⁾. أما عن سبب حدوث الإخفاء في هذه الموضع، فهو ناتج عن «عدم التقارب بين النون الساكنة أو التنوين، وبين حروف الإخفاء كلها، فيحدث إدغاماً، وعدم تباعدهما عنها فيحدث إظهاراً»⁽⁶⁾ وحروفه مجموعة في أوائل كلمات البيت التالي⁽⁷⁾

(1) محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلاته في القرآن الكريم، دار ومكتبة الملال، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 17.

(2) ينظر: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ص: 638.

(3) عبد الصبور شاهين، آثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، مكتبة الحاخامي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م، ص: 370.

(4) لاسل آبر كرومبي، قواعد النقد الأدبي، تر: محمد عوض محمد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1944م، ص: 38.

(5) راجي الأسمري، المجمع المفهوس في علم الصرف، ص: 48.

(6) كامل المسيري، الجامع في نحوه فرامة القرآن الكريم، دار الإيمان، الإسكندرية، 2005م، ص: 75.

(7) المرجع نفسه، ص: 5.

صَفْ ذَا ئَنَاكُمْ جَادَ شَخْصٌ فَلَذْ سَمَادُمْ طَيْبًا زِذْ فِي ثَقَى ضَعْ ظَالِمًا

ولعله من المهم هنا الإشارة إلى أن «القارئ المتقن عن طريق وجدنة الأداء والقراءة عن الطريق المعنى -أي التلاوة المعبرة- يستطيع أن يفسر القرآن بأدائه ويتمثل بصوته الأجواء النفسية والواقف»⁽¹⁾ واستنطاق المعاني وإبراز كنهها ودلالاتها المتوافرة الظلال جمالاً وجلالاً، وما تنطوي عليه الكلمات والعبارات من موافقة وانسجام، مع ما تؤديه الآيات من معان وأحكام وأصول وتشريع، ولاشك أن النماذج في هذا السياق تتوافر بكثرة، وسيتم منها إفراد الخطابات التالية:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيَبْتَأِلُ أَفْدَامَكُمْ)⁽²⁾، فالموقف هنا موقف شرط وجزاء؛ أي إن تنصروا دينه ورسوله، ينصركم على عدوكم، وهو كذلك «أمر منه تعالى أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، وأن يقصدوا بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم وثبت أقدامهم»⁽³⁾، ويقرر أداء الآية إخفاء النون في ثلاث مواطن (إن، تنصروا، ينصركم)، ويستدعي استغراق الوقت حين النطق للحرف الذي يليه، فتتأثر القراءة ترتيباً بهذه الغنة المستطيلة إخفاء، مضيفة فارقاً زمنياً متلائماً مع موقف النصرة، الذي يقتضي ثباتاً وتصبراً لأنواع المحن والشدائد، وأن النصرة محفوفة بالشدائد، مستغرقة الأحوال الصعبة وكذا الأماكن، وأنها أصعب من أن

(1) نعام حسان، البيان في روعة القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية النص القرآني، طبعة 1413هـ/1993م، 190/1.

(2) سورة محمد، الآية رقم: 7.

(3) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م، ص: 578.

تال، فكانت «الحروف التي تتلاءم إيماءاتها الصوتية مع تلك الخصائص»⁽¹⁾، قد دلت عليها ظاهرة الإخفاء بما تنطوي عليه من سمات صوتية في الكلمات الثلاث، ويمكن ملاحظة شيء من التوافق والانسجام، وعدم «تجاهل تلك القيم الصوتية التي تصاحب الأصوات القرآنية ذات المخزون البلاغي»⁽²⁾ لأنها سمة بارزة من سمات الإبلاغ في هذا الصدد.

وبالإضافة إلى أن المقام مقام «وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر من الثبات وغيره»⁽³⁾؛ فإن الاسترسال والتأني في مثل هذه المواطن من (الإخفاءات) مطلوب، بما يحمله من سمات صوتية في البنية السطحية من تفسي الصوت وجريانه وفق طريقة نظامية «توافق أصواتها مع الحدث الذي يريد التعبير عنه»⁽⁴⁾، فضلاً عن تأكيد الوعد لمن انتهج أسبابه، وهي رسالة لمن يريد (النصر) حتى وإن طال الوقت.

ج/ الاستعلاء:

وهو ما عبر عنه بن جني بقوله: «ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى الحنك عند النطق بالحرف»⁽⁵⁾، وحروف الاستعلاء سبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والقاف، والخاء، ومتناز بصفة التفخيم؛ وكما أن الصوت المفخم «يأخذ صوته أقصى إيماءات في القوة والشدة والفعالية والغلظة»⁽⁶⁾، لذلك فإن

(1) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998 م ص: 37.

(2) شوقي ضيف، الفن ومذهب في الشعر العربي، دار المعرفة، الطبعة السادسة، 1976 م، ص: 79.

(3) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 37.

(4) المرجع نفسه، ص: 37.

(5) أبو الفتح عثمان ابن جني (392هـ)، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1993 م، 1/77.

(6) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 45.

السياقات القرآنية في هذا الصدد بهذه المواقف أغنى، ولعل أسماء يوم القيمة الصادحة، الطامة، القارعة، يوم التغابن...) لأدنى على معانيها دلالاتها وإيحاءاتها النفسية ودواخل الوجودان والمعتقد، وما ينجم عنها من تأثير نفسي عميق بدني هول وشدة هذا اليوم.

د/ الاستفال:

وهو «خروج صوت الحرف من أسفل الفم»⁽¹⁾، وهو عكس الاستعلاء؛ فحروفه واضحة بينة، يمكن تمييزها بصفة الترقيق، ولا شك أن «الحروف ذات الأصوات الرقيقة لابد أن تكون أكثر إيحاء بالرقابة والأناقة والدمة وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ، فأصواتها تكون هنا أكثر خفوتا ورقابة منها في أي موقع آخر، وهذا السبب بالذات، لابد أن يختلف تأثير الحرف الواحد، رقيقا كان أم قويا في معاني الألفاظ، بحسب موقعه من اللفظة»⁽²⁾.

ولعل هذه الصفة تتناسب مع المصوتات المتسمة بصفة الهمس، المعبرة عن حالات التأني والأنبساط، وتزيد النفس شعورا بالطمأنينة، ومثالاً لهذه الحالة النفسية، ما حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، من إهدار لدمه، ومطاردة المشركين له، قال تعالى: (...إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَهْزِنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)⁽³⁾، فخلو صفة القوة والشدة والفعالية والغلظة من هذه المصوتات، توحى مواطن الرقة والعنابة الربانية برسوله، وذلك حين «أنزل

(1) راجي الأسم، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 78.

(2) حسن عباس، خصائص الحروف العربية، ص: 45.

(3) سورة التوبه، الآية رقم: 40.
(203)

الله طمأنيته وسكونه على رسوله¹، وكان سياق الآية ينبي عن جو الانسراح والسعادة والأمان، رغم أن المحيط هو عبارة مغاربة تغشاها ظلمات بعضها فوق بعض، لكن «استشعار معية الله، وتوسيع نطاق الإيمان، يكسر سطوة الحزن ويزيد من انشراح الصدر، ونطاق الإيمان واليقين والاستقامة»²، وتعزز تلك الرابطة المقدسة بين الله ورسوله، وأنها رابطة نصرة ومودة وقربى، مع ما يحذوها من صدى في نفسية المتلقى (النبي الكريم) ترجمت إلى فعل قرائي هو الآخر من جنس المصوات والصفات، مناسبة لجو التسرية والتيسير، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم لصاحبه (أبي بكر) لا تحزن إن الله معنا، وفي الحديث الشريف: ما ظنك باثنين الله ثالثهما. ورغم أن صفة الاستفالم تقابلها صفة الاستعلاء؛ إلا أنها -في سياق الآية- عبرت عن تلك السكينة والوقار، خاصة وأنها تزامنت مع صفة الفتح في إن الله معنا لتوحي بصفة الانفتاح الذي أشربته العناية الربانية، فكانت الدلالات الصوتية المبنية من التشكيل الصوتي مناسبة للحدث والمقام، ومصاقبة للتعاملات الصوتية بناء ودلالة.

هـ/ الرؤم:

يعرف بأنه الإتيان بجزء من الحركة³، فتكون كمية الصائت المروم أقرب من كمية الصائت الأصلي، وقد عبر عنه المبرد بأنه «الإشارة للحركة بصوت

(1) الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تعلق عبد الله بن عبد المحسن التركى، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1422هـ/2001م، 11/467.

(2) فخرية غريب قادر، تحليات الدلالة الإيمانية في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2011م، ص: 45.

(3) كامل المسيري، الجامع في تحويذ قراءة القرآن الكريم، ص: 329.

خفي⁽¹⁾، وفي معنى الرؤوم صفة ونطقاً «خلاف بين القراء واللغويين، فعند القراء نطق بعض الحركة، وعند اللغويين نطق الحركة بصوت خفي»⁽²⁾، وفي طيات هذا الخلاف أورد وظيفة هذا الظاهرة الصوتية، وما ينجم عنها من تغير دلالي، اثناء عملية تحليل الخطاب، وأورد مثلاً لذلك قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَلَئِنِي قَرِيبٌ أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَحِيُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ)⁽³⁾؛ حيث يتعين علينا في البداية أن نعرف سبب نزول الآية، لنعرف كنهها، وجانبها من جوانب تحليلها، فقد ذكر الطبرى أن سبب النزول كان «في سائل سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد، أقرب ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَلَئِنِي قَرِيبٌ أَحِبُّ...»⁴، وفي سبب آخر «الما نزلت: (وَقَالَ رَبُّكُمْ اذْعُونِي أَسْتَحِبِّ لَكُمْ) قال الناس: لو نعلم أيَّ ساعة ندعوه؟ فنزلت: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَلَئِنِي قَرِيبٌ أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيَسْتَحِيُوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشَدُونَ»⁵.

والشاهد هنا؛ أن الداعي يستشعر معية الله وقربه منه على الدوام، فمتى سأله العبد ربه وجده قريباً سمعياً مجيماً، وإذا تأملنا لفظنا (الداع، ودعان) حين النطق وقفاً عليهما وجدنا الرؤوم حاضر في هذا الموضع، «فتأتي بثلث حركة الكسرة (... حين الوقوف عليها)»⁽⁶⁾، ولعل الأداء الصوتى يعبر عن هذا الموضع الفريد،

(1)-أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تتح: محمد عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1388هـ/1985م، 1/236.

(2)-محمد رضا شوشه، التغيرات الصوتية في القراءات القرآنية، رسالة ماستر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1435هـ/2014م، ص: 32.

(3)-سورة البقرة، الآية رقم: 186.

(4)-الطبرى، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 3/222، 223.

(5)-المصدر نفسه، 3/224.

(6)-كامل المسيري، الجامع في تحojيد قراءة القرآن الكريم، ص: 329 (205)

الذي «يكون دليلاً على اكتمال المعنى والمعنى»⁽¹⁾، حينما تضيق الدنيا بما رجحت على العبد فلا يجد السند والعون والمدد، حينها يلتجأ إلى واسطة الدعاء، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: الدعاء هو العبادة، وفي رواية الدعاء من العبادة، وهذا الإطار في غاية الدقة والروعة والجلال من خلال هذا التعبير المروم؛ إذ أثبت أن الدعاء يفيد القرب من الله⁽²⁾، ولا شك أنه موطن عزة ورفعة ومقام.

ثم إن عدم نطق الحركة وتحفيتها وعدم استغراق الزمن فيها دليل على أن تلك النفسية التي امتازت بها روح المؤمن في عقيدته بربه، قد استقامت وتكاملت بمعرفتها بقرب ربها، ثم ولدت حالة شعورية إيجابية وفعالة، تجذب إلى ربها مني وحيثما كانت، يعبر عنده ذلك التوحيد الخالص الذي جمعته النفس بإيمانها الخالص في سر نفيس، خفيف على الروح خفة الحركة في (دعان)، فكانت هذه الصورة «ربانية التصور، ربانية الشعور، ربانية السلوك»⁽³⁾، كما هو جميل أن تلفتنا جودة الأداء وحسن الترتيل إلى هذا التشكيل الصوتي الفريد الذي يؤول إلى الدلالة والاطلاع على تلك الشهادة الربانية، وفي هذا سر عميق يقرب المعنى المراد والدلالة العميقية، من خلال هذه الهندسة الصوتية الفريدة، التي لا تتأتى إلا في مجال الخطاب الرباني لعباده بقربه منهم، و«خاطباً الفطرة الإنسانية بمنطق العقل تارة، وبحنطة الوجودان تارة أخرى، وبالمنطقين معاً ثالثة»⁽⁴⁾، وذلك في رده سبحانه وتعالى لعباده «إني منهم قريب في كل وقت، أجيب دعوة الداعي إذا دعاني»⁽⁵⁾.

(1)-فخرية غريب قادر، تجليلات الدلالة الإيجابية، ص: 163.

(2)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، در الفکر، لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م، 106/5.

(3)-سيد قطب، في ظلال القرآن، دون طبعة، دت، 40/1.

(4)-فخرية غريب قادر، تجليلات الدلالة الإيجابية، ص: 167.

(5)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 3/225.

وفي آخر ملجم يمكن اعتماده وتخرجه، أن هذه التلوين الصوتي المرؤم لا يصح كتابة ولا نطقاً إلا في هذا الخطاب الرباني -باعتباره قرآنًا- وبالتالي فإن رسم المصحف له بهذه الطريقة تحمل طاقة إعجازية وإيحائية ودلالية، تتنافى مع أي صورة وضعية قد تشبهها رسمًا أو أداءً، وذلك بإسقاط الباء في كل من (الداع، دعاء)، والتي لا تثبت في غير المصحف إلا (الداعي، دعاني)، فيسهم هذا الرسم في توسيع دلالة المنطق، وتدعم بنية الخطاب، وبذلك أصبحت ظاهرة الرؤم ماهنًا «أهم عنصر من عناصر التحويل، به يتم الانتقال من باب نحوى إلى باب نحوى آخر»⁽¹⁾، ومنه تفضي الكتابة إلى شكل من أشكال الممانعة التصية التي لا تثبت خطأ إلا فيما أقرّها لها خطاب القرآن.

و/الإشمام:

هو من الناحية النطقية والسمعية «ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمّة إشارة، إلى أن الحركة المحدوّفة ضمة، من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق»⁽²⁾، أو هو «أن ت نحو بالكسرة نحواً لضمّة، فتشّمُ الكسرة رائحة الضّمة، إشارة إلى أن الضّمة هي الأصل»⁽³⁾، ويكون بذلك مدركاً سمعياً غير بصري؛ إذ يسمع ولا يُرى، كما غالب استعماله في المرفوعات، كما في الفاظ القرآن (وَقَيْلَ...).

(1)-نورزاد حسن أحد، التّنفيّم ودلّالات التّركيب، مجلّة الأداب والعلوم، جامعة فاريونس، ليبا، ع. 1، السنة الأولى، 1426هـ/1997م، ص: 201.

(2)-كامل السيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 329.

(3)-راجمي الأسر، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 144.

تتجلى صورة الإشمام بين النطق والكتابة، حين تجنب الشفتان إلى الميل نحو الضم الذي أصل الحرف فيه الكسر، في حركة صوتية متقدمة، بأبعاد صرفية ونحوية ودلالية؛ فليس «الحرف الأول من هذه الأفعال بضموم؛ إنما هو مكسور، يخالط كسرته شيء من ضم يسمع، كما أن الحرف المفتوح الممال حكمه الفتح، ويخالط فتحته شيء من كسرة» ⁽⁶⁾، أما من حيث بنيته الإفرادية؛ فقد «اعتبر الإشمام صاتتاً مركباً لأنه يكون بنطق ضمة خفية بعد فاء الكلمة متلوة بباء ساكنة» ⁷، ولا شك أنه في كل فعل عدول صوتي ينم عن مدى التحول التدريجي من حركة لأخرى، ابتداءً بالكسرة مروراً بضمة وسكون، وهذا الانزياح سمعية؛ إلا أنها صورة توحى بتفعيل آلات الإدراك (السمع والبصر والفؤاد) إلى التحول الذي يطغى على كل مشهد منها، باعتبارها أداة لها طريقتها الخاصة في عرض المعاني بأصواتها «التي استبدلت وحداتها الصوتية بوحدات أخرى تغير معنى الكلمة» ⁽⁸⁾ بطريقة منتظمة في التركيب، ومزدوجة في البنية اللغوية، أساسها الفعل الحركي (الصائحي)، خاصة

(1)-سورة هود، الآية رقم: 44.

(2)-سورة هود، الآية رقم: 77.

(3)-سورة القصص، الآية رقم: 24.

(4)-سورة سباء، الآية رقم: 54.

(5)-سورة الزمر، الآية رقم: 71.

(6)-أبو محمد بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تلحظ: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط5، 1418هـ/1997م، 1/231.

(7)-عبد البديع النيرباني، الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، ص: 17.

(8)-رابح بروحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، ص: 38.

وأنه قد ثبت بالاستقراء أن «الكسر يدل على المتغير، والضم يدل على الثابت، أما الفتح فعلى الحيداد»⁽¹⁾.
الصوتيات تقضايا ودراسات

وأمام هذه المسلمات اللغوية والوظيفية، تقع كل لفظة من هذه الألفاظ ب مجال معين من هذه المقعبيات، يجعل الحركة لها وظيفة دلالية قائمة بذاتها، مما يتبع فرصة لتأمل الإيحاءات الدلالية المنبعثة من وراء أداء السياق، عبر عنصر الحركات وما يلحقها من عنصر التزمين والجرس الموسيقي، «ولاشك أن هذا التراوح هو في حد ذاته متأتٍ بناءً على مبدأ التغاير»⁽²⁾، مما يحدو بالمتلقي أو السامع استكناه العلامات القائمة بين ما يحويه النص من تغيرات صوتية أدائية، وأخرى معنوية دلالية، تجمعها علاقة الكميات الصوتية بالقدرات الفكرية عند التحليل ومن ثم التأويل.

ز/ الإظهار⁽³⁾

إن الأصل في النطق، إظهار الحروف على ما هي عليه من حركة أو سكون، أو شد، أو مد، أو ما إلى ذلك، وقد تصنع الفروق الصوتية، أو الصرفية علاً تقتضيها اللغة، وفق منهج يراعى فيه سهولة النطق وانسجام اللفظ، فهذا هو الأعم الأغلب، وغايته التباهي النطقي بصورة واضحة، سواء في المخرج أو الصفة، بين الحرفين المتجانسين، كما بين التاء والدال في مثل: تدلّى: إدّلّى، أو بين اللام

(1)-ينظر في ذلك على سبيل المثال مكي درار، وسعاد بسناسي، المقررات الصوتية، دراسة تحليلية نحيبية، منشورات دار الأديب، السانيا، وهران، 2007م. ص: 137، وملامح الدلالات الصوتية،

للمؤلف نفسه، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2012م. ص: 86.

(2)-نبعية زواخ، البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، دراسة أسلوبية صوتية لسورة الواقعة، مؤسسة

كتوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 1433هـ/2012م، ص: 161.

(3)-الإظهار من الناحية الوظيفية صوت دال على يقينية ظهور البواطن: ينظر محمد فريد عبد الله،

الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، ص: 139.

والنون في مثل: جَعَنَا، وقد يأتي بمعنى «فك الإدغام، نحو: (أَظْلَمَ، اظْلَمَ)، ويقابله الإدغام»⁽¹⁾.

تظهر أهمية هذه القيمة الصوتية في عملية التحليل، وتجلّي الدلالات من وراء السياق، فتغدو مع ما تنسّم به من مواصفات الوضوح السمعي للحروف، وكذا تباعد الأصوات أو تجاورها مع بعض حين النطق، متفاعلة الأصوات في ما ترسمه من سلاسل كلامية، يتأثر بعضها بأخرى صانعة أفعالاً قرائية متعددة مع كل رسم وبنيته الخطابية، فحين يحصل «إخراج كل حرف من مخرجه بغير غنة في الحروف المظهرة»⁽²⁾، يتسرّع النطق وينقص زمن الأداء مناسباً للجراء البلاغي الذي رسم من أجله الخطاب، من خلال الحروف المظهرة* دلالاتها في كل سياق، مع ما ينشأ فيها من علاقات لغوية تنشئها هذه الصفات بين مختلف الوحدات الصوتية وتداوها.

ومثلاً لذلك، هناك لطيفة صوتية وبيانية، يتباين فيها جزء قوم هم صفة أخير خلص، حين يقول تبارك وتعالى: (وَالسَّابِقُونَ الْأُوَلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعْدَ اللَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)⁽³⁾، ففي الآية خبر منه تعالى عن «رضاه عن السابقين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان»،

(1)- راجي الأسمري، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 144.

(2)- كامل المسرى، الجامع في تحويذ قراءة القرآن الكريم، ص: 67.

(*)- الحروف المظهرة هي الحروف المتعلقة بأحكام النون الساكنة، المستخلصة من أوائل كلمات (أخيهاك علما حازه غير خاسر)، ينظر على سبيل المثال: محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالاته في القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى، 2008م، ص: 135.

(3)- سورة التوبية، الآية رقم: 100.

ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم والنعيم المقيم⁽¹⁾، ففي هذا الخطاب مؤلاء الطائفه يتضح في فعل الجزاء إظهار حركة السكون في (عنه، وعنهم) إظهاراً مباشراً، دون محاطة في النفس، يقابلها صنيع هؤلاء في المسارعة بإظهار ولائهم ونصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، فكان الجزاء من جنس العمل؛ «إذ أن حيازة شرف الأسبقية والأولوية في الهجرة والمناصرة والإتباع تقتضي الإسراع دوماً سرعة في المبادرة والامثال، وسرعة في التلبية والتطبيق وسرعة في الوصول، وكانت عاقبة تسارعهم إلى الخيرات هي النيل السريع لرضوان الله وجناه»⁽²⁾.

وبالإضافة إلى هذا، هناك صورة أخرى ارتسماها الجزاء الثاني (جنات تجري تحتها الأنهر) في صفة منقطعة النظير؛ إذ هو السياق الوحيد في القرآن الكريم الذي ذكر بهذه الصيغة، دون ذكر حرف الجر (من)، ولا شك أنه يعوض دلالة التسارع في منح الجائزة الفضلى، فكما أنها لو ذكر حرف الجر في السياق لأحدث نوعاً من الترسل الموسيقي الناتج عن ظاهرة الإخفاء، ولما ناسب الإجراء السياق، فكان عدم ورودها في هذا الموضع بالذات ذا دلالة جمة مستوحاة من الصفة النطقية المباشرة لمطابقة الفعل بالجزاء، فظهرت بواطنهم، ولم يخفوا إيمانهم؛ بل أعلنوها واضحة جلية تحت لواء (وسارعوا)، وأمام هذه المطابقة وعظم هذا الجزاء، قال بعضهم: «لقد كنت أرى آتا رُفْعَنَا رِفْعَةً لَا يَلْعَنُهَا أَحَدٌ بَعْدَنَا»⁽³⁾، ولأجل هذه الرفعة كانت مسابقتهم وأوليتهم، حتى نالوا الأسبقية جزاءً وثناءً إلى يوم القيمة.

(1)-ابن كثیر، *تیسیر العلی القدیر لاختصار تفسیر ابن کثیر*، تحریر: محمد نسب الرفاعی، مکتبة المعرف، الیاض، 7/270.

(2)-*فخرية غريب قادر*، *تجليات الدلالة الإيجابية*، ص: 115.

(3)-ابن کثیر، *تیسیر العلی القدیر لاختصار تفسیر ابن کثیر*، 7/270.

ك/ التخفيف:

وهو ظاهرة صوتية إقليمية، أو لهجية، تشاكل «التسهيل»، وهو ترك الشدة، نحو (قيما، وقيما)، وهو أيضا تحويل الممزة إلى ألف أو ياء، نحو (ذئب، ذيب)، ويسمى أيضا التلين، ويقابله التشديد⁽¹⁾، ويكثر في القراءات القرآنية، خاصة بين روایتی ورش وحفص، كما يشيع التخفيف أيضا في اللهجات العربية-كما ذكر سابقا-في مثل لفظة المَهْدِي؛ ففيها التخفيف والشدة، قال الفراء: «أَهْلُ الْحِجَازِ وَبَنُو أَسْدٍ يَخْفَفُونَ: الْمَهْدِيُّ، وَتَمِيمٌ، وَسَفْلٌ قَيْسٌ يَثْقَلُونَ فَيَقُولُونَ: هَدِيٌّ»، قال الشاعر:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَعْنَاقِ الْمَهْدِيِّ مُقْلَدَاتٍ⁽²⁾

أما في القراءات القرآنية؛ فتتوافر عدة سياقات بهذه الظاهرة الصوتية، وذلك حسب كل وجه قرائي متواتر، فقد ترد بالتفخيف والتسهيل، والتشديد والتضييف، والهمز والنبر وغير ذلك، مراعاة ليسر النطق وتسهيل العبادة، ففي هذا الصدد «تتكاثف الظواهر وتعانق في إيجاد لغة لها قوانينها الحاكمة الموضحة لبنائها صوتا وصراها وتركيبها؛ وهذا وجدنا الاستخدام اللغوي يراعي هذا المستوى من الصحة اللغوية، فالناطق لديه الإمكانية في أن يتخفف في كثير من أصوات اللغة وكلماتها»⁽³⁾، ومثلا لهذه الظاهرة قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّكَ)⁽⁴⁾.

(1)- راجي الأسمري، المعجم المفهرس في علم الصرف، ص: 171.

(2) ينظر: أحمد علم الدين الجندي، في القرآن واللغة من تراث لغوي مفقود للفراء، مطباع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1410هـ، ص: 86. . والبيت من الوافر، وهو للفرزدق في ديوانه، 1/108، ولسان العرب، 3/367، (قلد)، 15/358، (هدى)، وكتاب العين، 4/77، وتأج العروس، 9/69، (قلد)، وبلا نسبة في المخصص، 4/119، 13/92، ينظر إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، 1/526.

(3)- أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1417هـ/1996م، ص: 92.

(4)- سورة الانفطار، الآية رقم: 7.

تجسد هنا ثنايتها التخفيف والتشديد علاقة تبانية مركبة قائمة على التماس الاختلاف في الصوت والmorphology وكذا الجرس الموسيقي، غير أنه من حيث كونهما ظاهرة صوتية على حساب فوني معين ترمز كل وحدة إلى نمط تعبير خاص؛ حيث قرئت الآية بالتخفيف (عَذَّلَكَ)، والتشديد (عَذَّلْكَ)، فجعلت هذه الظاهرة الصوتية في سياق واحد «لتفرق بين وظيفة كل كلمة داخل الجملة»⁽¹⁾، و«كان من قرأ ذلك بالتشديد؛ وجَهَ معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلاً معتدلاً الخلق مقوِّماً، وكان الذين قرؤوه بالتخفيف: وجَهُوا معنى الكلام إلى: صرَفَكَ، وأمَالَكَ إلى أيَّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض قراباته»⁽²⁾.

وقد يتباين وجه التلاوة والأداء هنا، وتتباين معه دلالة الخطاب للإنسان، فدللت صوتية التخفيف إلى عموم الخلقة أن جعله إنساناً مهماً كانت صفتة، أبيض أو أسود، ذكراً أو أنثى، وسائر الصفات الخلقية، فكان مستفاد الخطاب بنبرة تقريبية تأنيبية، مؤذناها «إِحْمَدُ اللَّهَ إِذَا لَمْ يَجْعَلْ صُورَتَكَ صُورَةً كَلْبٍ أَوْ حَمَارٍ أَوْ نَحْوَهُمَا مِنَ الْحَيْوَانَاتِ»⁽³⁾. أما الأخرى فكانت على وجه الخصوص، حين خصه دون البهائم والعمجاوات، فجعله «سُوِّيَا مُسْتَقِيمَاً مُعْتَدِلَ الْقَامَةَ مُنْتَصِبَهَا فِي أَحْسَنِ الْمَيَاثِ وَالْأَشْكَالِ»⁽⁴⁾، ذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء. ومن ناحية أخرى يوحى التضييف (التشديد) عن طريق الأداء بالاستغراق والتمهل اللفظي، مما

1-أحمد عفيفي، ظاهرة التخفيف في النحو العربي، ص: 93.

2-تفسير الطبرى، 24/178. الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن.

3-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 668.

4-ابن كثير، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، 14/275.

تنساق معه دلالة الترث و التمهل الفعلي قبل فعل أي شيء حتى يعلم أنه سوي معتدل استواء هذا الإنسان و اعتدال خلقته.

ل/ التفحيم:

ويعتمد على درجة الصائب المشكّل على الصامت؛ فيؤثّر فيه إما بالترقيق، أو بالتفخيم، وهذا الأخير يعني «تعظيم الحرف في النطق حتى يمتلىء الفم بصداء»⁽¹⁾، وحروفه «هي حروف الإطباقي، وهي ط، ظ، ص، ض، ومثلها في التفحيم الراء في الكلام، نحو: الرحمن، الصلاة، الطلاق، الظاهر، والضمير»⁽²⁾، وقد يصيب حروفاً أخرى، مثل الألف التي «تفخم بعد حروف الاستعلاء، والراء تفخم إن فتحت ولم تسبق بكسر، أو لم يقع بعدها كسر، واللام تفخم في لفظ الجلالة، إن سبقت بفتح، كقول الله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبِينَ أَنَا وَرَسُّلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)⁽³⁾، أو تلت ضمّاً مثل (رسُلُ الله)؛ لأن هاتين الحركتين مستعليتان فيناسبهما التفحيم»⁽⁴⁾.

وإنما كان الحديث عن هذه الظاهرة ومقاصديتها في الخطاب، لما فيه عدة سياقات تحوي هذا النوع من التصويت من ناحية، وما يمكن أن تستوعبه من مرجعيات دلالية ومكامن إيحائية، من ناحية أخرى، فتجعل من الأداء عبارة عن وسيلة قرائية تتم بها عناصر بلاغية كالتهويل والتضخيم والترغيب والترهيب وغيرها، مما يستساق تلاوة وتدبرًا.

(1)- عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007. ص: 160.

(2)- راجي الأسمري، المعجم المفهوس في علم الصرف، ص: 189.

(3)- سورة المجادلة، الآية رقم: 21.

(4)- عبد الكريم الرديني، فصول في علم اللغة العام، ص: 160.

ولعلَّ أهم لفظ شاع في القرآن الكريم ورودًا بالتفخيم هو لفظ الجلالة العلي العظيم الأَكْبَرُ اللَّهُ، كما يغلب ذكره في أكثر وجوه العبادة من ذكر ودعا، وتبثُّل وثناء، ومع أنه يرد بصفة التقليل كما في **البِسْمِلَةِ**؛ غير أنَّ غالب ورودها في معظم سياقات الخطاب القرآن بصفة التفخيم، وبخاصة تلك التي تعلقت بجانب الدعوة إلى الله، كقوله تعالى: (... إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ...) ⁽¹⁾، أو بالتعريف به، كقوله تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...) ⁽²⁾، أو التذكير به سبحانه، كما في قوله عز وجل: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ...) ⁽³⁾، أو ما تعلق بجانب الوعظ، كما في: (... إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا...) ⁽⁴⁾، أو المحاججة، كما في: (... فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ⁽⁵⁾، أو المجادلة، كما في: (أَمَنَ يَهْدِي كُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشِرًا بَيْنَ يَدَيِ رَحْمَتِهِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ⁽⁶⁾، أو في مختلف رسائل الخطاب وإقراراتها.

وإنما أوردنا هذا اللفظ الجليل **الله**، بلال نطقه وتصويته، ومن ثم الوقوف عليه تلاوة وأداء، ففي لطيفة من لطائف التجويد، وفي سياق فريد من جوانب المفاد البلاغي، والتدليل الإبلاغي، والإيحاء الصوتي، يتجلّى هذا اللفظ في مقام دلت عليه أنفس العبارات ولطائف البيان، وذلك في مقوله يوسف عليه السلام في مختنه بيت العزيز، وذلك بعد أن رأى برهان ربه: (... قَالَ مَعَادُ اللَّهِ...) ⁽⁷⁾، في ردّ بديع

(1)- سورة النساء، الآية رقم: 171.

(2)- سورة البقرة، الآية رقم: 255.

(3)- سورة الأنعام، الآية رقم: 18.

(4)- سورة الزمر، الآية رقم: 53.

(5)- سورة البقرة، الآية رقم: 259.

(6)- سورة النمل، الآية رقم: 63.

(7)- سورة يوسف، الآية رقم: 23.

مؤدب ينمّ على مدى «الرد على الإحسان بالإحسان»¹، والذي لقيه من ربه الذي أحسن مثواه بتربيته وتلقينه فنون القول والعمل، لكن هذا العبد لم ينس فضل ذلك، أما الإيقاع الصوتي في أداء هذا السياق؛ فقد تقطرت منه دلالات جمة، تصورها صوتية اللام المفخمة الموحية بغلظ الصنيع، والاختراق الفاحش للعادات والأعراف النبوية قبل الإنسانية، فقد كان بين فتنة عنيفة تدفع، وفضيلة تصد، وهذا ما جعل صوت حرف اللام المفخّم على سمت الحدث الجلل، والذي جاءت صوتيته وإيقاعه ونبرته تبعاً ونسقاً للصورة العجيبة.

وقد أشار بن جنّي في خصائصه إلى مثل هذه الظواهر الصوتية، بقوله: «فاما مقابلة الألفاظ بما يشكل صواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج مُتّلِّثٌ عند عارفه مأمور، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون صوات الحروف على سمت الأحداث المُعْبَر عنها»⁽²⁾، فيعكس تصاعد اللام إلى رفع شكوى النفس إلى بارئها، نتيجة إيمانها العميق المتّجذر بخالقها، فعلمت أنه لا ملجأ منه إلا إليه، لذلك كان صوت اللام مستحضر لصورة العلاقة بين العبد والأواب بربه التواب، كما أنّ المد الصوتي الناتج عن الوقف على لفظة الله واستغراقه زمناً، يوحي بفسحة الوقت لتدارك الأمور وإمهال الله تعالى عبده لعله يتدارك، ويصحو البصر بالحق، تاركاً الأمر إلى النفس في مداراة الأمور وتقليلها لعلها تصاعد في علية منعها فتندّم وتؤوب، مخترقة الأزمان والأماكن ووقائع الأحوال، كما قد يحاكي طول مداه إلى «ضلال الكافر وانحراف عن المسار الإيماني السليم، وخروجه عن نطاق الفطرة السليمة التي جبل عليها، كما يعبر طوله عن طول تلبّه في غيابه الضلال ودوامه»

(1)- رابح بحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص: 126.

(2)- أبو الفتح عثمان ابن جنّي (392هـ)، الخصائص، تج/ محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، ط٤، بغداد، 1990م، 1/65.

(١)، وما ذلك الاسترسال والامتداد إلا لإطلاق "صرخة نبوية" استرعت حقا خشوعاً وخصوصاً وخنوعاً، أملأ في استجابة ربانية.

ومن الأمثلة الصوتية الكثيرة، مثال آخر ينقل المشاهد التي هي جزء من الحياة «إلى واقع التمثيل، كما ينقل إلينا المشهد بالصوت والصورة (...) يعبر بها الجسد عفوا عن مخاوفه تجاه ما يهدد وجوده وأمنه، وليس أدل على هذه الحال من اجتماع صوتي «الصاد» الصارخة والمعبرة عن الشدة، والراء المتكررة تعينا للوصفية بالتضعيف باجتماعهما في اللفظ صير، قال تعالى: (مَثَلُ مَا يُنَفِّقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِيرٌ أَصَابَتْ حَرَثًا قَوْمًا ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمُهُمُ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ⁽²⁾، «فلا يسعنا ونحن نسمع الأصوات المنبعثة من لفظ صير إلا أن نستحضر عواصف الشتاء وهبوب الرياح العاتية وصقيع البرد وترابم ⁽³⁾، ليكون وقعا في النفس مؤشرا صوتيا داعيا إلى ضرورة افتتاح البصيرة، والوقوف على نظرة تأملية تعالج «ما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم، من إحباطه ثواب أعمالهم، وإبطاله أجورها (...) ما أوردها به نار جهنم وأصلاحها به سعير سقر» ⁽⁴⁾، ويكون حاملا في صفتة التفخيمية دلالة منبقة من شناعة الصنيع، مؤثرة في الانفعال النفسي بالترهيب والتحذير، وتحمل رسالة ضمنية في صيغتها التكيرية «الدالة على الكثرة» ⁽⁵⁾، وتأزرها مع صفتة التفخيم و«المعالجة

(1)-فخرية غرب قادر، تحليات الدلالة الإيجابية، ص: 69.

-(2) سورة آل عمران، الآية رقم: 117.

(3) محمد فريد عبد الله، *الصيغة اللغوية، ودلالتها في القرآن الكريم*، ص: 106.

⁽⁴⁾الطري، جامع السان عن تأوبا آء، الف قآن، 5/707.

⁽⁵⁾- عبد الله بن العباس، *الإذن بالذنب*، فرفات آنذاك، المكتبة العصرية، الدار الثقافية للنشر، أصبهري، *جامع البيان عن تأويل أي القرآن*، ١٥٧١/١٥٧٥.

^{١١٥} مصر، دت، ص: ١١٥.

الصوتية قضايا ودراسات
الشديدة»⁽¹⁾ معانى الحذر من الله والفرار إليه، وبذلك التحتمت البنية الصوتية
بإيهاءات الدلالية، مرکزة عن طريق سمة التفحيم على عنصر التلقي المضفي إلى
فتح مسالك الإدراك الحسي والمعنوي، والقيام بإضاءة المعنى إلى حد كبير.

م/ التشديد:

وهو ظاهرة صوتية كثيرة الشيوع في الأداء القرآني، وله عدة تسميات
كالتثليل، والشدة، والتوكيد، وتكون في أصناف الكلام كلها - اسم، و فعل، وحرف
- نحو (كتاب، وعظم، وثم)، كما يشيع في مختلف لغات القبائل العربية واللهجات،
من ذلك ما نقله الفراء بقوله: «كَذَبْتُ بِهِ كِذَابًا، وَخَرَقْتُ الْقَمِيصَ خِرَاقًا، هِيَ لِغَةٌ
يَمَانِيَةٌ فَصِيْحَةٌ، وَكُلُّ "فَعَلَتْ" فِي مَصْدِرِهِ "فِعَالٌ" فِي لِغَتِهِمْ مَشَدٌ»⁽²⁾، ويختلف عن
الإدغام في كونه - أي التشديد - ظاهرة صوتية لهجية أكثر منه ظاهرة صوتية
صرفية لغوية، ويتفقان في الوجه السمعي والغرض البلاغي، وما ينجر عن ذلك
من أثر دلالي.

وطالما هو ظاهرة لهجية؛ إلا أن المتن القرآني لم يستثن بفعل تعدد القراءات
وتواترها، حين يأتي شاهد في سورة النبأ في مناسبتين، وهو لفظ كِذَابًا، كما في:
(وَكَذَبُوا بِأَيَّاتِنَا كِذَابًا)⁽³⁾، وكذا قوله تعالى: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا)⁽⁴⁾،
فقد أورد البغوي قوله للقراء أيضا: «هي لغة يمانية فصيحة، يقولون في مصدر
التفعيل فِعَال و قال: قال لي أعرابي منهم على المروء يستفتيني: الحلق أحب إليك أم
القصَّار؟»⁽⁵⁾. ومع ما يبدو للوهلة الأولى من ثقل النطق والأداء الصوتي؛ إلا أنه

(1)- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 17.

(2)- أحمد علم الدين الجندي، في القرآن واللغة من تراث لغوي مفقود للقراء، ص: 28.

(3)- سورة النبأ، الآية رقم: 85.

(4)- سورة النبأ، الآية رقم: 35.

(5)- أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، معلم التنزيل، ص: 1377.

أمر ثابت يعود للملكة اللسانية لكل قوم، وما أثر عنهم من تأثيرات بيئية واجتماعية، وبخاصة التأثير البدوي على حياتهم ككل، بما فيها المجال اللغوي؛ بل إن شيوخ هذا النوع من الاستخدام اللغوي واقتصره على إقليم معين ولغة معينة، قد تنم عن «قدرة الإنسان على التحكم في اللغة والتصريف فيها»⁽¹⁾، ويؤيد هذا الرأي، ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان، بقوله: «والذي يبدو لي حين أفك في أمر اللغة العربية أن الذوق الصياغي العربي يرسم حدوداً واضحة المعالم لما يعده خفيفاً، ولما يعده ثقيلاً»⁽²⁾.

ومن الذوق الصياغي تجلّى ظاهرة التشديد في الخروج عن أصل ما يسمى «المصادر القياسية»؛ فهذا عدول عن المألف، وتجاوز «القياس» إلى السماع، وحسبنا في ذلك قولنا: هكذا سمعت عند عرب اليمن. ولعل التفسير الصوتي لهذه الظاهرة هو طلب التفخيم، بإعطائه حركة تعين على إظهاره والإجهاز به»⁽³⁾، فإن الناحية الصرفية تقعّد اشتراق المصادر من الأفعال المضعفة النابعة عن « فعل» تكون قياسية، نحو «فعيلاً»، كما الأصل في «كذب، تكذيباً»؛ غير أنها جاءت على صيغة «فعالاً، جوازاً، فتكون «فعال» من مصادر التفعيل، وحجة ذلك ما أنسده الكسائي:

لَقَدْ طَالَ مَا رَيَّشَنِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجَ قِضاَوْهَا مِنْ شِفَائِنَا⁽⁴⁾

أما ما يمكن الوصول إليه من إحياء دلالي زيادة على التفعيل والتفخيم وربما على التحضر والتتمدن^{*}، هو ذلك الجرس الشديد الذي يبني عن حصول

(1)-محمد عيد، الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، القاهرة، 1975م، ص: 5.

(2)-تمام حسان، اللغة العربية والحداثة، مجلة فصول، ج 1، ع 3، المجلد الرابع، عام 1984م، ص: 138.

(3)-عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، دار صفاء للنشر

والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، ص: 66.

(4)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 31/18.

شيء مثير، قد أثر في جوانب متعددة، جعلت من عنصر التفعيل قائماً على هذه العلاقة، وهذا ما أقره أحد الدارسين بأن الصوت «يتأثر بما قبله وما بعده؛ أي الظروف المحيطة به»⁽¹⁾، مما يجعل من شاهدنا الصوتي كذاباً معبراً عن مدى المغالاة والماكيرة في الصنيع؛ إذ يتكلمون بما هو إفراط في الكذب، فعل من يغالب في أمر، فيبلغ فيه أقصى جهده⁽²⁾.

ولعلَّ أنَّ هذا العدول من المصدر القياسي إلى المصدر السمعي، وبخاصة في هذا السياق القرآني، يمكن أن يتضمن قيمة أسلوبية تعرف بالالتفات، باعتباره مفهوم يشمل سائر أنواع التحول في الكلام⁽³⁾، ويشمل أيضاً مصطلحات الصرف، والعدول، والانصراف، والتلون، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، وما إلى ذلك⁽⁴⁾، ليشير هذا الخطاب عبر هذه الأسلوبية الخاصة إلى التعدد السمعي والإجراء القرائي لفحوى هذه الرسالة التذكيرية، وهذا ما نقله أحمد مطلوب عن الزمخشري في كشافه: «لأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريقة لنشاط السامع، وإيقاظه للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد

(*)-يرى الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه: في اللهجات العربية، ص: 91، أن القبائل البدوية بوجه عام تميل إلى الضم؛ لأنَّه مظاهر من مظاهر الخشونة البدوية، بينما مالت القبائل المتحضرة إلى الكسر. ينظر عبد القادر عبد الجليل، الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي، ص: 63.

(1)-ينظر تفصيل ذلك عند محمد حاسة عبد اللطيف، الإعلال والإبدال بين القدماء والمحديثين، مجلة جمع اللغة العربية، ع86، 1980م، ص: 169.

(2)-أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التزيل وعيوب الأقوال في وجوه التأويل، ترجمة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد عوض، مكتبة العيikan، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، 6/301.

(3)-شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب، انترباسيونال برس، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م، ص: 96.

(4)-حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ/1998م، ص: 11.

تحصي موقعه بفوائد»⁽¹⁾، فعمد الالتفات هاهنا إلى إنتاج طاقة تأويلية تحليلية زائدة، وخارجة عن نطاق ما ألفته من أفهم، وما استرعته من أسماع، فكان العدول الصوتي من تكذيباً إلى كذاباً أربع وأنسق، وأكثر ملاءمة وانسجاماً لرسالة الخطاب، خاصة عند الوقفة الصوتية، مما يتبع فرصة لتأمل الدلالات الإيحائية ومواقفها المنبعثة من كل صوت في العبارات القرآنية.

و بما أن لغة الخطاب القرآني فاعلة ناضجة، لغة حية دوماً في دلالاتها وإيماءاتها وإيحاءاتها، فقد حافظت على عناصرها الحيوية، والتي لها علاقة وطيدة بالإدراك السمعي، الذي يمكن أن يوسع أفق فهمنا للغموض أو القصور اللساني المرتبط بأحادية التصريف (فعلٌ تفعيلاً)، فيوسع من مجال الاستيقاف السمعي الوظيفي، ويجعل منه مفاتيح لها علاقة ب مختلف صيغ الإدراك الحسي والمعنوي، وبالتالي تساعد المتلقي تدوير الدلالات وتمايزها من صيغة لأخرى، أو حملها على ما هو في الأصل أدلّ وفي الفرع أجل، فيتضخ في الأخير أن ما كان للوهلة الأولى عدولاً صوتياً، أو انحرافاً قاعدياً، أو خروجاً عن الأصل، أو بعبارة أخرى غموضاً لسانياً، لا يمكن أن يقع إلا في السياق الذي ترد فيه المفردة التي انشقت من المصدر الأصل، وذاك مجال واسع فسيح فسحة تدبر الخطاب وتأمل دلالاته.

ن/ الوقف:

الوقف، والتسكين، والقصر، والجزم، والإمكان، كلها مصطلحات تفيد حبس الصوت أو قطع النفس عند آخر الكلمة، اسماً كانت، أم فعل، أم حرف، والأصل فيه «أن يكون بالسكون، سواء أكانت الكلمة الموقوف عليها منونة أم غير

(1)-أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، الطبعة الأولى، 1989، ص: 223

منونة، ومن القواعد المشهورة؛ الوقف على السكون، والابتداء بالحركة»⁽¹⁾. وله في لغتنا وفي القراءات عدة أحكام، أغلبها أنه «لا يجوز أن يوقف بالتضعيف فيما كان مختوماً ببناء التأنيث»⁽²⁾، لأنَّه يحدث تغييراً في عدد المقاطع الصوتية، وفي موضع النبر، وفي المعنى ككل؛ إذ يصير آخر الكلمة ساكناً مضعفاً، بدلاً من متحركاً مشبعاً بباء السكت المؤنثة، وذلك في مثل (جليٌّ وجليٌّ)، و(زمنيَّة، وزمنيَّة).

فكمَا هو معروف أنَّ «ترتيب القرآن الكريم، والتزام أحكام المدود والوقف فيه، يولَّد قدرة معرفية صوتية، تتأكد تثبيتاً وأصالة، مرَّةً إثر مرَّة، حتى تتلبَّس فينا لبوس الفطرة اللفظية في إصدار الأصوات وفق البناء الصوتي المثالي، الذي شاءَه الله آيةً من آياتِ إعجازِه فينا، تحاكِي التكامل والسواء في الخلق والتفاعل (... بصياغات كلامية وتركيبية، تغاير السُّمةُ البلاغيُّ والبيانِيُّ والإعجازي في النص الإلهي»⁽³⁾، غير أنه يفقد تلك القيمة البلاغية في الخطاب الوضعيِّ مهما كانت رتابته وبلاعته؛ لأنَّه قد يعجز على تفصيل الكلام قراءةً وتوجيهها، وعدم اكتناف الأسماع كليَّةً، فيرُغب فيه إقبالاً، ويُزهد فيه طلباً.

غير أنه ومن خصوصيات الخطاب القرآني استرقاء الجرس الموسيقي «الذي يحدث بواسطة ترجيع كلي أو جزئي لمادة معجمية أو أكثر، فيخلف ذلك ضرباً من التوازيات أو المشاكلات، أو المزدوجات اللفظية»⁽⁴⁾، وما أكثرها وروداً، وأحملها وجوهاً بلاغية، وبخاصة تلك التي ترد وفق تتابع صوتيٍّ أحادي أو مزدوج،

(1)- عبد العزيز بن علي الحربي، الشرح الميسر على ألفية ابن مالك، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م، ص: 355.

(2)- المرجع نفسه، ص: 358.

(3)- محمد فريد عبد الله، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، ص: 125.

(4)- نعيمة زواخ، البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، ص: 197.

أو تكراري^(*)، وذلك «من باب التقرير والتعميل لأذهان المتكلمين، وتجسيد الموقف التعليمي لهم، حتى يتلاءم ذلك مع مستوى عقولهم»⁽¹⁾. حينها يعمد عبر فنون القول والتلاوة والأداء، وصلا ووقفا إلى إجلاء المعاني، فتقع منه الصوات بصوائتها موقع الضابط الدلالي الذي يفسح المجال للقراءات التأويلية، فتتعانق جل الوحدات الصوتية بصفاتها وإيحاءاتها مع ما طرأ عليها من صوتية الإيقاع وقفا، لتبيّن تلك «القيمة المعنوية لها، ويضاعف من رونق حسنها، وينوه بالفائدة اللغوية (الصوتية) التي يكشف عنها نظمها الفريد، ويتضمنها أسلوبها المعجز»⁽²⁾.

وقد آثرنا الوقف في هذا السياق على فاصلة قد جمعت من الصوت أنسبه وأبرعه وأنواعه، لتطغى جماليتها في هذا التنويع المنساق تبعاً للسياق. يقول الله تعالى: (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ⁽³³⁾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ⁽³⁴⁾ وَأُمِّهِ وَأَيْهِ⁽³⁵⁾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ⁽³⁶⁾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ⁽³⁷⁾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْقَرَةٌ⁽³⁸⁾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ⁽³⁹⁾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ⁽⁴⁰⁾ تَرْهَقُهَا قَرَّةٌ⁽⁴¹⁾ أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ⁽⁴²⁾)⁽³⁾، فـأـيـ طـاقـةـ إـيـحـائـيـ يـسـتـجـلـيـهاـ الـوـقـفـ،ـ وـأـيـ إـيـقـاعـ صـوـتـيـ يـتـابـ النـفـسـ حـيـنـ سـمـاعـهـاـ،ـ كـاـشـفـةـ مـنـ وـرـاءـ كـلـ وـقـفـ جـمـلـةـ مـنـ

(*) يغلب مثل هذه السياقات في قصار المفصل، التي أغلب سوره مكية، وما لها من سمات تقريري تهويلي، أو ما يناسب عموماً موضوع توحيد الربوبية، فتعتمد على مثل هذه الفرائد من النظم، كسور الحافة، المطفيين، والقارعة... وغيرها، وتنظر بامتياز لا متناهٍ كما في سورة الرحمن، لاعتمادها آية البارحة كما اختها د/ عبد الملك مرتاض في كتابه: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

(1)-عبد الملك مرتاض، نظام الخطاب القرآني، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001م، ص: 125.

(2)-محمد السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن الكريم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2001م، ص: 383.

(3)-سورة عبس، الآيات: 33-42.

المسائل والقضايا الغيبية التي أقرها الخطاب، فبعد أن أخبر الله تعالى عن الصادقة، وهي «الصيادة بشدة صوتها للآذان»⁽¹⁾، ذكر أهواها من فرار معانيه من تباعد واحتراز، وعدم نصرة وموالاة، ثم ذكر أحوال الناس هنالك، بين مدارج السعادة ومدارك الشقاوة، كل تلك المعاني مقررة مع كل فاصلة، وما لها من طابع تصوري في النفس، وكأنه في كل وقفة من الوقفات تبع الدلالات في تكاملات معنوية، مليئة بالإثارة والانفعال، تحددها السكتات بصورة دقيقة، ومع كل تفصيل.

وحيث «يوجد في الخطاب العادي علاقات تتخطى حدود الجملة، وتضفي على الخطاب بنية إضافية إلى تلك البنية المستخلصة من اللغة المستعملة استعمالاً عادياً»⁽²⁾، فإن الوقف في سائر الكلام لا مناص منه، من انتهاء العبارات والجمل، وقد يكون السكت بانتهاء النفس، وعلى أي عبارة كان الوقف كان مقبولاً؛ فإن الوقف وسكت في التلاوة والأداء شيء أكثر من هذا، إنه يكون دليلاً فعلياً للمعنى، جعل النظم منه الصوت مادةً، والجرس الموسيقي دعماً، والفاصلة متکاً، ويستند عليه المتلقى في استباب المعاني، وإجلاء الدلالات، وإعطائها سمتها العامة من أوجه بلاغية، وانفعالات نفسية مستقاة من ظلال الأصوات، و«تقلب الصورة اللفظية في بعض الأحرف الكلمات، بحسب ما يلائم تلك الأحوال»⁽³⁾، فإذا هو خطاب شامل القراءة لكل الناس، فتتحرك له نفوسهم بما جادت به قرائحهم وطبائعهم مع كل قراءة، كما «تستجيب فيهم لكل حركة من النفس لفظة المعنى

(1)-الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 31/64.

(2)-راغب بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص: 55.

(3)-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مكتبة الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ/2005م، ص: 35.

الذي هو أصل هذه الحركة، ثم لا تكون هذه اللحظة إلا كأنها خلقت لذلك المعنى
خلقاً»⁽¹⁾.

وللوقف في القرآن الكريم ضوابط وقواعد تحدد مشروعية الوقف فيها^(*)، فهو قائم وفق علم متقن الأحكام، منتظم القوانين، لا يحسن إلا في مواضعه المحددة؛ لأن القرآن معجز في حركاته وسكناته وسائر نظمه، وحتى في وقوفه، فقد تكون المعاني معلقة بدرجة الوقف وحسنه، متابينة المعالم مع كل وقف، ومثال ذلك قوله تعالى: (وَمِنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَغْرَابِ مَنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَخْنَ نَعْلَمُهُمْ...)⁽²⁾، فالوقف على لفظة (منافقون)، يختلف عن الوقف عند لفظة (المدينة)، كما يختلف تماماً عن الوقف عند (لا تعلمهم)، ووصل اللفظين السابقين، وبالتالي؛ فإن للوقف علامات معنوية بالدرجة الأولى، يقوم بتحديد المعاني وتمييزها، كما يؤدي الجهل به إلى تداخل المفاهيم والأحكام وغيرها، كما في الوقف القبيح على: (...وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمْنًا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا...)⁽³⁾، فالوقف على لفظة (والراسخون)، يوهم بمعنى غير مراد؛ وذلك لعلم (الراسخون) أيضاً التأويل، وهذا غلط، مما يلبس

(1)-مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص: 131.

(*) ثابت أن الإمام علي حينما سئل عن معنى الآية (... وَرَئِلَ الْقُرْآنَ ئَرْتِيلَا)، المزمل، 4، قال: تجويد الحروف ومعرفة الوقف (جمع مفرده وقف). قال ابن الجوزي: ففي قول الإمام علي رضي الله عنه دليل على وجوب تعلم التلاوة ومعرفة الوقف، ولقد اشترط كثير من أئمة الخلف على الجيزة ألا يحيى أحداً إلا بعد معرفة علم الوقف والابتداء. للاستزادة في ذلك ومعرفة أحكام الوقف. ينظر كامل المسيري، الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، ص: 306، وما بعدها.

(2)-سورة التوبة، الآية رقم: 101.

(3)-سورة آل عمران، الآية رقم: 7.

المعنى، وهذا وغيره، يؤكد الوقف علاقة الجرس والإيقاع وتنوعه بتنوع المضمن واختلافه من سياق لآخر. وربما كان «الإيقاع هو المعنى»⁽¹⁾.

يؤكد ذلك السيد قطب، بقوله: «هناك الموضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد تصويرها، فيساعد على إكمال معلم الصورة الحسية أو المعنوية، وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير، وبين التعبير للتوصير، فهي مفرق الطريق بين السطوح المستوية والقمم المتردجة»⁽²⁾، فهذا يعبر عن اختلاف الوقف لاختلاف السياق والمعنى، كما في قوله تعالى: «قَالُوا أَمْنًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (121) رَبُّ مُوسَى وَهَارُونَ»⁽³⁾، قوله تعالى: «فَأَلْقَيَ السَّحْرَةُ سُجْدًا قَالُوا أَمْنًا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى»⁽⁴⁾. وفي فائدة أخرى، يمكن قول أن الحرف في القرآن الكريم وما يعتريه من ظاهرة الوقف عليه، يملأ هو الآخر إيماء حاداً، وبخاصة إذا تعلق بالفاصلة؛ «ذلك إن لم يكن يدل دلالة قاطعة على معنى، يدل دلالة اتجاه وإيماء، ويشير في النفس جواً يهبي لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به»⁽⁵⁾، وفي ذلك مقصد شريف القدر، جليل النفع؛ حيث «يحمل في بنائه خصوصية الشمولية؛ حيث تتضافر عليه كل من النبرة والنغم والنظام في خدمة أهدافه الرسالية، ولقد تخطى النظم القرآني

(1)- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، دار بوتفقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1989م، 1/178.

(2)- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 6، 1423هـ/2002م، ص: 90.

(3)- سورة الأعراف، الآية رقم: 122.

(4)- سورة طه، الآية رقم: 70.

(5)- محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، بيروت، ط، 6، 1975م، ص: 261.

إطار النظمية المحددة، ليؤصل خطابه الفني الطليق، القائم على جالية يتتساوق فيها المبني والفحوى»⁽¹⁾.
الصوتيات قضايا ودراسات

وهكذا؛ فقد تؤدي ظاهرة الوقف الصوتية إلى تنوع في الأداء حسب مواضع الوقف، وهو يفضي إلى اختلافات في شكل الجملة من حيث بدايتها أو نهايتها، بل من حيث نوعها؛ فقد تكون خبرية بوقف إنسانية بوقف آخر، ثم هو يمتدنا بتحليلات نحوية مختلفة، وفي نهاية المطاف يؤدي إلى تنوع في المعنى مما قد يتضمنه من تنوع في الأحكام^(*).

ح/ الإمالة:

وهي من الناحية الصوتية «أن ت نحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، ويقال له التقليل، والتلطيف، وبين بين»⁽²⁾، وأكثر الحروف العربية إمالة؛ ما أورده مكي بن أبي طالب، وهي: «الألف والراء، وهاء التأنيث»⁽³⁾. فاما الألف فوجهها أن تمال الألف نحو الياء، على نحو ما ذكرناه من أمثلة في الفصل الأول، وأما الراء وهاء التأنيث؛ فإما تهمما تستدعي إمالة ما قبلهما مسبقاً. وأغلب الظن أن هذه الحروف لكثرتها استعمالها وتداوتها، انتابها هذا النسق الصوتي المميز؛ إذ أصبحت أبرز ظاهرة لغوية صوتية، مشكلة في عدة لغات من المناطق العربية.

(1)- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية في جالية السرد الإعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م، ص: 340.

(*)- من تقديم الأستاذ الدكتور عبده الراجحي، لكتاب الوقف في القراءات القرآنية وأثره في المعنى، مجدي حسين، ص: 4، وينظر أيضاً: محمد رزق شعير، الفنولوجيا وعلاقتها بالنظم في القرآن الكريم، مكتبة الأداب، الطبعة الأولى، 1429هـ، 2008م، ص: 173.

(2)- مكي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص: 114، عن النشر في القراءات العشر، لابن الجوزي، 2/30، وما بعدها.

(3)- مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق التلاوة، تج/ أحد حسن فرحات، دار عمار، الأردن، ط3، 1417هـ/1996م، ص: 129، 130.

يعتمد تداخل هذه الظاهرة الصوتية كثيراً مع مبدأ التفخيم على حرف الألف بين الكتابة والنطق، خاصة في الرسم القرآني لها، فهي في النطق «الف» تستدير في نطقها الشفتان قليلاً، مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً، فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز⁽¹⁾. أما في الكتابة؛ «فليس سببه نطق الألف، ولو أن كتبة المصحف أرادوا أن يشيروا إلى تفخيم الألف، لكتبوا كل ألف مفخمة في القرآن بالواو، وللتزموا كتابة الصلواة والزكوة والحيواة بالواو في القرآن كله، ولكن ذلك لم يكن، فهي أضيفت، كتبت بالألف، نحو: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْيَتَمَّ إِلَّا مَكَاءٌ وَّصَنْدِيقَةٌ...)⁽²⁾، و(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاةٌ الْدُّنْيَا...)⁽³⁾.⁽⁴⁾

ومثل هذه الرسوم في القرآن الكريم كثير، فيخالف الرسمُ النطقَ، والنطقُ الرسمَ، من خلال انزياح الفتح نحو الضم تارة، وهذا يناسبه الواو، وانزياحه نحو الكسر تارة أخرى، وهذا ما يصلح فيه الثبات على هيئته الأصلية. وعموم القول، أن «التفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة، والذي يدل على أن التفخيم هو الأصل، أنه يجوز تفخيم كل مهمل، ولا يجوز إمالة كل مفخم»⁽⁵⁾.

(1)- تمام حسان، اللغة العربية معناها وبناؤها، دار الثقافة، المغرب، 1994م، ص: 53.

(2)- سورة الأنفال، الآية رقم: 35.

(3)- سورة الحجية: الآية رقم: 24.

(4)- مختار العوثر، لغة قريش، دار المراج، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997، ص: 32. عن أبي عمرو الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحرير/ محمد أحمد دهمان، دمشق، دار الفكر، 1403هـ، ص: 54.

(5)- السيد يعقوب بكر، نصوص في النحو العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1984م، ص: 82.
(228)

وهذا له كل العلاقة مع المنطوق (السمعي) والمكتوب (البصري). أما ظاهرة الترقق؛ فهي موضوع قراءاتي، يعتمد بالخصوص على لوان النطق القرائي في مختلف اللهجات، فلا يمكن التحدث عنه بمعزل عن علم القراءات القرآنية؛ إذ هي الأصل، وكل هذا يدل على تقارب الأصوات، ومشاكلة الحروف، واتلاف السمع، بين المكونات التركيبية للألفاظ، وهذا من دواعي الأسلوب المستحسن في النطق، فلا يصح النطق السليم أن «يكون وحشاً غريباً، أو عامياً سخيفاً»⁽¹⁾.

أما المثال الذي سيتم عرضه شاهداً، هو قوله تعالى: (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَغْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَغْمَى وَأَضَلُّ سَيِّلًا)⁽²⁾، حيث قرئ «بالياء والإملاء والتخفيم معاً، وبالياء الأولى، وتخفيم الثاني»، فالحججة لمن أهلاها أنه دل بالياء والإملاء على أنها من ذوات الياء؛ لأنهم يميلون الرباعي، وإن كان من ذوات الواو، فذوات الياء بذلك أولى، والحججة لمن فحتمها أنه أتى بالكلام على أصله؛ لأنه قد انقلبت الياء ألفاً لفتح ما قبلها، فاستعمال اللفظ أولى من استعمال المعنى⁽³⁾، وبذلك يكون تأثير الإملاء واضحاً على التصويب، طاغياً على المعنى، استناداً للقاعدة الصرفية التي تولي العناية لها بقلب الياء ألفاً ممالة، والتي أصلها (أغمى).

وهناك من يؤكد صرف هذه الصيغة إلى صيغة المبالغة، وذلك حينما نربطها بسياقها الذي وردت فيه، وهو سياق الآخرة «التي يحشر الله فيها الكافر أعمى بصرًا وبصيرة بعد أن كان في الدنيا أعمى بصيرة لا بصرًا، فيكون عمى الآخرة أشد وبصيرة

(1)-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت 474هـ)، أسرار البلاغة، ترجمة: هنري رينز، دار المسيرة، ط 3، 1403هـ، ص: 4.

(2)-سورة الإسراء، الآية رقم: 72.

(3)-ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ترجمة: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط 3، 1399هـ/1979م، ص: 217.

وأعظم على الكافر من عمى الدنيا»⁽¹⁾، ومعنى ذلك: «جعل الأول صفة والثاني بمنزلة أفعى»، ومعنى ذلك: ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى منه في الدنيا»⁽²⁾.

ومهما اختلفت القراءات القرآنية في ذلك يسيراً، واتتلتفت فيه الأسماع كثيراً، فإن مثل هذه الظواهر الصوتية، لا تعدو أن تكون علاماً خصوصية للتناسب الفني، ومقاييساً صوتياً للجانب اللغوي، ولئن كانت هذه المورفوفونيمات تطريزات تأخذ شكلاً وظيفياً على مستوى المفردة، فإن هناك ظواهر صوتية أخرى متعلقة بالتركيب؛ حين تتضافر التشكيلات الصوتية والصرفية معاً، وتصبح همماً دلالة في سياق معين، تختلف معالمه من خطاب لآخر، وتتقطرّ منه مكامن دلالية لا تصلح إلا فيه.

(1)- سليمان بن علي، المظاهر الصرفية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، ع 8، السنة الرابعة، ص: 134.

(2)- ابن خالويه، الحجّة في القراءات السبع، ص: 217.
(230)

جهود عبد الرحمن الحاج صالح
في الصوتيات وتقنيولوجيا اللغة الحديثة

جهود عبد الرحمن الحاج صالح في الصوتيات وتقنولوجيا اللغة الحديثة

جامعة محمد خضر (بسكرة) / الجزائر.
كفر - الأستاذة: رئيساء مزاهدية

مقدمة:

نبغ عبد الرحيم الحاج صالح في علوم اللسان فاغترف من مصادره قديماً وحديثاً^(١) فاعجب بأصالة التراث اللغوي عند الخليل وسيبوه، ويقصد بالأصالة هنا...، الأشياء البدعية التي انفرد بها علماء العربية في ذلك الزمان، فمضى يوازن ويقارن بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الغربية، بغية التوضيح والتقريب نحو التأصيل لنظرية لسانية عربية، فقد وقف في قراءاته للقديم والحديث موقف الممحض والمدقق لأقوال العلماء، خضعاً كل ذلك للغربلة، ولا يقبل بأي رأي ولا يتبنّاه إلا إذا قام الدليل الذي يوصله إلى درجة الاقتئاع لتقدير تلك الأقوال، وقد عرف بموضوعيته العلمية، وقد كان مولعاً بإدخال التكنولوجيا إلى الأقوال، فناضل جاهداً من خلال أبحاثه العلمية اللغوية على ضرورة ربط اللغة العربية بالعلم، فاللغة المطلوبة هي التي تحمل شيء ذو قيمة، والشيء الذي له قيمة هو العلم والتكنولوجيا اللذان يضمنان للغة مستقبلاً وأفاقاً، وقد قال فيه

(1) ينظر: محمد خان، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 05، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2009، ص: 01.

الدكتور شوفي ضيف: «قد أتى بباحث جديد لم يسبق إليها وهو مشكور على هذا الجهد العلمي الرائع»⁽¹⁾.

فكان له الفضل في إعادة بعث وتجديد الرؤية للمدرسة الخليلية وبالآخر في الصوتيات الخليلية الحديثة ومكانها من النزاعات اللسانية الحديثة⁽²⁾ وانتهيج في ذلك منهج الدقة والتحري في كل ما تركه علمائنا الأوائل، مناديا على ضرورة الحرص في البحوث اللغوية الحديثة على مفهوم الأصالة والعمل عليها، وهو ما لاحظناه في بحوثه ويعرف الأصالة بقوله: «الأصالة تقابل في الحقيقة التقليد أيا كان المقلد المحتذى به سواء كان العلماء العرب القدماء أو العلماء الغربيين، إذا الأصيل هولا الذي يكون نسخة لغيره»⁽³⁾.

إذن لابد على الباحث في عمله أن يأتي بشيء جديد مهما كان الزمان والمكان الذي يعيش فيه، وأن يتبع على التقليد أي التبعية العميماء لأقوال الغير واتخاذها كحقائق لا تقبل الجدل من غير دليل يثبت صحتها، فهذا يؤدي إلى اجتزار المفاهيم مما يتولد عنه الجمود الذي يفتك بالإبداع، ولكن ليس معنى هذا أن ينغلق الباحث على نفسه على حد قول عبد الرحمن الحاج صالح «أن يعيش الإنسان بالاعتماد على ما يصنعه هو وحده أو يرقى به العلم بدون أن يراعي ما ابتكره الآخرون فالعلم أحوج الأشياء إلى التفاعل والتدخل والأخذ بما يأتي به الآخرون»⁽⁴⁾.

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، تقديم شوفي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مونم للنشر، الجزائر، 2007، 8/1.

(2) ينظر: المرجع نفسه، 1/7، 8.

(3) المرجع نفسه، 1/11.

(4) المرجع نفسه، 1/12.

ويورد ذلك بالشرح موقف العالم ذي الأصالة من هذا الأخذ وكيف ينبغي أن يتم، وذلك بعدم الاطمئنان مقدماً وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير، سواء من العرب أو من الغرب، حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان بل يجبره على تقبل أقوال غيره⁽¹⁾، وهذا ما يثبت أن عبد الرحمن الحاج صالح كان صارماً في علمه غير متساهل، فآفة العلم التساهل على حد قوله، فعمل على «غرس الاتجاه العقلي في اللغة بعد تنقیح النقل وظل قواماً على عمله الأكاديمي في أعماله التي ربط فيها بين الدراسات العربية القديمة والحديثة مع الدراسات الغربية»⁽²⁾.

وهذا ما أثبته تكنولوجيا اللغة التي سهر عبد الرحمن الحاج صالح على إنجاجها وتميز بها في أبحاثه فيما يخص الصوتيات فقد صار بالإمكان أن نبرهن على صحة ما قالوه، والأهم من كل ذلك مواصلة العمل الذي ابتدأه هؤلاء العلماء، وننطلق في ذلك من الأقوال الصحيحة، وهكذا نتخلص من التقليد مهما كان، سواء كان تقليد الغربيين في كل ما يقولونه أو التقليد الأعمى لكل ما ذهب إليه السابقون من علمائنا، فنحافظ بذلك على أصالة بحوثنا⁽³⁾.

إذن على الباحث أن يجتهد وأن يتمتع بالأصالة وألا يكون نسخة لغيره، إذ لا بد أن يتحقق ذاته بإبداعه وابتكاره لا بأس أن يسير على خطى العلماء محصاً ومدققاً لتزداد خطاه قناعة وثباتاً، ليبني مفاهيمه على أرضية صلبة لينطلق منها نحو القمة في أبحاثه وهذا ما جُسد في الجهد الصوتي لعبد الرحمن الحاج صالح.

فأعجب بأصالة التراث اللغوي العربي، وخاصة بسيبويه وشيخه الخليل، فكر س عمره في أبحاثه لمعرفة ما كان يقصد الخليل، ولعل إعجابه به يعود إلى

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 1/12.

(2) صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، 2004م، ص: 148.

(3) ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1/267.

عقريته «فالخليل أحد الكبار العباقرة الذين هم مفخرة الحضارة العربية»⁽¹⁾ فعمل على إحياء هذا التراث والتأكد منه من خلال إضفاء الصبغة العلمية عليه أو ما يسمى بتكنولوجيا اللغة.

للخليل نظرة أصيلة فيما يخص الأصوات والنظام الصوتي، فللعرب من المفاهيم في ذلك مالا يوجد إطلاقا في الصوتيات التقليدية الغربية كمفهوم الحركة والسكن (الصوامت والصوائب) ومفهوم حرف المد⁽²⁾، فالصوتيات الخليلية كانت سابقة لأوانها في فكرها ودقتها، وهو ما أثبتته التكنولوجيا الحديثة، «فقد عرف قيمة الدراسات الصوتية، وصلتها باللغة، فرتب الحروف الهجائية على نحو صوتي من الخلق والفهم إلى الشفتين، وبين مواطن إخراج الحروف من حلقة، شجرية، أسنانية، نطعية وذلقية وشفوية، وقد حدد مخرج كل حرف على وجه دقيق، ثم بيان صفاتها وخصائصها، وهو عمل لا ينهاض له إلا المتخصص والباحث الذي يرجو من وراء بحثه ثمرة في دراسة اللغة»⁽³⁾.

فكأنك تحس أن الخليل كان على علم بالجهاز الصوتي وتركيبه وأجزاءه وما اشتمل عليه من أحياز ومدارج فاستطاع أن يحدد مخارج الأصوات⁽⁴⁾ ولعل عبد الرحان الحاج صالح كان في وصفه وتشبيهه للنظام الصوتي الذي تصوره علماء اللغة الأولين دقيقا فمثلا بمصفوفة، «ترتيب المخارج عندهم هو ترتيب لأجناس من الأصوات على المحور الأفقي وكل جنس (في داخل عمود) يتفرع عن

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج 1.

(2) ينظر: عبد الرحان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1 / 225.

(3) حافظ إسماعيل علوى، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009م، نقلًا عن عبد العقار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص:

34.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ص: 10.

(236)

الآخر بزيادة صوت الحركة ثم حرف المد (+مد) ثم اللين (شيء من الجمود) ثم الرخو (جمود أكثر) ثُن بين (رخاوة + مد) ثُم الشديد (جمود مطلق)»⁽¹⁾.

ومن جهوده الصوتية أنه تحدث عن أمور مفصلية في مجده «تعال نحي علم الخليل أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبوه»، فحاول أن يبين من خلاله مميزات هذان العقريين وما لهما من تصور علمي وأدوات تخليلية لا يضاهيها في القيمة العلمية إلا ما ابتكره العلماء في عصرنا هذا «وذلك لا من الناحية اللغوية فقط بل أيضاً من الناحية المنهجية التجريبية منها والنظرية كالإطار التجريبي الفسيولوجي»⁽²⁾، فعمد إلى المشاهدة الدقيقة في ميدان فسيولوجيا الصوت اللغوي فتبين له امتياز العرب بنظرة خاصة بهم كما سبق وذكرنا، لا يوجد مثلها في الصوتيات التي صدرت عن علماء الهند قبلهم وتحصر فيما يسميه العرب الحركة والسكون، فهو شيء لا يوجد مثله في الصوتيات الحديثة⁽³⁾.

إذن على الباحث أن يتأمل جيداً هذا الذي يسميه العرب الحركة والسكون (الحرف المتحرك أو الساكن)، فيما توصلت إليه الصوتيات الحديثة في ميدان التكنولوجيا اللغوية.

النحاة العرب لا ينظرون إلى التسلسل الصوتي في الكلام على أنه مجرد توالي لمقاطع صوتية، وأن كل مقطع وهو أصغر ما يمكن أن ينطق به عندهم، يتكون من مصوت على الأقل أو صامت مع مصوت وغير ذلك، فإنهم لاحظوا أن

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانات العربية، 1/226.

(2) المرجع نفسه، 2/59.

(3) إلا عند سوسيير ومن تبعه فإنه يسمى التحرك (explosive)، والساكن (implosive) وهذا لا يلائم كثيراً بمفهوم المقطع وهذا قل من يلتجأ إلى ذلك من الصوتيين، ينظر: بحوث ودراسات في اللسانات العربية، 2/61.

الكلام مظهرين، مظهر يخص الكلام كأصوات، ومظهر يخص حركاته وكيفية تسلسله أو حدوثه، فيجب ألا يخلط الباحث عندهم بين ما هو راجع إلى الصون ظاهرة تخص السمع، وبين الآليات التي ينبغي عليها تسلسل الكلام فلكل قوانينه الخاصة به، وعلى هذا الأساس ركزوا في تحليلهم على العلاقات الموجودة بين القوة الاندفاعية للحركة المحدثة للصوت، وما يتصف به الصوت اللغوي من قوة وضعف⁽¹⁾.

إذن لهذا السبب قاموا بتسمية الصوت حركة، لأن المقصود منها عند الخليل هو الحركة العضوية الهوائية التي تمكن من إخراج الحرف والانتقال منه إلى حرف آخر، وفي الغالب يرافقه صوت، وللشرح والتفصيل يورد لنا عبد الرحمن الحاج صالح مجموعة من أقوال الرمانى.

القول الأول: «حروف المد واللين قد تباعدت بالخاصية^(*)، عن الحروف الصحاح تباعدا شديدا...، إذ هي من جنس الحركات التي يضطر إلى زيادتها لإمكان النطق بها، وليس ذلك للحروف الصحاح، فلما تباعدت بالخاصية من جميع الحروف الصحاح صارت بمنزلة ما تباعد بالخرج»⁽²⁾.

القول الثاني: «الحروف تتقوم بالحركة على ما يمكن النطق به ولا تتقوم بالحرف من الياء ونحوها ويتوصل بالحركة إلى النطق بالحرف ولا يتوصل بالحرف إلى النطق بالحرف»⁽³⁾.

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، ومحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 64.

(*) الخاصية: الصفة المقابلة للخرج.

(2) المرجع نفسه، 2/ 179.

(3) المرجع نفسه، 2/ 180.

ويقابل حينئذ الحركة بالسكون في هذا القول الثالث، فيقول: «لأن الحركة تمكن من إخراج الحرف* والسكون لا يمكن من ذلك»⁽¹⁾.

ويوضح ذلك أكثر من خلال القول الرابع: «إذا تحرك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر»⁽²⁾.

ومعنى ذلك أن للحركة دور أولي هام وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف ومن ثم دور آخر ملازم للدور الأول ويليه وهو الانتقال من مخرج حرف إلى مخرج حرف آخر.

وبعد عرض عبد الرحمن الحاج صالح لأقوال الرمانى يعقب عليها بقوله: «هذا الذى قاله الرمانى مهم جدا لأن النظرية الصوتية العربية بنيت كلها على هذه الرؤية الحركية، وبذلك نستطيع أن نفهم لماذا سميت الحركة حركة، ونفهم أيضاً الكثير من الظواهر الصوتية»⁽³⁾.

ولا ننس أن هذه الأقوال هامة جداً فهي تفسير لكلام سيبويه والخليل فقد قال سيبويه: «هن (أي الحركات) يلحقن ليوصلن إلى التكلم به»⁽⁴⁾.

ويضيف عبد الرحمن الحاج صالح على ذلك، بأنه لابد من أن نفهم كلام الخليل عندما يقول: «الحروف 28 لكل حرف منها صرف وجرس، فاما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف، وأما الصرف فهو حركة الحرف، أما الألف اللينة فلا صرف لها إنما هي جرس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت صروف الحركات

(*) الحرف: الجامد وحرف المد.

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2/180.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

عليها ضعفت عن احتمالها، واستنابت إلى الهمزة أو الياء أو الواو كقولك: عصابة
عصائب، وكاهل وكواهل...»⁽¹⁾.

وعلى هذا ينبغي أن نفرق بين جرس الحرف، وهو ما يدرك منه بالسمع
وهذا يخص الصوت في حد ذاته وهو هوية الحرف الصوتية السمعية، وقد فسره
بالحركة وهو يخص إحداث الحروف والخروج منه إلى حرف آخر⁽²⁾.

وبعد عرض عبد الرحمن الحاج صالح لهذه المفاهيم خرج بصفوة مما سبق،
أن الخروج من حرف إلى حرف آخر، كما يقول الرمانى، أو الانفصال من حيز إلى
آخر كما يقول من جاء بعده، هي الميزة الجوهرية الحقيقة التي تميز الحرف المتحرك
من الساكن، فإن الحركة في الأول ليست أي حركة عضوية وهوائية بل تلك التي
يرتفع بها العضو وينتقل بها الهواء من موضع إلى موضع آخر، وهذا خلاف الحرف
الساكن الذي يمتنع فيه العضو والهواء معه من الانتقال من الموضع، وعلى هذا
فالحركة في الحرف المتحرك أخص من الحركة العضوية الهوائية⁽³⁾.

إذن الحرف الساكن هو حبس بعد إطلاق، وهو وقف لا يلزم منه الانتقال،
أما الحركة فهي إطلاق لا حركة حبس للعضو والهواء، وللإيضاح يورد لنا مثال
يقوله: «فتحريك العضو والهواء هو أعم من تحريك الحرف لأن تحريك الشفتين في
الواو الجامدة (القابلة للتحريك)، مثلاً قد يحدث في هذا الحرف سواء كان متحركاً
أم ساكن، أما إذا كان متحركاً فإن إطلاق الشفتين أي رفعهما عن الحالة التي كانتا

(1) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 2 / 180.

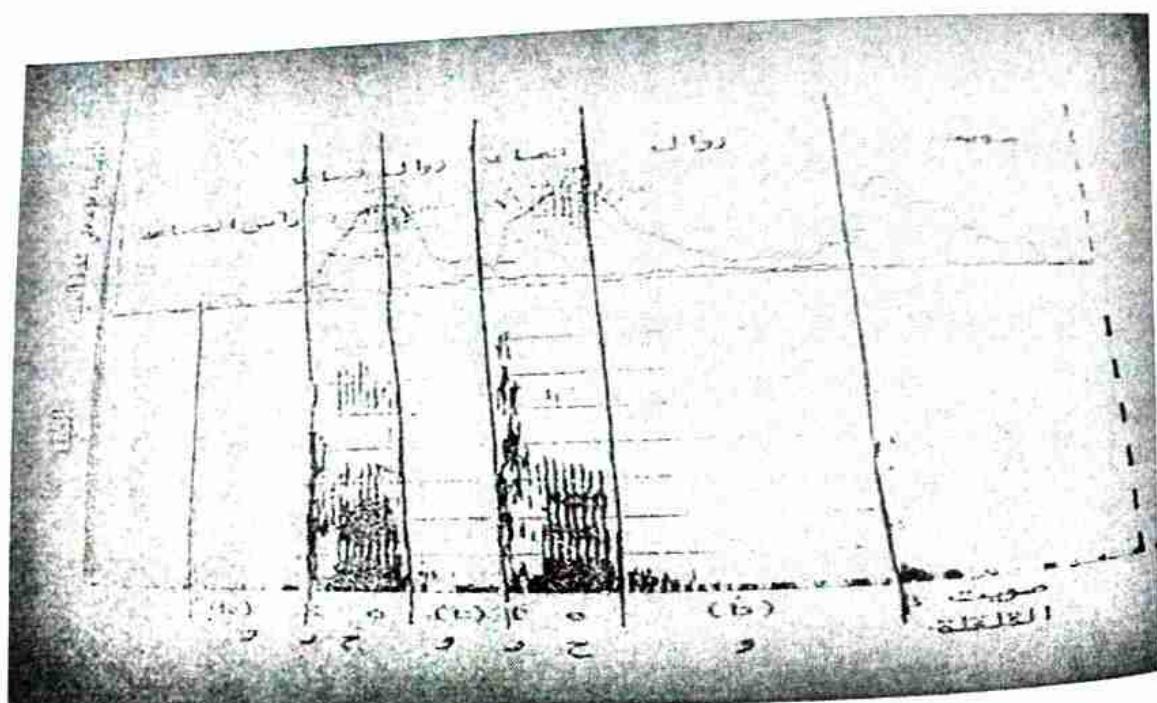
(2)- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3)- المرجع نفسه.

عليها قبل ذلك وهو الانضمام، وأما في التسكين فالوصول إلى هذه الحالة وهو انضمام الشفتين جزئياً⁽¹⁾. الصوريات فضايا ودراسات

إذن انطلاقاً من مفهوم الحركة والسكنى بنى الخليل عروضه، فتفضل
بعقريته إلى توالى المتحرك والساكن أو المتحرك والمتحرك والساكن يحدث منه إيقاع
في الشعر⁽²⁾.

ولعل خير مثال يفسر الحركة أو بالأحرى الفترة الحركية التي يتقبل فيها الناطق من مخرج إلى آخر، وهي في الحقيقة الفترة التي تشغله الحركة أو السكون مع ابتداء حركة وهو التحليل الذبذبي والطيفي لعبارة كتب، فهو مشاهد عينية آنية لكيفية تحرك الحرف وبالتالي الانتقال إلى موضع حرف آخر، وما يحدث خلال هذه الفترة الانتقالية الحركية.



(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 2 / 180 .
 (2)-المراجع نفسه، 65 / 2

المراجع نفسه، 65 / 2

ملاحظات على التحليل الطيفي لكلمة: كتب⁽¹⁾

1- الحركتان ليس فيهما إلا تصاعد القوة ويزول ذلك بزوالها أي بوضع العضو في موضع الحرف الذي يليها، والدليل على ذلك هو الطيف لصوت الحركة فإنه لا تظهر فيه البواني لصوت إلا أثناء حدوث الحركة.

2- كما يبدو في هذا الرسم النبدي: لا تناقض في آخر صوت الحركة وإن كان المنحنى الدال على شدة الصوت متنازل إذ التنازل يحصل بعد انتهاء الحركة والطيف يبين ذلك (في موضع (t) لا أثر لصوت حركة).

إذن عمد عبد الرحمن الحاج صالح إلى إخضاع المتحرك والسكنون للاختبار والكشف عن حقيقتهما الفيزيولوجية والفيزيائية آلياً⁽²⁾، فتبين له أن قوة التلفظ وضعفه مرتبطان أشد الارتباط بتحرك الحرف وتسكينه، كما تصوره العرب وأثبته الباحثون من المختصين بالصوتيات التجريبية بالنسبة إلى أكثر اللغات.

2- الجهر والهمس:

كانت من الصفات الصوتية التي اهتم بها عبد الرحمن الحاج صالح، وسعى إلى الكشف عن الفروق الموجودة بينهما باستعمال التكنولوجيا الحديثة.

«عرف الفرق بين القائم بين الحرف المجهور والحرف المهموس في وجود اهتزاز للأوتار الصوتية، وإحداث صوت حنجري وبالتالي مع الحرف المجهور وعدم وجود ذلك مع المهموس»⁽³⁾ ويؤكد على صحة ذلك مشيراً إلا أنه أشار إلى ذلك

(1)- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 66/2

(2)- للتعارف في فهم التحرك والسكنون في الاختبار، ينظر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 192

193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201.

(3)- المرجع نفسه، ص: 285.

السيرافي في شرحه للكتاب بقوله: «لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر»⁽¹⁾.

وصوت الصدر هو ذلك الصوت الحنجري بدليل مقابلته للنفس، وعلى هذا الأساس يميز بين المجهور والمهموس بوجود صوت الصدر مع المجهور.

وهو ما قال به سيبويه: «أما الحروف المهموسة فكلها تقف عندها مع نفخ لأنهن يخرجن مع النفس لا صوت الصدر»⁽²⁾.

ويفصل في ذلك السيرافي بقوله: «قال سيبويه: إنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن يدخله الصوت الذي يخرج من الصدر... فاما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها»⁽³⁾.

إذن كل الحروف التي تخرج من صوت الصدر نقول عنها أنها مهجورة، وهو الأمر الذي انطلق منه عبد الرحمن الحاج صالح، وحاول أن يبينه بفضل التكنولوجيا الحديثة أن حدوث الصوت الحنجري مع الحروف المجهورة غير كاف لتحقيق التمييز في جميع الأحوال، فقد تتميز عن المهموسة في الكلام المهموس (الوشوша) الذي لا صوت حنجري فيه، لهذا قال سيبويه: «فالمجهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجري الصوت»⁽⁴⁾ ويشبه الرمانى قوة الاعتماد بقوة النقر، وهذا النقر حاصل لا محالة

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص: 285.

(2)-المرجع نفسه، 2 / 62.

(3)-المرجع نفسه، 2 ، 63.

(4)-المرجع نفسه، 1 / 285.

بفضل تعدد الجلدة المخاطية في موضع الحرف وقد قسنا ذلك باللة خاصة (الأغشية المخاطية)، وبين أن التوتر الغشائي زائد في المجهورة على المهموسة⁽¹⁾.

3- الصوتيات وتكنولوجيا الآلات في خدمة اللغة الحديثة:

التمعن والدقة باللحظة والتجربة الصوتية المخبرية، كانت الأساس في أبحاثه الصوتية «وعلى هذا فلا بد من النظر المعن في كل ما يصدر من... النظريات وتحقيقها تحليقا عميقا، والالتفات إلى ما واجه لهذه النظريات من الانتقادات الموضوعية في نفس البلدان التي ظهرت فيها وفي غيرها، وقد حاول الباحث أن يبين أن التراث العلمي اللغوي الأصيل ما أبدعه الأولون ثري بالأفكار الأصيلة والمناهج النافعة والتحليلات العميقة، وهي لا تقل قيمة مما جاءت به الدراسات الحديثة، وذلك مثل المفاهيم العربية في الصوتيات فقد تبين له بالاختبار وبالاستعانة بالتقنيات الحديثة أن أغلبها صحيح»⁽²⁾.

فعلم الطبيعة (الفيزياء) استطاع أن يفرض علم اللغة أبعادا من أساليبه وتجاربه، وآلات مبتكرة من أدواته وأجهزته، استفاد منها اللغويون وأفادوا، والمسوغ الذي سوّغ علم اللغة أن يفترض من علم الفيزياء هو أن الفيزياء فرعا يدرس الأصوات⁽³⁾.

إذن أحدث علم الأصوات الفيزيائي ثورة هائلة في الدرس الصوتي، باستخدام الآلات في تحليل الصوت «فمن المعروف أن الصوت هو اضطراب اهتزازي للهواء، كما قال علماؤنا قديما، إنه تردد الهواء أو كيفية تعرض الهواء عند

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، 1/185.

(2)-ينظر: صالح بلعيد، مقاربات منهجية، ص: 148.

(3)-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طлас، دمشق، الطبعة الثانية، 2000م، ص: 33.
(244)

ومن هذه الآلات الفسيولوجية الكيموجراف^(*) «التي تسجل التحركات النطقية المختلفة للسان والشفتين والطبق واللين والنفس، كما أنه بمساعدة غشاء من المطاط، وبعض الكبسولات أمكن عن طرق الكلام أمام قطعة الفم mouth piece الحصول على رسم يوضح التقلبات في تيار الهواء، وبالتالي يحدد الفرق الفسيولوجي بين أصوات العلة، والأصوات الاحتكاكية والانفعجارية من ناحية تيار الهواء»⁽²⁾ وقد طورت هذه الآلة، وتوصلوا الآن إلى تبديل الريشات وأسطوانة بالأشعة الكاثودية في آلة نسمتها المهزاز Oscillograph، «وفائدتها عظيمة إذ لا يحدث احتكاك في رسم الذبذبات فتكون بذلك الرسوم أدق بكثير ويمكن المراج والمهزاز من تحليل الكلام إلى مكوناته الصوتية، وتتبع تحولاتها في أثناء حدوثها وفي آن واحد أي تمكننا من أن نشاهد تحولات الصوت الحنجري، مع تحولات صوت الخياشيم والصوت الصادر من الفم وكذلك ضغط الهواء، وكل ذلك في آن واحد فنستطيع أن نتبين بدقة متناهية اقتران هذه الأحداث الصوتية بعضها مع بعض في حدوثها (أو عدم اقترانها)»⁽³⁾.

وبالتالي النتائج الاستقرائية المتوصل إليها تكون جد دقة مبنية على الملاحظة العينية والتجربة، ومن ذلك «التفاعل الذي يحدث بسبب تأثير المخارج بعضها على بعض أثناء تسلسلها، وهذا مهم جدا، فهو يفسر على أساس اختباري

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1 / 270.

(*)-عبارة عن أسطوانة تدور على نفسها وعدد من اللاقطات التي تلتقط الصوت وتحويله إلى ريشات ترسم تلك الاهتزازات على الأسطوانة.

(2)-أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1998م، ص: 58.

(3)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 1 / 271.

محض ظواهر التقريب الصوتي، الإدغام والإبدال والإعلال على حد تعبير
علماناً»⁽¹⁾.

هذا فيما يخص الجانب الصوتي والإحداثي للكلام من تحليل وتركيب وإدراك، أما فيما يخص الفحص الفيزيولوجي لرؤية ما يحدث في داخل الحنجرة وداخل تجاويف الجهاز الصوتي الإنساني، كمجواف الحنجرة *Laryngoscope* والسينما الم gioافية وهي التي تمكننا بالأشعة السينية أن نبصر ما يحدث في داخل هذه التجاويف من الحركات العضوية من ارتفاع وانخفاض محدثة للأصوات اللغوية* وكذلك الآلات التي تقيس وترسم حركات الأوتار الصوتية وسكناتها وخفقاتها، والتي تقيس ضغط الهواء أو الطاقة العضلية في الحركة العضوية⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن الحاج صالح: «وقد استعملنا في مخبرنا في معهد العلوم اللسانية بجامعة الجزائر آلة لقياس تمدد الأغشية المخاطية عند نطقنا بالحروف المهموسة والمحورة»⁽³⁾.

(1)-عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، ص:1/271.

(*)-كتبيان أن أقصى اللسان يذهب نحو مؤخر الفم (وهذا معنى الارتفاع/ مقابل الانخفاض والاستفال) ونحو الحلق (وهو سبب التفخيم) مع بقاء طرف اللسان في موضع الحرف غير المفخم (س+تفخيم مثلا=ص) وهذا يسبب انطباق اللسان أي شيء مثل الشيء وقد لاحظ ذلك ابن سينا، إذ قال ويحدث في اللسان كالتعير وذلك في حرف الصاد.

(2)-المراجع نفسه، ص: 277.

(3)-المراجع نفسه، ص، ن.

نوه هنا بجهودات عبد الرحمن الحاج صالح الذي استطاع بمساعدة أحد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذاك) أن ينشئ معهداً كبيراً للعلوم اللسانية والصوتية بالجزائر في سنة 1966م، جهزه بأحدث الأجهزة، وبعد أول خبر صوتي في إفريقيا استطاع من خلاله أن يواصل بحوثه بفضل المختبرات الصوتية المتقدمة الموجودة فيه¹ فعمل الأستاذ الدؤوب في هذا المخبر وسهره عليه جعله يبدو كأنه قطعة من أوروبا.

وإقراراً بالحق، ومن باب عزو الفضل إلى ذويه يحسن بنا هنا أن ننوه بالبحوث الصوتية المخبرية التي اضطلع بها أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح، وعرض فيها على محك هذه الآلات ما جاء في كتب علمائنا الأقدمين، ولا سيما ما رواه سيبويه عن شيخه الخليل بن أحمد في مخارج الحروف وصفاتها. فتبين له أن كثيراً من آرائهم بلغت من الحصافة، وأن غرائزهم أوتيت من الرهافة ما جعل نتائجهم تقارب النتائج التي توصلت إليها الآلات⁽²⁾.

إذن بهذه الآلات الحديثة أكدت الحقائق التي توصلت إليها فطاحلة وعباكرة التراث اللغوي من نتائج؛ بفضل جهود أستاذنا وحنكته وعمله الدؤوب من خلال أبحاثه اللغوية التي حرص فيها على ضرورة ربط الصوتيات بالтехнологيا الحديثة لإعادة بعث التراث اللغوي الخليلي في حلقة أصيلة حديثة.

(1)-ينظر: ترجمة البروفسور الجزائري، عبد الرحمن الحاج صالح، أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد عليه رحمة الله، الصادر يوم: الموقع الإلكتروني: www.shamela.dz.com

(2)-غازي مختار طليمات، في علم اللغة، ص: 34.

وللننهوض بالأبحاث الصوتية وربطها بالتقنولوجيا وجعلها أداة طبعة خدمة لغتنا العربية ينبغي انتهاج استراتيجية واضحة المعالم لنكمل ما ابتدأه أستاذنا ونسير على خطاه لإتمام مسيرته؛ لنجعلها قادرة على الانفتاح والاستمرار ومواكبة التطور ولممارستها فعليا في المخابر بالجامعات لنضمن لها آفاقا في المستقبل ومن ذلك:

- وضع استراتيجية جزائرية عربية موحدة تتضاد في بها الجهود اللغوية وكل الإمكانيات العربية لتحقيق أهداف موحدة وبدون هذه الاستراتيجية الموحدة لن تنجح أي دولة بمفردها في تحقيق شيء له قيمة في هذا المجال.

- في إطار هذه الاستراتيجية الموحدة يجب إنشاء مراكز موحدة متعددة الجوانب والتخصصات للبحث العلمي وذلك بهدف خلق هيئات علمية مدربة على أعلى مستوى في الوطن العربي بصناعة العلم والتقنولوجيا وفق لغتها وإمكانياتها الذاتية وموادها الخام المحلية وحسب احتياجاتها الفعلية على أن يشرف على هذه المراكز علماء العرب سواء من العقول العربية المهاجرة أو من العلماء الموجودين على أرض الوطن، فنحن بحاجة إلى تكافل كل الجهود.

- إنشاء المراكز المتخصصة للتعريب والترجمة العلمية في كل فروع العلم وخاصة العلوم الطبيعية والرياضية لإعادة التوازن المفقود في مسألة التعريب بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية⁽¹⁾.

(1) ينظر: مصطفى النشار، ضد العولمة، دار قباء، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م، ص: 235.

وجعل هذه الأخيرة في خدمة علم اللغة ونظامها الصوتي أي استغلال كل ما توصلت إليه هذه العلوم بأكياتها وألاتها وجعل النظريات التي توصل إليها علماً في مفك الاختبار.

- العمل على إعادة العقول العلمية المهاجرة ذات السمعة العلمية إلى وطنها العربي وذلك للاستفادة من قدراتهم وخبراتهم الواسعة التي اكتسبوها من احتكاكهم المباشر بـمراكز البحث العلمي المتقدمة في الغرب.

- إدخال مواد تتلاءم وتتوافق مع الاستراتيجية التكنولوجية كالمحرص على إدخال الاتجاه التجريبي الرياضي - الذي هو ليس بمحدث على علماء اللغة الذين سبقو زمانهم واتصفوا به في أبحاثهم - والمقاييس العلمية الدقيقة كمقاييس المشاهدة والتحليل، فغياب مثل هذه المواد يؤدي بالباحث إلى السلوك الناقص والحكم على الشيء بدون الرجوع إلى الواقع، لذلك نسعى إلى استنباتها في نظام لغتنا لتكون لغة التقدم العلمي والتكنولوجي ومن ثم التركيز على تنمية القدرات العلمية لطلاب الجامعات بهدف بث روح العلم والتفكير العلمي المنهجي والمعرفة بمختلف آلاته وكيفية استخدامها في حياته العلمية من شأنها أن تدفع عجلة البحث العلمي والوصول إلى درجة الإبداع.

- التخلص من اعتباطية العمل عند الكثير من اللغويين وعدم خصوصه لضوابط علمية مقتنة وعدم الاستفادة من معطيات الاختبار في العلوم اللسانية الحديثة ومنهجية العلوم التجريبية.

- تشجيع الباحثين على الإقبال على قراءة التراث اللغوي وإعادة الاعتبار لما أبدعه العلماء الأولون باستثمار النظرية اللغوية العربية الأصيلة، فـ تكتشف بذرة لنظرية جديدة جذورها عريقة.

- الحرص على تزويد كل الجامعات بمخابر صوتية مجهزة بكامل الآلات يشرف عليها أهل الاختصاص مع تقنيين متخصصين، لتكون عملية التعلم النظري مصاحبة للتطبيق الميداني ولتسهيل عملية البحث على الباحثين في هذا المجال.

كل ذلك من أجل خلق بيئة مواتية بين خصائص لغتنا العربية وبين خصائص العلمية-التكنولوجية، لذلك ينبغي تضافر كل الجهود والخصصات اللغوية والعلمية والتقنية للعمل على دراسة المفاهيم اللغوية العربية والتفرغ والانكباب عليها وجعلها تحت مفهوم الاختبار بالآلات، مع ضرورة الحرص على التكيف العميق لمنهجية البحث والحرص على الملاحظة واستقراء الظواهر من جهة واستخدام الوسائل العقلية من جهة أخرى حتى تصير نتائجنا أكثر دقة وموضوعية، فدعوتي إلى الباحثين أن نواصل خوض غمار البحث العلمي بصفة عامة وفي الدرس الصوتي العربي بصفة خاصة وعلى أعيننا نظارات من التمجيد والتدقيق وألا نكون نسخة لغيرنا، حتى نتمكن من مواصلة ما ابتدأه أبو اللسانيات الجزائري في إدخال التكنولوجيا حتى نتمكن من التأصيل لنظرية صوتية عربية تكنولوجية بحثة قوامها التجديد والإبداع.

- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب القاهرة، 1998م.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج 1، دون طبعة، دت.
- حافظ إسماعيل علوى، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.
- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، مطبعة دار هومة، الجزائر، دون طبعة، 2004م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، تقديم شوقي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج 1، 2007م.
- عبد الرحمن الحاج صالح، تقديم شوقي ضيف، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، ج 2، 2007م.
- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثانية، 2000م.
- محمد خان، الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في بعث التراث اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 05، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، جوان 2009م.
- مصطفى النشار، ضد العولمة، دار قباء، القاهرة، الطبعة الثانية، 2001م.
- ترجمة البروفسور الجزائري، عبد الرحمن الحاج صالح، أبو اللسانيات والرائد في لغة الضاد عليه رحمة الله، الصادر يوم: الأحد 15

التحليل الأكoustيكي المخبري
للسُّوقُ اللُّغويِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

التحليل الأكoustيكي المخبري للصوت المفوي في القرآن الكريم

د. راضية بن عربة

جامعة حسية بن بو علي/شلف.

الملخص: اهتم القراء - رضوان الله عليهم - اهتماماً واضحاً بالقرآن الكريم، وذلك بدراسةه وتتبع ظواهره اللغوية ولاسيما الصوتية منها، وعلى أساسها قام «علم القراءات».

الأصوات». وما لا شك فيه أن جل علوم العرب قد نشأت وترعرعت في ظلال القرآن الكريم الذي أحدث ثورة كبيرة قلبت الكثير من المفاهيم والعقليات السائدة قبله، نحفل بهم وأولى الأرباب من أجل البحث والتنقيب والوصول إلى الحقائق في جمع الميادين.

جَمِيعَ الْمِيَادِينَ .
وَمَا لَا شَكَّ فِيهِ أَيْضًا أَنَّ الْمَسْتَوِيَ الصَّوْتِيَ يَعْتَبِرُ عَمْدَةَ الْدِرَاسَاتِ الْلُّغَوِيَّةِ
وَأَسَاسَ قِيَامِهَا لِأَنَّهُ يَتَنَاهُولُ لِلْلُّغَةِ فِي أَهْمَ عَنَاصِرِهَا، وَفِي جُوَهْرِهَا الْمُحْسُوسِ وَهُوَ
يَعْتَبِرُ جَلَّ عُلَمَاءِ الْلُّغَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا عَلَى حَدِّ الْلُّغَةِ بِأَنَّهَا أَصْوَاتٌ
يَعْبُرُ بِهَا كُلُّ قَوْمٍ عَنْ أَغْرَاضِهِمْ)، فَكَانَتْ ثِمَارُ هَذِهِ الْدِرَاسَةِ الصَّوْتِيَّةِ تَسْتَغْلِلُ
بِمَلَامِحِهَا وَأَثْارِهَا فِيهِمَا .

ويستند إليها لقيام الدراسة الصرفية وال نحوية بحسبى . وعلى هذا الأساس اهتمت الدراسات القديمية بموضوع السلامة النطقية والأدائية ولاسيما في قراءة القرآن الكريم، فهي تعدّ نقطة الانطلاق واللبنة الأساسية، حيث ساهمت بشكل كبير في إثراء الدرس الصوتي الحديث.

فاللغويون القدماء استطاعوا بفضل ذهانهم وفطنتهم ودقة ملاحظتهم أن يحدّدوا طبيعة الأصوات وخارجها وصفاتها.

أما اللغويون المحدثون اعتمدوا على الدراسة الصوتية الأكoustيكية في التحليل الصوتي الآلي للإثبات العلمي التوصيفي لما قدمه الأوّلون من وصف شامل للصوت اللغوي ولاسيما في القرآن الكريم.

وعلم الأصوات الأكoustيكي علم حديث النشأة، يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي والسمعي هو فرع من فروع الأصوات يساعد علماء الأصوات على معرفة الأصوات وطبيعتها بالاستعانة بالفيزياء ووسائل الاتصال الصوتي، أطلق مصطلح *الفوئيکا الأكoustيكية* على العلم الذي يدرس الصوت بين فم المتكلم وأذن السامع، ويعدّ فرعاً من فروع الفيزياء (Physique)، لأنّه يدرس الجانب المادي أو الفيزيائي من الصوت الإنساني، إلى جانب ذلك يدرس هذا العلم مصدر الصوت وذبذبته، الموجات الصوتية أو التركيب الطيفي للأصوات الكلامية.

إشكالية البحث:

من هنا تبادر لنا طرح الإشكال التالي:

- ✓ - ما المقصود بالتحليل الأكoustيكي، وما هي أدواته الإجرائية؟.
- ✓ - وإلى أيّ مدى يمكن إسقاط الدراسة المخبرية على الدراسة التراثية، في تحديد القيم التميّزية للصوت اللغوي في الإعجاز القرآني؟.

والمدف من وراء بحثنا هو:

- ـ تطبيق البرنامج الصوتي الآلي (S A) في التحليل الأكoustيكي لبعض الظواهر الصوتية في القرآن الكريم للتمييز بين المفارق الأدائية بين المجرى الذي يمثل المرجعية الثابتة والمبتدئ الذي يمثل العينة المتغيرة.
- ـ إنشاء برامج آلية لتيسير تعلم القراءات القرآنية عن طريق الشراكة بين مجيد القراءات ذو الاختصاص التقني (الإلكترونيات والإعلام الآلي).

منهجية البحث:

اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التوصيفي القائم على آليات وصف الظواهر الصوتية وتوصيفها أكoustيكيًا وتحليلها مخبريا وإعادة تركيبها إحصائيًا.

النتائج المتوقعة:

- ❖ حصر الظواهر الصوتية لسورة الإخلاص بصوت المجرى محمد ياسين المصري برواية ورش وتحليلها أكoustيكيًا.
- ❖ يفيد التحليل الصوتي للعينات في تعين الصفات الفيزيائية للصوات والصوات ب مختلف أنواعها.
- ❖ إذا ما خُزن صوت أنموذج لقارئ ما وكان هذا الأنموذج وافياً وقطع إلى أجزاء مناسبة للدراسة، فإنه بالإمكان إعادة تركيب هذه الأجزاء ومعالجتها آلياً، وذلك لتقييمها وتقويمها.
- ❖ محاولة وضع أنموذج صوتي (phonétique model) يتكون من توصيف صوتي دقيق لمخرج الظاهرة الصوتية.

الصعوبات:

وأمام الصعوبات التي اعترضتني في إعداد هذا البحث، فأذكر منها:

❖ أولاً: التعامل مع النص القرآني لابد فيه من الحبطة والخذل فالخطأ فيه مكلف.

❖ ثانياً: إن البحث في عالم الأرقام والإلكترونيات ليس بالأمر الممْنُ نظراً لطبيعة تخصصي.

1/ ماهية الصوت اللغوي:

تعددت تعاريف الصوت فجاء في التعريفات: الصوت كيفية قائمة بالهواء يحملها إلى الصمام ⁽¹⁾، فالأصل إذن في الصوت هو توج هواء النفس الناتج عن قلع أو قرع.

والصوت ظاهرة طبيعية، وشكل من أشكال الطاقة، وهو يستلزم وجود جسم في حالة اهتزاز أو تذبذب، وهذه الاهتزازات أو التذبذبات تنتقل عبر وسط معين حتى تصل إلى أذن الإنسان ⁽²⁾. وفرق العلماء بين نوعين من الأصوات:

1- النوع الأول: هو الصوت الطبيعي؛ يصدر من ظواهر الطبيعة وموجوداتها.

2- النوع الثاني: وهو ما يصدر عن الإنسان دون غيره، فالجهاز النطقي للإنسان قادر على إنتاج أصوات كثيرة؛ فالآصوات الصادرة عنه تكون ذات معنى، فتنتقل رسالة محددة من عقل إنسان إلى آخر ⁽³⁾.

(2) انظر: أسس اللغة، ماريوباي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ليبيا، جامعة طرابلس، د ط، 1973، ص:

.38

(3) ينظر: المرجع نفسه والصفحة، وينظر المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة، صلاح الدين صالح الحسيني، سوريا، دار الإتحاد العربي، الطبعة الأولى، 1971م، ص: 22 . وينظر: دراسات في علم الأصوات - صبري المتولي، القاهرة، كلية زهراء الشرق للنشر، ط 1، 2006 م، ص: 41 .

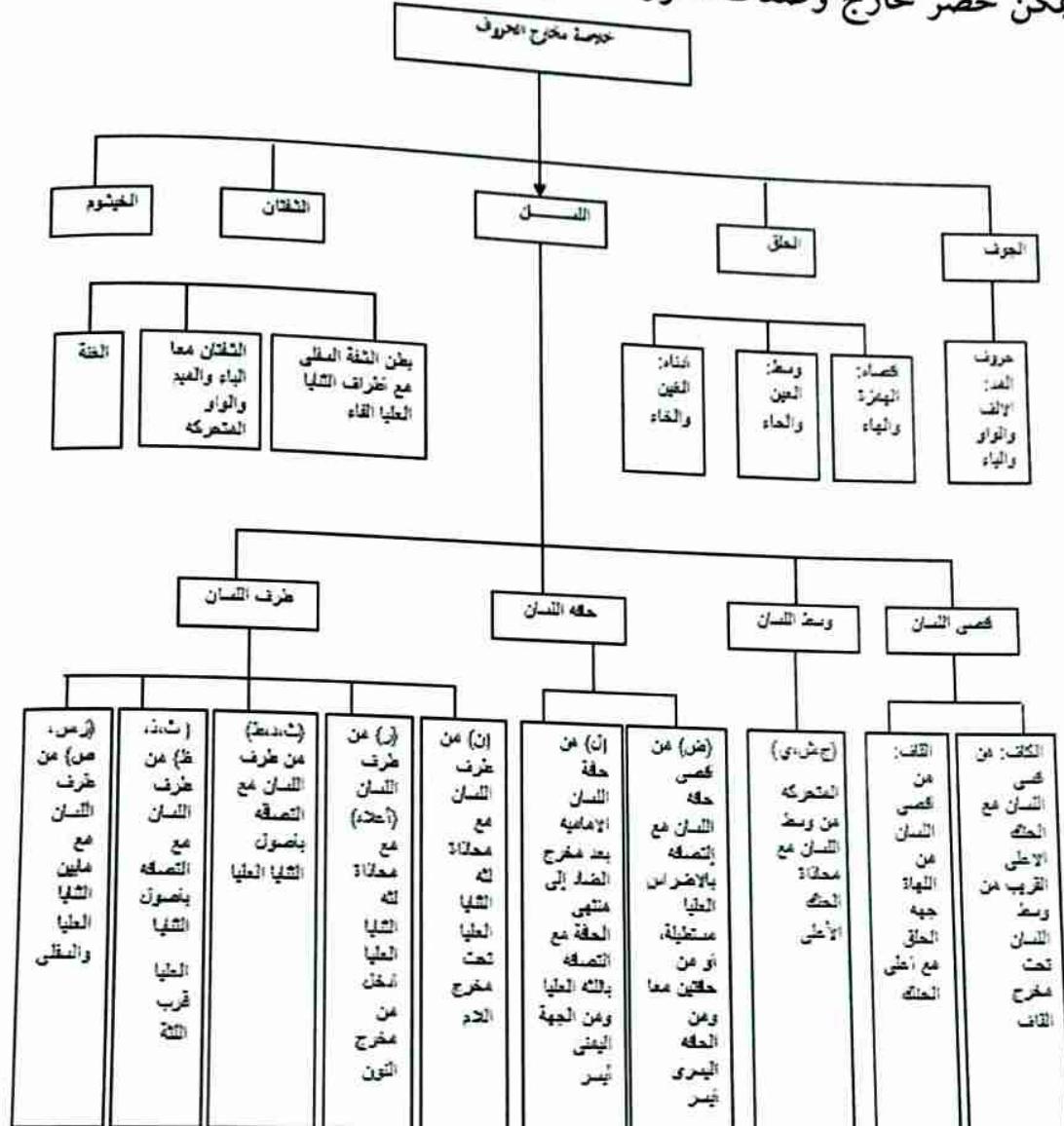
الصوت بوصفه ظاهرة فيزيائية في الفصل الأول، أما الفصل الثاني فنتكلّم عن حدوث الأصوات اللغوية، وفي الفصل الثالث نتكلّم عن تshireع الخنجرة واللسان⁽⁴⁾، وفي الفصل الرابع تحدث عن صفات وخارج أصوات العربية، وميّز فيها بين الصاتات والصاتات، أما السادس فخصّصه للحروف الشبيهة⁽⁵⁾.

حيث أصبحت دراسة الأصوات علمًا مستقلاً بذاته، له أهمية بين العلوم الأخرى، لكن تاريخه ليس بالأمر الهين على العكس معظم العلوم، فعلم الأصوات لم يظهر كعلم مستقل، ولم تظهر كتب متخصصة تناولت تاريخ هذا العلم، ومع ذلك كان للعرب القدامى جهود عظيمة في الدرس اللغوي تنمّ عن فهم مبكر ودقيق لطبيعة الدرس اللغوي.

⁽⁴⁾ رسالة أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا - تلح: محمد حسان الطبان وبخي مير علي، سوريا، دمشق ندار الفكر، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط 1، 1983م، ص: 65.

⁽⁵⁾ المصدر نفسه، ص: 136.

2/ مخارج وصفات الحروف العربية:
يمكن حصر مخارج وصفات الحروف العربية فيما يلي⁽¹⁾:



⁽¹⁾ ينظر: الظواهر الصوتية في قراءة نافع - أطروحة دكتورا علوم - راضية بن عربية - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر 2011/2012 من ص: 109 إلى ص: 113.

صفات الحروف

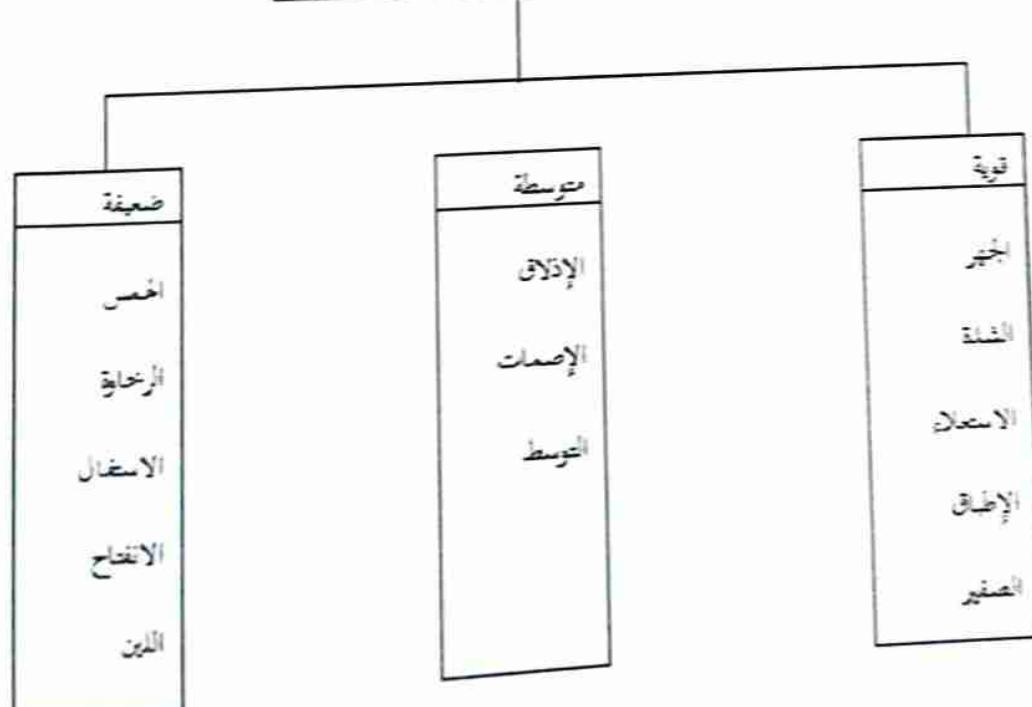
صفات لها ضد:

الصلة						
ضداتها		معناد	الضد	حروفها	معنادها	الصلة
حروفه	بقية حروف الهجاء	اعتلان النثر	الجهير	فتحته شخص سكت	جييان النفس	1-الهمس
لن عذر		اعتلان الصوت	أ-الوسط	أجد قبط كيت	انجاس الصوت	2-الشدة
ماعلا حروف الشدة والوسط من حروف الهجاء		جييان الصوت	ب-الرخاوة			
بقية حروف الهجاء	بقية حروف الهجاء	الانخفاض بالحرف إلى قاع الفم	الاستفال	خص ضغط قظ	الارتفاع بالحرف إلى أعلى الحنك	3-الاستغاء
بقية حروف الهجاء	تيجافي في اللسان عن أعلى الحنك	الافتتاح	عن عن ط ط	الحصار الصوت في أعلى الحنك		4-الإطباقي
بقية حروف الهجاء	تقل وصعوبة حال النطق بالحرف	الإصمات	فر من لب	خفة وسهولة حال النطق بالحرف		5-الإذلاق

صفات لها صد:

الصفة	معناها	حرروفها
1 - الصفير	صوت زائد	ص، ز، س
2 - التقلقة	نبرة قوية	قطب جد
3 - الللن	السهولة وعدم الكثافة	و، ي
4 - الانحراف	الميل بالحرف إلى طرف اللسان	ل، ر
5 - التكرار	ارتفاع طرف اللسان بالراء	ر
6 - الشثي	انتشار الهواء في المهم عند العطق بالثين	ش
7 - الاستئناف	ارتفاع الصوت بالضد	ض

جلوس العذاب من حيث القوة والضعف



جلول الحروف من حيث القوة والضعف

أضد	ضعف	متوسط	قوى	أقوى
أ	ت	ء	ب	ط
ث	خ	غ	ج	
هـ	ذ	لـ	دـ	
فـ	سـ	مـ	رـ	
حـ	شـ	نـ	صـ	
وـ، يـ (المدitan)	زـ		ظـ	

3/ الصوت اللغوي والقرآن الكريم:

أشهب اللغويون وأئمة القراءات في الحديث عن العلاقة بين القرآن الكريم وعلم الأصوات، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلقن القارئ إلى جانب اللفظ أصوات اللغة المختلفة، لتعود اللغة العربية على ألسنة الناطقين بها سليمة كما ينطقها الأولون وكما نزل بها القرآن الكريم (فَرَأَاهَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ) ⁽¹⁾. حيث اتخذت المباحث الصوتية عند العرب القرآن أساساً لتطبعاتها، وآياته مضمراً لاستلهام نتائجها، وهي حينما تمازج بين الأصوات واللغة، وتقارب بين اللغة والفكر، فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة

(1) سورة الزمر، الآية: 28.

القرآن الكريم، فالقرآن كتاب هداية وتشريع لا شك في هذا، ولكنه من جانب لغوي كتاب العربية الخالد، يحرس لسانها، ويقوم أود بيانها، فهي محفوظة به⁽¹⁾.

ورصد أية ظاهرة لغوية يعني العناية باللغة ذاتها، ويتوجه إلى ترصين دعائمها من الأصل، لأن الأصوات بانضمام بعضها إلى بعض تشكل مفردات تلك اللغة، والمفردات وحدها تمثل معجمها، وبتأليفها تمثل الكلام في تلك اللغة، والقدرة على تناسق هذا الكلام وتالفة، من مهمة الأصوات في تناسقها وتالفها، وتنافر الكلمات وتهافتها قد يعود على الأصوات في قرب مخارجها أو تباعدتها، أو في طبيعة تركيبها وتماسها، أو من تداخل مقاطعها وتضامنها⁽²⁾.

نستنتج أن الهدف والدافع الديني كان الأساس لانطلاق الدراسة الصوتية عند العرب.

4/ علم الأصوات الأكoustيكي:

علم الأصوات الأكoustيكي علم حديث النشأة، يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي والسمعي هو فرع من فروع الأصوات ولو لا تقدم العلوم المختلفة بفروعها لم يكن موجوداً، مما ساعد علماء الأصوات على معرفة الأصوات وطبيعتها بالاستعانة بالفيزياء ووسائل الاتصال الصوتي، أطلق مصطلح الفوئيaka الأكoustيكي على العلم الذي يدرس الصوت بين فم المتكلم وأذن السامع، وبعد فرعاً من فروع الفيزياء (Physique)، لأنه يدرس الجانب المادي أو الفيزيائي من الصوت الإنساني، كما أن لكل عملية مؤلفة من متكلم ينتاج الأصوات ومن متلق يستقبلها، والمسافة بينهما هي مجال انتقال الصوت، أما مجال الصوت في الحالات

(1) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن - محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، دون طبعة، دت، ص: 73.

(2) ينظر: المرجع نفسه ص: 74.

الطبيعة هو الماء، إلى جانب ذلك يدرس هذا العلم مصدر الصوت وذبذبته، الموجات الصوتية أو التركيب الطيفي للأصوات الكلامية. وقد استطاع هذا العلم بوسائله أن يقوم بـ⁽¹⁾:

- ✓ تأيد بعض الحقائق التي تم التوصل إليها بالطرق التقليدية، وتأيد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق.
- ✓ تعديل مناهج الدرس وطريقه، وتغيير ملحوظ في آرائهم وانطباعاتهم السابقة عن الأصوات.

5/ المعالجة الآلية للصوت اللغوي في القرآن الكريم - سورة الإخلاص أنموذجًا - :

مراحل معالجة الصوت اللغوي:

بــ الصوت أثناء معالجته آلية بــ مرحلتين أساسيتين هما⁽²⁾:

ـ مرحلة ما قبل المعالجة: تتم خلالها عدة عمليات:

1. الالتقاط (Acquisition): يتم التقاط الموجة الصوتية ليتم تحويلها إلى شكل قابل للتخزين (قرص - شريك...) ويكون الصوت أثناء هذه العملية في شكل موجة تحمل قيمًا تماثلية.

2. الترشيح (filtrage): وهي عملية تصفية الصوت وعزله عن المحدث، ولوضع قاعدة صوتية خاصة به ويكون الصوت أثناء هذه العملية في شكل موجات تحمل قيمًا تماثلية.

(1) ينظر: نحو تأصيل للعلم الأكoustيكي في الدرس الصوتي الحديث- زين العابدين سليمان - على الرابط الإلكتروني: <https://phonetics-acoustics.blogspot.com> بتاريخ: 31/05/2018

(2) Cours de phonétique acoustique- E. Emerit-Société nation ale d'édition-Alger- 1977-p 85.

3- التكميم (Quantification): يتم فيها تحديد كمية الصوت، تساعد هذه العملية على تحسين حيوية الإشارة الصوتية، وذلك لإمكانية القيام بمعالجات رقمية دون تخفيض الإشارة الصوتية⁽¹⁾.

4- التقطيع (L'échantillonnage): الإشارة الصوتية غالباً ما تكون مستمرة، وبذلك تقطع إلى عينات للدراسة.

II- مرحلة ما بعد المعالجة:

بعد معالجة الصوت عن طريق البرنامج الخاص (S. P) يتم ما يلي:

1. التصنيف (Classification): يتم خلاها تصنيف العينة الصوتية.

2. التعرف (Reconnaissance): أثناء هذه العملية يتعرف الكمبيوتر على العينة الصوتية ويتم ذلك بعدها معالجتها آلياً. وبعد تحويلها إلى قيم رقمية عن طريق لبرنامج ويعرضه في شكل صور طيفية متعددة الألوان والدرجات مزودة بمعطيات.

3. التحويل وأخذ القرار: يقوم الكمبيوتر بتحويل العينات من قيم رقمية إلى قيم ثنائية ليستطيع المعالج اللغوي الحاسوبي فهمها، وضبط النتيجة وأخذ القرار (prix de décision).

(2) هناك بعض الإشارات:

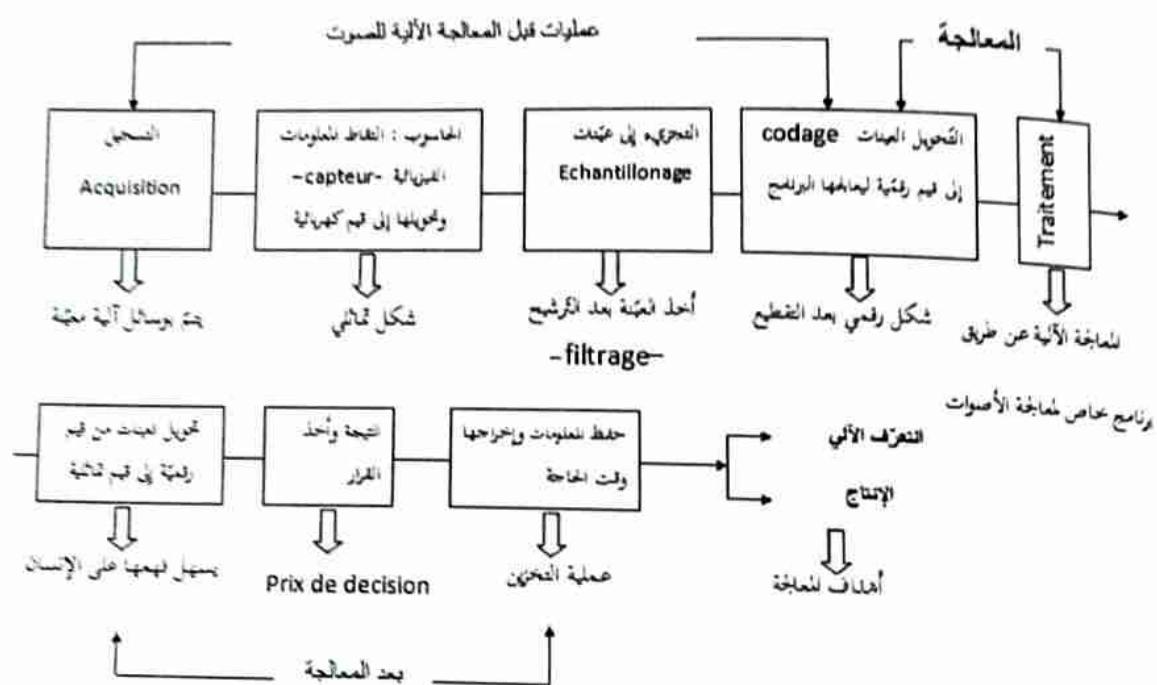
Informatique graphique _méthodes et modèles _Bernard Peroche Djamchid Ghazanfarpour _Dominique Mechelucci _Marc Rolens _Edition Hermes _Paris _France _1997 _P 20

وينظر: بسام البركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، مركز الإناء القومي، لبنان، بيروت، د. ط، 1988 م، ص: 45.

4. حفظ المعلومات: يتم حفظ المعلومات المستنيرة خلال المعالجة الآلية ملف وإخراجها وقت الحاجة، وتسمى هذه العملية أيضاً بـ: عملية التخزين.

طريقة معالجة الصوت:

وتم معالجة الصوت عن طريق السلسلة الفيزيائية⁽¹⁾:



فهذه السلسلة الفيزيائية في معالجة الصوت آلية تعتبر همزة وصل بين الحاسوبي (Linguist) واللسانوي (informaticien)⁽²⁾.

(1) ينظر: راضية بن عربية، الظواهر الصوتية في قراءة نافع، أطروحة دكتوراً علوم، جامعة أبي بكر بلقايد، 2012/2011 ص: 329.

(2) هناك بعض الإشارات في:

Informatique graphique – méthodes et modèles – Bernard Péroche Djamchid Ghazanfarpour – Dominique Michelucci- Marc Rolens- Edition Hevmes- Paris – France: 1997. p: 20.

حيث تتضافر الجهود بينهما وذلك لخدمة اللغة عامة واللغة العربية بصفة خاصة.

الدراسة التطبيقية والمخبرية لسورة الإخلاص.

1. تحديد العينات الصوتية:

يتم تحديد العينات الصوتية باعتبار كيفية القراءة القرآنية وذلك باتباع قراءة نافع وقائلون من مد وإدغام وإظهار وإخفاء، وتنوين، ووقف، وإمالة، ونقل، وقلب، وإيدال... الخ.

ثم تم تسجيل العينات المطلوبة باتباع المراحل التالية:

1. تسجيل العينة الصوتية كما هي في واقعها اللغوي المستعمل والعادي.

2. تسجيل العينة الصوتية كما هي مقرؤة عن الإمام نافع بروايتها ورش وقائلون. باعتبارها المرجعية الثابتة والأصل يقاس عليها ما هو متغير من الواقع اللغوي في تلاوة القرآن الكريم.

3. تحويل التسجيل المسموع في القرص اللين السمعي (CD-ROM Audio) إلى ملف صوتي خاص يدعى (Mode Wave) المستخدم للتحليل الصوتي (S. P.).

2. استخدام الرموز أثناء التحليل:

-الرسم الخطّي لبعض الظواهر الصوتية في المصحف الشريف⁽¹⁾.

2. الوقف: (ص).

3. الإقلاب: (م).

4. الإدغام: (ـ).

(1) ينظر: المصحف الشريف، كلمات القرآن: تفسير وبيان – برواية ورش عن نافع، الخطاط: عثمان طه، سوريا دمشق، دار المعرفة، مطبعة الثريا، ط 3، 1425 هـ، ص: 6 وما بعدها.

٥. الإخفاء: (').

٦. المد: (~).

٧. الباء المنطرقة: (ے).

٨. التنوين: (=).

٩. الإبدال: (.) : وضع علامة مستديرة كبيرة مففولة الوسط فوق الحرف.

* عرض الرموز المستعملة في التحليل الأكoustيكي:

Hz: هرتز.

و: وحدة.

ز: زمن.

ثا: ثانية.

: بالتقريب.

ـ: يستلزم.

← : يستوجب.

Φ: غياب.

(م): مرجعية.

(مـ): متغير.

(ص): وقف.

(~): مد.

() : إخفاء.

(.) : إدغام.

(ـ) : إقلاب.

(ـ) : الفتح.

F : البنية (البوانى).

HR: الزوج المرتب.

C: صامت.

V: صائب.

[] : الصوت.

[v] : وقف آلي.

[ee] : إدغام آلي.

[°] : قلقة.

ملاحظة :

تم تسجيل العينات الصوتية من الذكر الحكيم في ظواهر مختلفة من: وقف - المد - إدغام - إيدال - قلب - تفخيم - قلقة - ... الخ⁽¹⁾.

بصوت المقرئ الإمام "محمد ياسين المصري" برواية ورش عن نافع⁽²⁾ لسورة التوبة كنموذج للفصل التطبيقي المخبري.

3. كيفية دراسة بعض العينات التطبيقية⁽³⁾

الجزء الأول:

يمثل المحنى البياني - التمثيل البياني - الصوتي للعينة مع إبراز درجة التغيرات على المستوى العمودي والمشار إليه (التغيرات) أي التردد. ودلالة الزمن على المستوى الأفقي بالثانية (ثا).

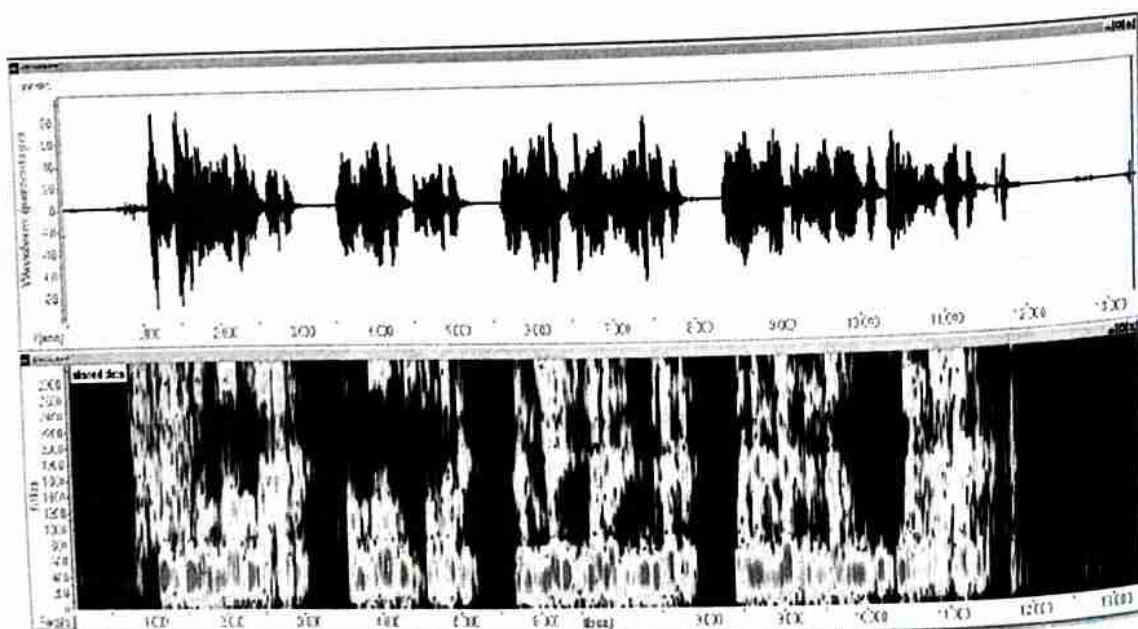
⁽¹⁾ ينظر: تعلم سورة الإخلاص بالتجويد للشيخ محمد يس في 9 دقائق - على الرابط الإلكتروني: <https://www.youtube.com/watch>

⁽²⁾ قرص متوفّر للمقرئ محمد ياسين المصري.

⁽³⁾ ينظر: الصوتيات العربية - منصور الغامدي - ص: 111 وما بعدها .
(270)

يمثل الصورة الطيفية أو الشبجية لصوت العينة على معلم متعامد، وهنا يظهر تغير التردد بوحدة الهرتز (Hz) العمودي، والأفقي يظهر الزمن (ثا).
4. التحليل:

العينة 1: سورة الإخلاص



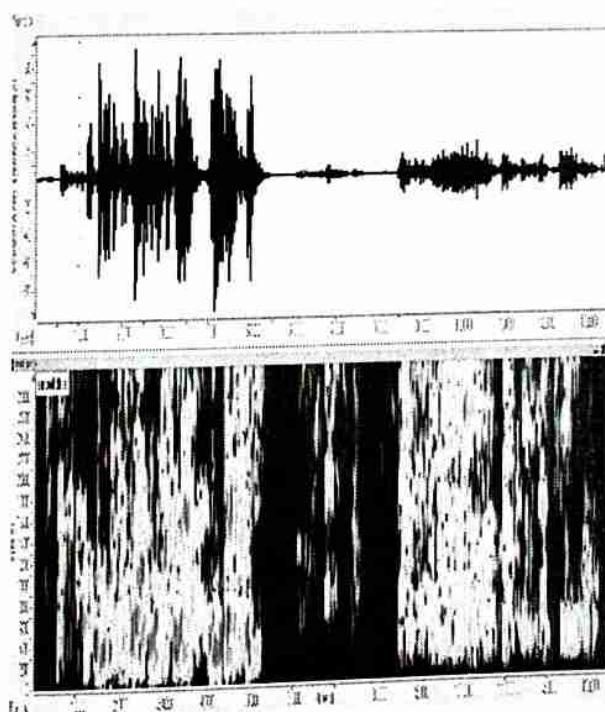
التحليل:

1- التمثيل البياني: استغرق زمن قراءة سورة الفاتحة في مرجعيتها الثابتة 12 ثانية تقريبا.

2- التحليل الطيفي: نلاحظ تشابك في البواني الصوتية $f1-f2-f3-f4$. وذلك ما سنوضحه في تحليل باقي العينات الصوتية الأخرى في تجزيء الآيات الكريمة وتحليل الظراهر الصوتية تحليلاً أكoustيكياً.

العينة 2: (هو)

و [wa]





التحليل:

التمثيل البياني:

استغرق نطق الواو مرفقة 0.7 ثا لتمثل أعلى وحدة في نطقها 60 وحدة.

← و [0.7 ثا - 60 و]

التحليل الطيفي:

نلاحظ ظهور البواني الصوتية الآتية:

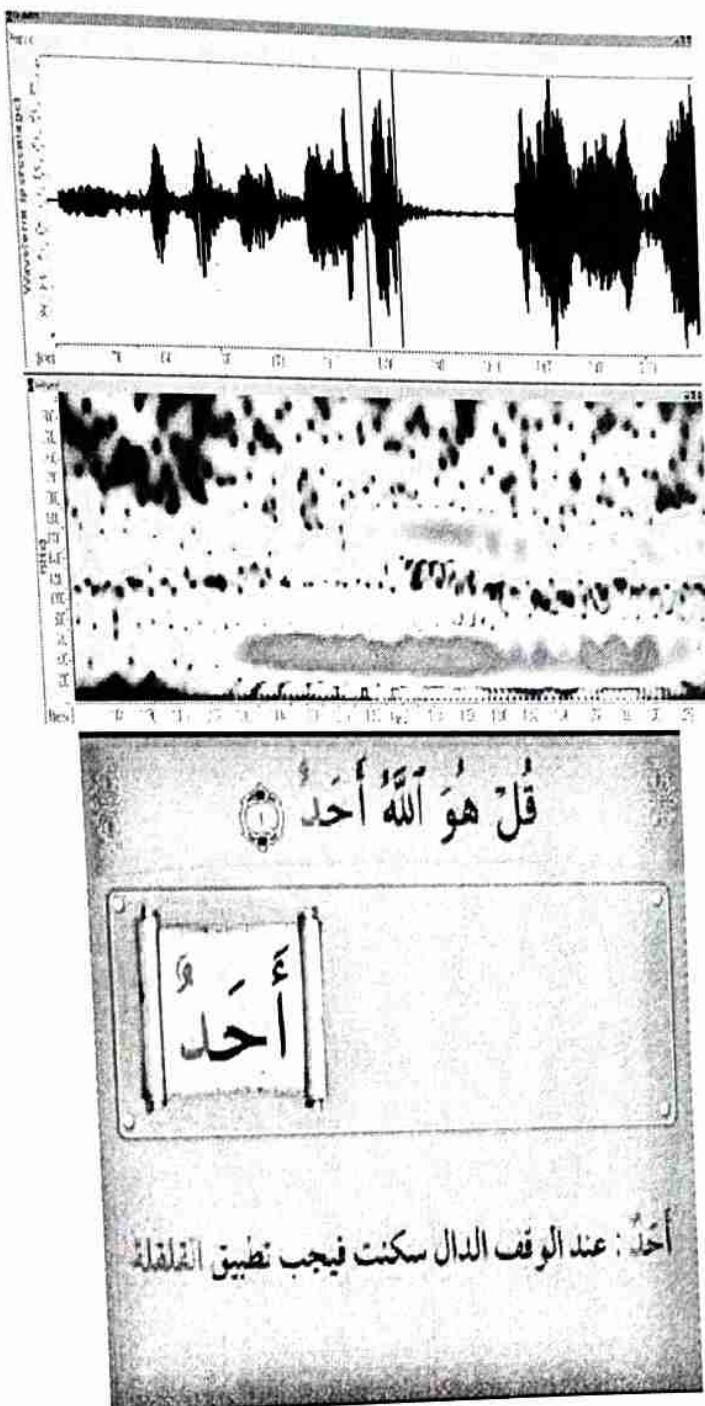
[H Z 400 - 0.7 ثا] F1

[H Z 300 - 0.7 ثا] F2

ما يدل على خفة البواني لرقة الصوت المنطوق.

العينة: 3: (أحد)

أحد [ahad ⁰]



أَحَدٌ: عند الوقف الدال سكتت فيجب تطبيق المقلقة
ذ $\xrightarrow{d^0}$ ← قلقة صوت الدال.

يعتبر صوت الدال من الأصوات المقلقة + ساكن عند الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا-80] و

التمثيل الطيفي:

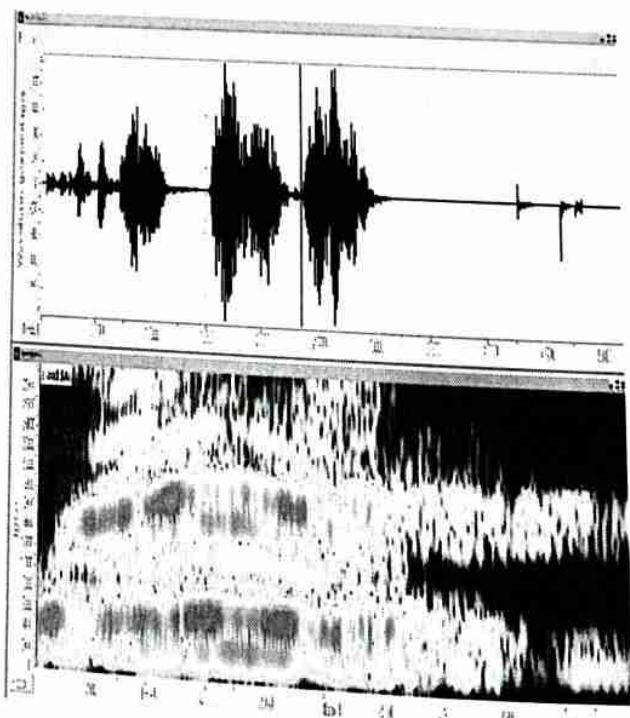
[H Z 550] - 0.4 F1

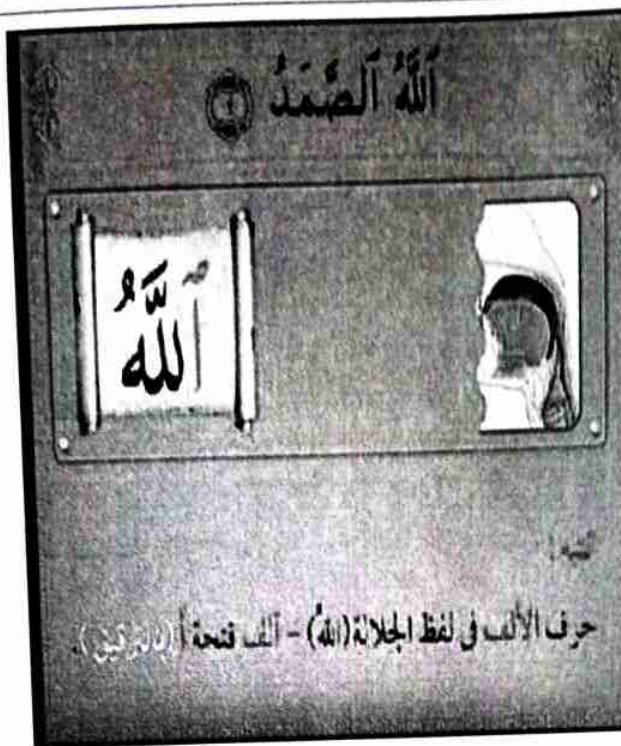
[H Z 550] - 0.4 F2

نلاحظ قلقة الدال + سكون الوقف مما أدى إلى عدم تشابك البواني لأن السكون يضعف من قوّة الصوت من قوّة الصوت مهما كان مقلقاً.

(العينة: 4 (الله))

[ellah] الله





الألف [e] ← (ا) نطق الألف مرقة.

التمثيل البياني:

استغرق نطق [e] ز: 0.300 ثا.

أعلى وحدة ذ 59 وحدة

[e] [4] - [59] و

التمثيل الطيفي:

[HZ 400 - 300.0] F1

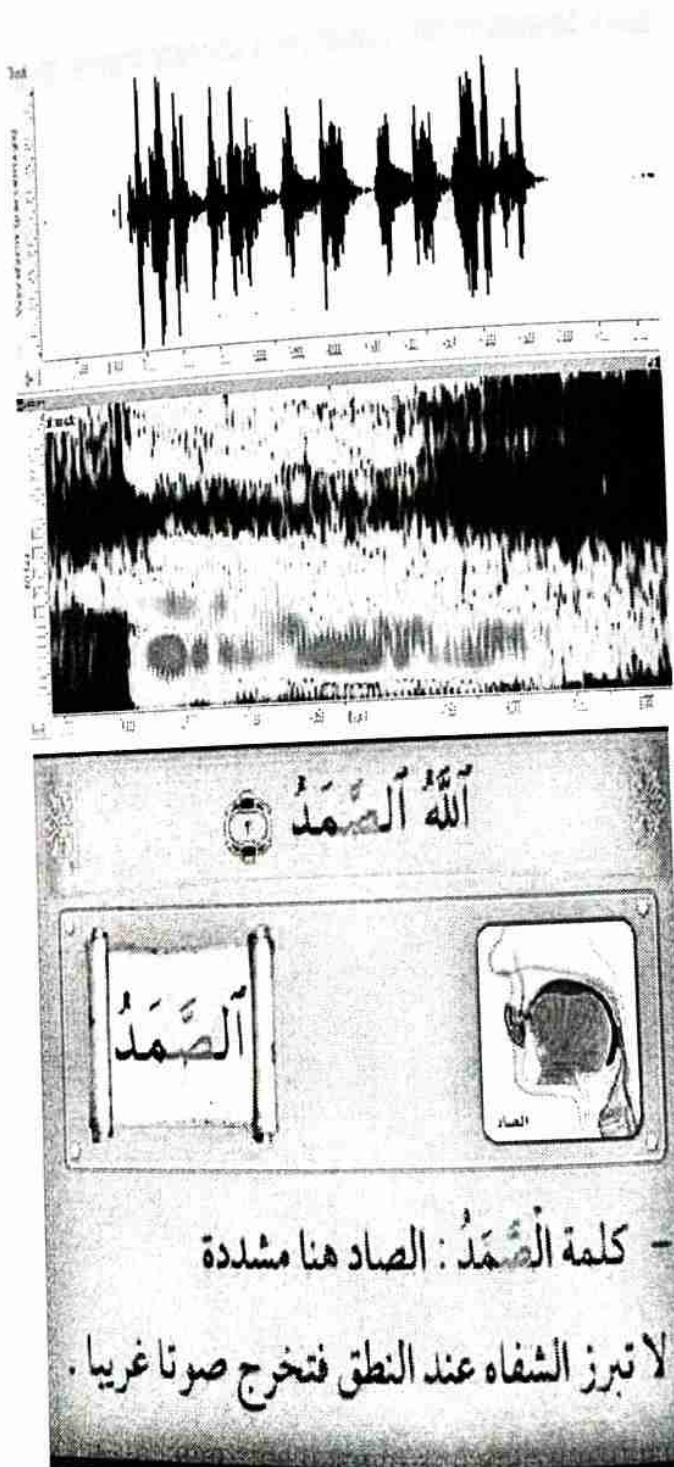
[HZ 800 - 300.0] F2

نلاحظ استطالة في نطق الصوت المرقق مع حركة الفتح.

العينة: 5 (الصمد)

الصوتيات قضايا ودراسات

الصمد [essamad⁰]



مشددة + مفخمة.

ص [ssa]

ص

التمثيل البياني:

استغرق نطق [ssa] ز: 0.390 ثا.

أعلى وحدة ذ 65 وحدة

[e] [0.390 . 0] - [65 و]

التمثيل الطيفي:

$\left. \begin{matrix} \text{[H Z 400]} \\ \text{[H Z 600]} \end{matrix} \right\} - \begin{matrix} 0.390 \text{ ثا} \\ 0.390 \text{ ثا} \end{matrix} \begin{matrix} F1 \\ F2 \end{matrix}$ تشابك في البواني

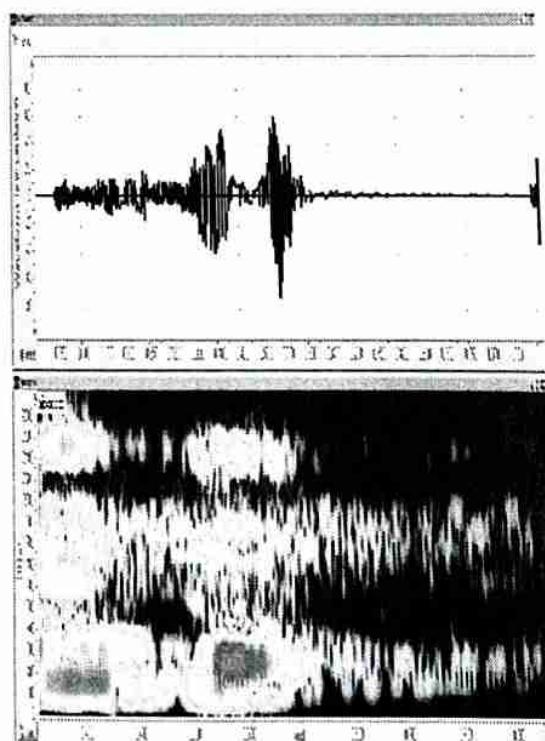
[0.230] F3 ← [H Z 600] ظهور طيفي خفيف للبنية الثالثة.

نلاحظ ← تشابك في F1 و F2 قوّة صوت الصاد مفخّم

+ تحمل حركة الفتح.

(العينة: 6 (الصمد)

الصمد [essamad⁰]





← ذ $\overset{0}{d}$ قلقلة صوت الدال.

يعتبر صوت الدال من الأصوات المقلقلة + ساكن عند الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا - 80 و]

التمثيل الطيفي:

$F1 [0.4 \text{ ثا} - 550 \text{ Hz}]$

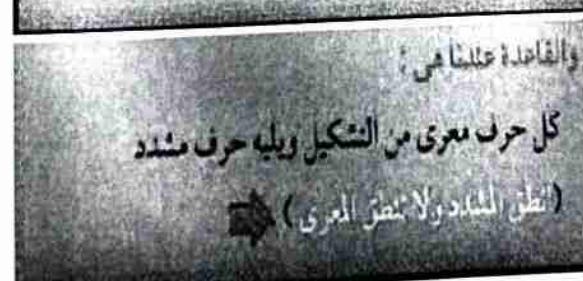
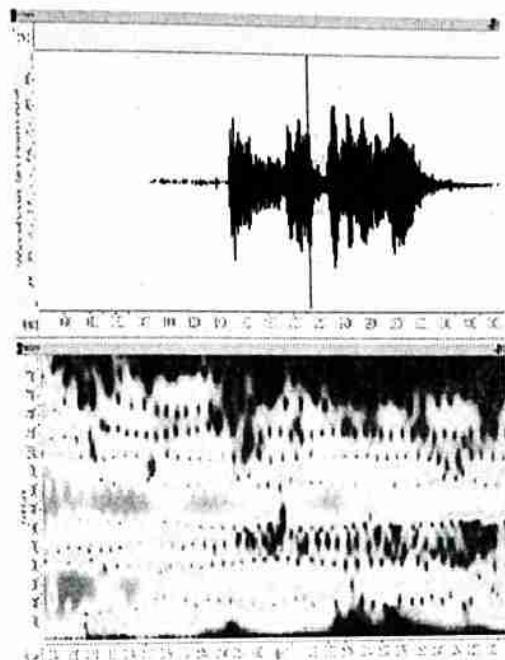
$F2 [0.4 \text{ ثا} - 550 \text{ Hz}]$

نلاحظ قلقلة الدال + سكون الوقف ما أدى إلى عدم تشابك البواني
لأن السكون يضعف من قوّة الصوت من قوّة الصوت مهما كان مقلقلًا.

العينة: 7 (يكن له)

يكله ← يكن له ← الإدغام الثامن.

يكله ← يكن له ← [yakollahou]



يكله ← يكن له ← [yakollahou]

التحليل البياني:

استغرق نطق ل مشددة ز: 0.120 ثا.

أعلى وحدة لـ 20 وحدة

لـ [120.0 - 20 و]

التمثيل الطيفي:

[H Z 470 - 120.0] F1

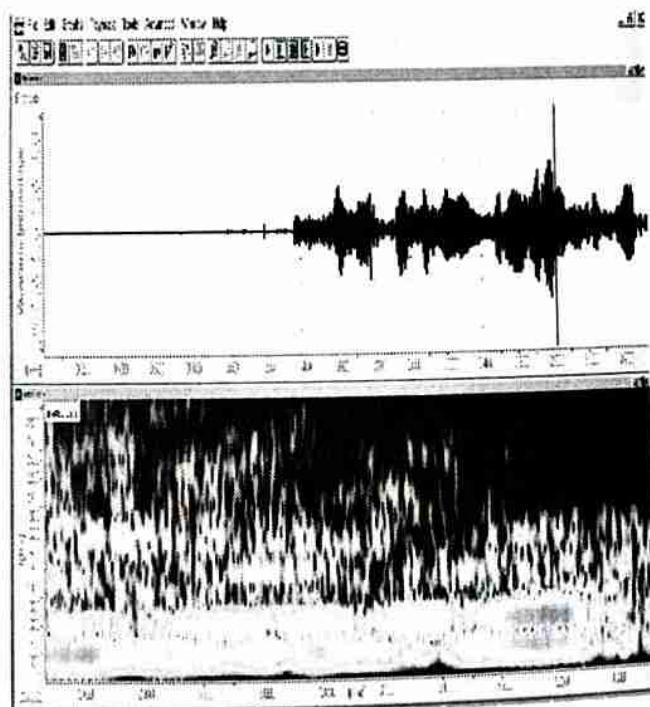
[H Z 470 - 120.0] F2

نلاحظ تشابكا في البواني لنطق الإدغام التام بين النون واللام وكأنه يشكل صوتا واحدا.

العينة: 08 (له)

له تنطق بالمد هو

[lahou] ← له





له ← مد صلة صغرى 2 ح (توازع المد الطبيعي).

التحليل البياني:

استغرق نطق الماء ممدودة ز: 0.600 ثا.

أعلى وحدة هو 40 وحدة

هو [0.600 ثا - 40 و]

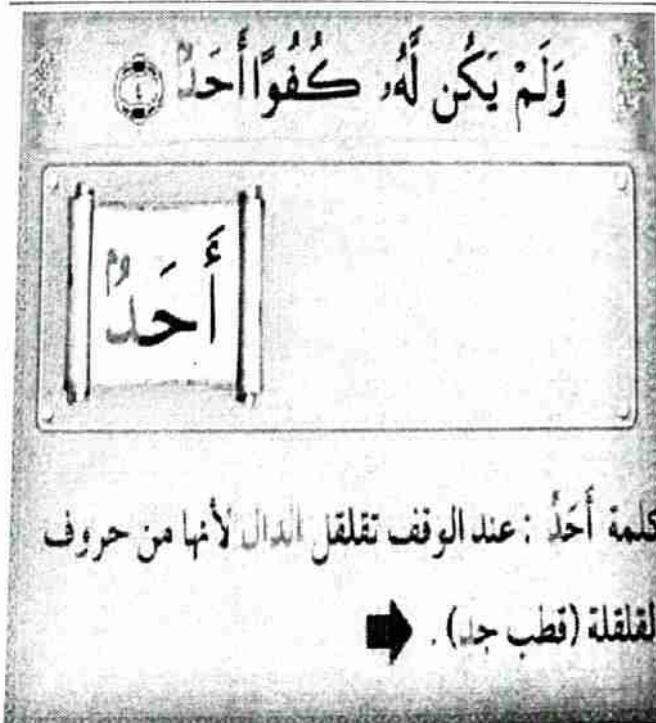
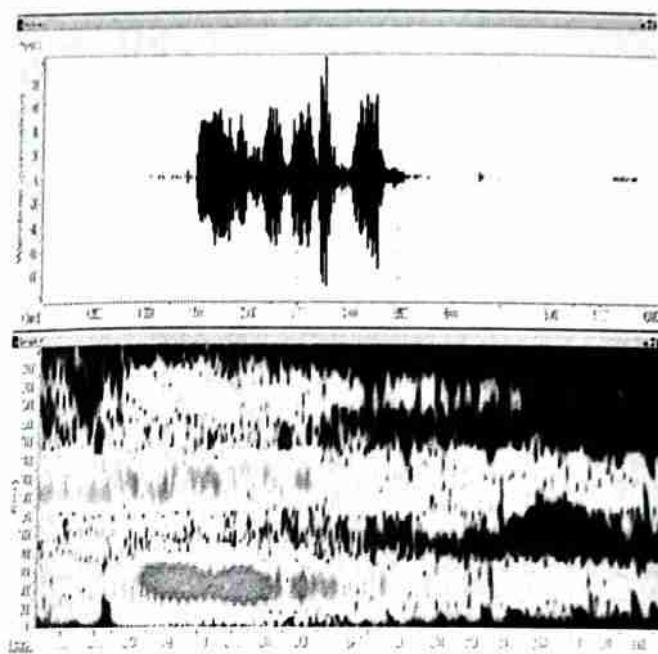
التمثيل الطيفي:

[H Z 200 - 0.600] F1

[H Z 400 - 0.600] F2

نلاحظ تشابك في البواني في حركة المد الطبيعي لصوت الماء.

أحد — مقلقة صوت الدال [d⁰]



ذ — مقلقة صوت الدال. [d⁰]

يعتبر صوت الدال من الأصوات المقلقة + ساكن عند الوقف

التحليل البياني:

استغرق نطق ذ ز: 0.4 ثا.

أعلى وحدة ذ 80 وحدة

ذ [0.4 ثا - 80 و

التمثيل الطيفي:

F1 [H Z 550 - 0.4 ثا]

F2 [H Z 550 - 0.4 ثا]

نلاحظ قلقة الدال + سكون الوقف **ما أدى إلى عدم تشابك البواني**
لأن السكون يُضعف من قوّة الصوت من قوّة الصوت مهما كان مقلقاً.

هذه محمل الظواهر الصوتية التي طرأت على سورة الفاتحة ويمكن إسقاطها
على باقي الظواهر الموجودة في الآيات المتبقية من السور القرآنية من: مد وإدغام
وإظهار وإخفاء، ونقل، وتفخيم، وترقق، ووقف... الخ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ ينظر: المصحف الشريف - كلمات القرآن: تفسير وبيان - برواية ورش عن نافع - الخطاط:
عثمان طه - سوريا - دمشق - دار المعرفة - مطبعة الثريا - ط: 3 - 1425 هـ - من ص: 187 إلى:
ص: 207.

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره وتحليله توصلنا إلى النتائج الآتية:

- ✓ يفيد التحليل الصوتي للعينات في تعين الصفات الفيزيائية للصوات والصوات مختلف أنواعها وذلك بتحديد إدراكها داخل الفم عند إنتاجها (على مستوى الحنجرة)، وعرض النتائج بصورة دقيقة.
- ✓ بفضل الحزم أو البواني (les formants) نستطيع أن نحدد درجة التردد أو عدد التبذبات في الحركات (les fréquences) التي يظهرها الرأس الطيفي، فانعدام الحركات (الصوات) قد يؤدي إلى غياب كلي للصورة الطيفية.
- ✓ إذا ما خُذن صوت أنموذجي لقارئ ما وكان هذا الأنماذج وافية وقطع إلى أجزاء مناسبة للدراسة، فإنه بالإمكان إعادة تركيب هذه الأجزاء ومعالجتها آلياً، وذلك لتقييمها وتقويمها.
- ✓ ومحاولة وضع أنماذج صوتي (phonétique model) يتكون من توصيف صوتي دقيق لمخرج الظاهرة الصوتية وذلك هو هدف علم اللغة الحاسوبي الذي فتح مجالاً كبيراً لبحوث في اللغة من جوانب مختلفة وبوسائل متقدمة من أجل تقديم حقائق علمية جديدة، ومن أجل قضايا واقعنا اللغوي، فمثل هذه الدراسات تعمق الصلة بين القدامى فيما ذهبوا إليه وبين المحدثين فيما توصلوا إليه.
- ✓ إنشاء برامج آلية لتيسير تعلم القراءات القرآنية عن طريق الشراكة بين مجید القراءات وذوي الاختصاص التقني (الإلكترونيات والإعلام الآلي).

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

► المصحف الشريف _ كلمات القرآن: تفسير وبيان _ برواية ورش عن نافع _ الخطاط: عثمان طه _ سوريا _ دمشق _ دار المعرفة _ مطبعة الثريا _ ط: 3 _ 1425 هـ.

► قرص تلاوة القرآن الكريم - متوفّر-المقرئ "محمد ياسين المصري":
أ/ باللغة العربية:

1/ أسس اللغة - ماريوباي - ترجمة: أحمد مختار عمر - ليبيا - جامعة طرابلس - د ط - 1973 -

2/ التعريفات - الجرجاني - لبنان - بيروت - عالم الكتب - ط 1 - 1996 -

3/ دراسات في علم الأصوات - صبري المتولي - القاهرة - كلية زهراء الشرق للنشر - ط: 1 - 2006 م -

4/ رسالة أسباب حدوث الحروف - أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا - تتح: محمد حسان الطيان ويجي مير علي - سوريا - دمشق - دار الفكر - مطبوعات مجمع اللغة العربية - ط: 1 - 1983 م -

5/ الصوت اللغوي في القرآن - محمد حسين علي الصغير - دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان - دون طبعة - دت.

6/ الصوتيات العربية _ منصور الغامدي _ السعودية - مكتبة التوبة العربية - ط: 1 - 1421هـ / 2001 م.

7/ الظواهر الصوتية في قراءة نافع - أطروحة دكتورا علوم - راضية بن عربية - أشرف: خير الدين سيب - جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر . 2012/2011

8/ علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية _ بسام البركة _ لبنان _ بيروت
_ مركز الإنماء القومي _ د ط _ 1988 م _

المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة - صلاح الدين صالح الحسيني -
سوريا - دار الإتحاد العربي - ط: 1-1971.

ب/ باللغة الأجنبية:

1 / Cours de phonétique acoustique- E. Emerit-Société nationale
d'édition- Alger- 1977-.

2/Informatique graphique méthodes et modèles Bernard
Peroche Djamchid Ghazanfarpour Dominique Mechelucci
_Marc Rolens Édition Hermes _Paris _France _1997_

ج/ الواقع الإلكترونية:

- تعلم سورة الإخلاص بالتجويد للشيخ محمد يس في 9 دقائق - على الرابط

الإلكتروني: <https://www.youtube.com/watch> بتاريخ

30/06/2018 في الساعة: 12:01

بتاريخ: <https://phonetics-acoustics.blogspot.com> :-

31/05/2018 في الساعة: 09:00

إنَّ جمِيعَ الْأَرَاءِ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الْمَوْلَفِ الدُّولِيِّ تَعْبُرُ عَنْ وَجْهَةِ نَظَرِ أَصْحَابِهَا
فَقَطْ وَلَا تَعْكِسُ رَأْيَ الْهَيَّنَاتِ الْمُشَرِّفَةِ عَلَىِ فَعَالِيَاتِ الْمُشْرُوِّعِ الدُّولِيِّ رِسَالَةُ الْبَاحِثِ

بِحَمْدِ اللَّهِ

وَنَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَهُمِ الْثَّبَاتُ عَلَىِ الْحَقِّ حَتَّىِ الْمَمَاتِ.



المؤلفون:

د. نصيرة غفاقلية (عنابة)
أ. د. ليلى سهل (بسكره)
د. محمود خلف البداي (السعولية)
د. إسماعيل حيمور (تيارت)
د. فرح ليذوح (تلمسان)
أ. بر ميساء مزاھيہ (بسکرہ)
د. خالد حسين أبو عمشة (الأردن)
د. راضية بن عربیہ (الشلف)

منشورات مختبر اللغة والتواصل المركز الجامعي أحمد زيانة - غليزان.

المشروع الدولي رسالة الباحث

الصوتيات

قضايا ودراسات



AlphaDoc

36 مكرر نهج سايسي أحمد س م ك قسنطينة - الجزائر
هاتف: +213 31 733 333 فاكس: +213 31 733 794
عمان، الأردن: هيئة التأليف للجامعة الأردنية/هاتف: +962 797266248
بريد الكتروني: alphadocumentation@hotmail.com

ISBN. 978-9931-691-87-7



9 789931 691877